دروس في

علم أصوات العربية

لجان كانتينو

نقله الى العربية
وذيله بمعجم صوتي فرنسي - عربي

صالح القرمادي
الأستاذ بدار المعلمين العليا
بتونس

الجامعة التونسية
نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية
1966

دُرُوسٌ فِي

عِلْمِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

تصدير

يعد كتاب " جان كانتينو " (Jean Cantineau) "دروس في صوتيات العربية" (Cours de phonétique arabe) الصادر بباريس سنة 1960 بالاضافة الى كتاب "هنري افلاش" (Henri Fleisch) "كتاب فقه اللغة العربي" (Traité de Philologie arabe) الذى صدر ببيروت سنة 1961 من بين المراجع الفرنسية الاساسية التي لا غنى لطلبة علم الاصوات العربي وللباحثين في ميدان معالجة المشاكل الصوتية الخاصة بالعربية معالجة عصرية تعتمد الطرق والمناهج الحديثة التي وضعها علماء الاصوات المعاصرون من الرجوع اليها .

ومعلوم ان اللغة العربية فقيرة الآن فقرا ظاهرا فيما يتعلق بهذا النوع من المعرفة اذ قلما رأينا فيها كتبا صنفت للتعرض لعلم الاصوات عامة وعلم اصوات العربية خاصة بالبسط العصري والتحليل الحديث (1)

ولذا فقد رأينا بعد ان اضطلعنا بمهمة تدريس علم الاصوات بالجامعة التونسية عدة سنوات ان ننقل كتاب «كانتينو» المذكور الى اللغة العربية مساهمة منا بسيطة في اثراء هذه اللغة وسعيا في مدّ الطلبة والباحثين العرب بوسيلة من وسائل البحث الصوتي الضرورية وفي نشر هذه الطريقة العصرية في معالجة المسائل الصوتية على عموم قراء العربية الذين انعدمت أو قلت معرفتهم باللغات الاجنبية عامة وبالفرنسية خاصة .

* * *

ان الصعوبات التي قامت في طريقنا اثناء عملنا هذا جمة كاداء أهمها . قلة الالفاظ الاصطلاحية العربية الموافقة للمفاهيم الصوتية الجديدة. ولقد

---

(1) ليس نعرف فعلا من هذه الكتب الا ما صنفه الدكتور ابراهيم أنيس وهو كتابان احدهما فى اللهجات العربية القديمة وثانيهما فى الاصوات اللغوية ولم نعثر على هذا الكتاب الثانى فى تونس مع الاسف .

سعينا الى التغلب على ذلك بأن استقرينا أهم النصوص النحوية العربية القديمة. نذكر منها بالخصوص نصوص سيبويه ونصوص شرح ابن يعيش والزمخشري المتعلقة بمخارج الحروف والادغام والامالة والابدال والاعتلال وبان اجتهدنا اجتهادا في وضع بعض الالفاظ معتمدين في ذلك عادة على طريقة "التوليد" اي توسيع معاني الكلمات الموجودة بعد في اللغة. ويجد القارىء في آخر هذا الكتاب معجما يدله على تفصيل الطرق التي استعملناها للقيام بترجمة الالفاظ الاصطلاحية.

وصعوبة ثانية كأداء كادت ان تثنينا عن عزمنا تتمثل في عدم أهلية الخط العربي لرسم مختلف انواع الحركات بمختلف اجراسها ومتنوع رناتها وبخاصة حركات اللهجات العربية الدارجة التي لا وجود لها في الفصحى وبعد لاي وتردد اضطررنا على مضض الى كتابة الامثلة الدارجة الواردة في هذا الكتاب مرتين مرة بالخط العربي بصفة تقريبية ومرة بين قوسين بالخط اللاتيني باستعمال الرموز الصوتية المتفق عليها في الابجدية الصوتية العالمية نحو : مَا يِقْبُضْشْ : (mā Yegbọ̈dš)

وعلى هذا فلا يكون استعمال هذا الكتاب تام الفائدة الا اذا اجهد القارىء العربي نفسه فتعلم الرموز الصوتية العالمية المثبتة في أول الكتاب وفهم ما ترمز اليه من أنواع النطق الخاصة. وهو لعمري أمر غير مستحيل على الدارس الجاد.

* * *

ونحن اذ نقدم ثمرة مجهودنا هذا الى جمهرة القراء نعترف سلفا بإمكانية وجود كثير من النقص والخلل فيه ونرحب بكل نقد يوجهونه الينا عسانا نستطيع تحسين ما أغفلنا.

وان نحن اسهمنا بقسط متواضع في اثراء المعلومات الصوتية عند "الناطقين بالضاد" وفي المشاركة في تيار تعريب المعرفة في مختلف الميادين فقد وصلنا الى الغاية التي اليها سعينا.

صالح القرمادي — تونس 1965

صورة كتابة الحروف العربية
بالحروف اللاتينية

1 – العربية الفصحى

أ) الحروف

أ ئ ؤ	ᵓ	ر	r	غ	ġ
ب	b	ز	z	ف	f
ت	t	س	s	ق	q
ث	ṯ	ش	š	ك	k
ج	ǧ	ص	ṣ	ل	l
ح	ḥ	ض	ḍ	م	m
خ	ḫ	ط	ṭ	ن	n
د	d	ظ	ḏ̣	ه	h
ذ	ḏ	ع	ᶜ	و	w
				ى	y

ويرسم الحرف المشدد في العربية بواسطة حرفين لاتينيين واما التنوين فيشار اليه بكتابة n فوق السطر نحو "مثلا" تكتب : (maṯala^{n})

ب) الحركات :

ـَـ	a	ـِـ	i	ـُـ	u
ـَـا	ā	ـِـيـ	ī	ـُـو	ū

2 ــ العـربيـــة الـدارجـة

أ) الحـــروف :

نضيف الى النظام السابق العلامات الاساسية الآتية عند الاقتضاء :

b̲ أي باء رخوة — ḍ أي دال مفخمـة — c̲ الشين (ch) الالمـانية

ẓ̌ أي جيم (j) فرنسية — g أي ڨاف(g)الفرنسية في نحو " lch "

ṛ أي راء مفخمـة — č أي "تش" (tch) — ḷ أي لام مفخمـة

ŋ أي نون (n) اقصى حنكية المتولد عن الكاف(k)

(وبصفة عامة فان المطة تحت الحرف معناها انه ينطق رخوا والنقطة تحتـه معناهـا انّـه ينطق مفخمـا) .

ب) الحـــركـــات :

ä	أي بين الـ (a) والـ (è)	في الفرنسيـة
ạ	أي بين الـ (a) والـ (o)	في الفرنسيـة
ẹ	أي الـ (é)	في الفرنسيـة
ö	أي الـ (eu)	في الفرنسيـة
ụ	أي الـ (ou)	في الفرنسيـة
ü	أي الـ (u)	في الفرنسيـة

(وبصفة عامة فان النقطـة تحت الحركة معناها ان تلـك الحركة تنطق منـغلقـة وعلامة "السِّـديِـي" (cédille) أي (̦) تـدل على ان الحركـة منفتحـة. والمطـة فوق الحركـة معناها أن تلـك الحركة طويلـــة) .

واما الغنـة الخيشومية فقد اشرنا اليها بواسطة علامة (~) مخطوطـة فوق الحـــركـــة .

مقدمة

عرض تاريخي

لقد كان قدماء النحاة العرب (1) اول علماء الاصوات في لغتهم. فنحن نجد في كتاب سيبويه ترتيبا صحيحا للحروف حسب مخارجها وملاحظات هامة حول صفات الحروف وبحثا غزير المادة في ادغام الحروف ومعلومات صحيحة تتعلق بمدى الحركات وباعتلال جروسها واشارات الى مختلف الالسن الدراجة وخصائصها الصوتية .

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية عند النحاة العرب دراسات وصفية صرفا مثلها في ذلك مثل الدراسات الصوتية التي قام بها نحاتنا في القرن السابع عشر. فقد اغفلوا فيها تطور اللغة التاريخي واكتفوا بالقول بأن بعض كيفيات النطق صحيحة مستحسنة وان بعضها الآخر قبيح مستهجن بدون تعمق في الموضوع ولا سبر لاغواره. وليس معنى هذا ان دراساتهم الصوتية هذه لا قيمة لها بل هي دراسات نفيسة ولو رجع اليها الباحثون العصريون اكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها .

وقد ابتدات البحوث الصوتية المتعلقة بميدان اللغة العربية في اوروبا في منتصف القرن الماضي بدراسة البحوث الصوتية التي قام بها النحاة العرب ومقارنتها بما امكن استخلاصه من عناصر من كيفية النطق التقليدي بالعربية الفصحى ومن مختلف كيفيات النطق بالالسن الدراجة.

ولقد كانت دراسات المستشرقين الالمانيين "فَلِّين" (Wallin) سنة 1855 و"بْرُوكِة" (Brücke) سنة 1860 و"لِبْسِيُوسْ" (Lepsius) سنة 1861 دراسات من هذا القبيل. ثم صدر الفصل الذي كتبه "فُولارْسْ"

---

(1) انظر قائمة المصادر والمراجع فى آخر هذا الكتاب .

(Vollers) سنة 1892 بعنوان "نظـــام الاصوات العربية" (The System of Arabic sounds) فجمع فيـه ما ورد في كتب النحاة العرب من معلومات صوتية. ثم اصدر كتـابه المسمـى "لغـة الشعب ولغة الكتـابة فـي الجـزيرة العربية قـديمـا " (Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien) سنة 1906 فكان دراسة لطائفة من الامور الصوتية الهامة المتعلقـة بالالسن الدراجة التي كانت شائعة في الجزيرة العربية. وبعد سنين قلائل أي في سنة 1911 صـدر كتـاب "شـاده" (Schaade) المسمى "علـم الاصـوات عند سيبويه " (Sibawaihi's Lautlehre) فكـان تلخيصا فـي بضع صفحات لاهم ما جاء في كتاب إمام النحو العربي من معلومات صوتية.

وفي نفس تلـــك الحقبة من الزمن تقدمت البحوث في الالسن العربية الدارجة تقدما افاد منه علـم الاصوات عدة معطيات جـديدة فقد احتوى كتاب "اشتّمّة" (Stumme) الخاص بلهجة تونس (1896) وكتابه المتعلق بلهجة طرابلس الغـرب (1898) وكتـاب و. مـارسي (W. Marçais) فـي لهجـة تلمسان (1902) وكتابه في لهجة اولاد ابراهيم بمدينة صيدا (1908) وكتاب مـــاتسون (Mattsson) الخاص بلهجـة بيـــروت (1911) وكتـاب م. كوهين (M. Cohen) المتعلـق بلهجة يهود مدينة الجزائر (1912) احتوت جميع هذه التاليف على فصـول في الصوتيات ضافية غـزيـرة الشواهد بل ان كتاب ماتسون مقصور في الحقيقة على دراسة الصـوتيـــات فقـط.

ولم تعطل الحرب العالمية الأولى (1914 ـــ 1918) سير هـذه الحركـة الدراسية المتعلقة بصوتيات الالسن الدارجة. ففي سنة 1915 نشرغ. برغشتريسر (G. Bergsträsser) "لاطلس اللغـوي الخـاص بسوريـا وفلسطين." (Sprachaltas von Syrien und Palastina) وهو كتـــاب جمـع فيـــه مؤلفه عدة خرائط خاصة بالصوتيات وفي سنة 1917 ظهر كتيب "فيشر" (Fischer) الخـــاص "بصوتيـــات العـربيـــة بالمـغـرب الاقصـى" (Zur lautlehre des Marokkanisch-Arabischen). وفي سنـة 1919 صـدر كتـــاب سيـادة الأسقـف فيغـالي (Mgr. Feghali) الخاص "بلهجـة كـفـــر عبيـدة" (Le parler de kfar ʿAbīda).وقـد اورد فـيه صـاحبـه فصـــلا

صوتيا هاما. وفي سنة 1924 ظهر كتـاب غ. برغشتريسر (G. Bergstrasser) الخاص "بلسان مدينـة دمشـق الدارج". (Zum Arabischen Dialekt von Damascus)وقد ضم هذا الكتاب مقدمة كادت تكون كلها متعلقة بالصوتيات.

وقـد خصص صاحب هـذا الكتـاب لصـوتيـات اللهجات الشرقـية قسما من اقسام تآليفـه الآتيـة : "اللسان العربي الدارج بتدمر" : (Le dialecte Arabe de Palmyre) (1934) و"دراسات في بعض لهجات البدو الرحل العرب في الشـرق" (Etudes sur quelques parlers de nomades arabes d'Orient)الجزء الاول (1936)والجزء الثاني(1937) و"لهجات حوران العربيـة" (Les parlers Arabes du Ḥōrān) (تحت الطبع) ويحتـوي هذا الكتاب على اطلس لغوي فيه عدد من الخـرائط الصوتية. وفي نفس ذلك الوقت اخذت دراسة صوتيات العربية الفصحى تسترعي انتباه العلماء من جديد. فقـد صنف "غـارْدْنيـرْ" (Gairdner) كتـاب "صوتيات العربية" (The phonetics of Arabic)(1925)وطبق فيه بعض طرق علم الاصوات التجريبي على دراسة صوتيات العربية المصريـة. ونشر نفس هذا المؤلف بعد ذلك اي سنة 1935 فصلا بعنوان "نظرية علماء الاصوات العرب في الحروف والحركـات" اعـاد فيـه الكلام فيما كان "فوُلِرْسْ" (Vollers) قـد درسه بعد من افـكار صوتية.

وفي نفس تلك الفترة أي سنة 1934 اصدر م. بْرَاڤْمَانْ (M· Bravmann) كتيبا اسمـاه "مـواد وبحـوث في نظريـات العرب الصوتية" (Materialen und Untersuchungen zu den phonetischen Lehren der Araber) واورد فيه معلومـات جديـدة استقاها من كتب التجويد. وفي نفس ذلك الوقت ايضا نشر و. بْرِتْـزِلْ (O. Pretzl) في مجلة "الاسلاميات" (Islamica, IV, 1-3 (1933-1934) (1934-1933) 3-1 IV) سلسلة من الفصول عنوانها "علم التجويـد" (Die Wissenschaft der Koranlesung) واحتـوت هذه الفصول هي الاخـرى على عدد كبير من المعطيات الصوتية المستخرجة من كتب التجويـد.

الطرق والنتائج
ادارة البحوث المقبلة

يستطيع الباحث ان يبوب علم الاصوات العربي الى الابواب التالية. :

1 — تطور النظام الصوتي السامي (وهو تطور معروف بفضل استعمال طريقة المقارنة) ومآله الى النظام الصوتي العربي القديم.

ان الخطوط الكبرى المتعلقة بهذه المسائل قد اصبحت اليوم معروفة لدينا معرفة تامة إلى حدّ ما .ويمكن للباحث في هذا المضمار الاسترسال في استعمال كتاب بروكلمان(Brockelmann) "المختصر في مقارنة انحاء اللغات السامية" (Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen) على قـدمه وكتابه "المختصر في علم اللغات السامي" وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية و. مارسي (W. Marçais) وم . كوهين(M. Cohen)سنة 1910 بعنوان (Précis de linguistique sémitique) فصار ما يمكن اكتشافه من امور جديدة في هذا الاتجاه نـزرا قليلا.

2 — وصف نظام العربية القديمة الصوتي (اي العربية الفصحى والالسن العربية الدارجة القديمة). و الطريقة الصالحة الوحيدة في هذا الميدان هي طريقة استقراء كتب النحاة العرب وكتب التجويد. وقد قام الباحثون بعد باكبر قسم من هذا العمل ولم يبق الا مواصلة دراسة تلك النصوص القديمة وتفسيرها والتعليق عليها .

3 — تطور نظام العربية القديمة الصوتي ومآله الى الانظمة الصوتية التابعة لمختلف الالسن العربية الدارجة.

ان ما نعلمه في هذا الباب اقل بكثير مما نعلمه في البابين السابقين ومردّ ذلك :

أ) الى ان الأنظمة الصوتية الخاصة بالالسن الدارجة لم توصف كلها الى حد الان.

ب) الى اننا نجهل في كثير من الاحيان اسباب ذلك التطور الصوتي ومختلف كيفيات وقوعه وانتشاره .

4 – وصف الانظمة الصوتية التابعة لمختلف الالسن الدارجة

لقد وصف الباحثون بَعْدُ عددا من اللهجات العربية فصارت خصائصها الصوتية معروفة لدينا معرفة جيدة نوعا ما. على ان الطرق الحديثة التي تجددت بها دراسة الالسن الدارجة في ميدان اللغات الرُّوْمَنِيَّة (romanes) واللغات الجرمانية واللغات الصقلبية لم يعمم تطبيقها بعد على دراسة الالسن الدارجة في ميدان اللغة العربية حتى انه يمكننا القول بانه ليس ثمة الى حدّ الآن علم اصوات تجريبي خاص بميدان العربية. ولئن قيم ببعض الاعمال في هذا الحقل فانها لم تنشر الى الآن. اللهم الا عمل غاردنير (Gairdner) المذكور وهو عمل سطحي بعض الشيء. ولهذا السبب فان مجال البحوث في هذا الميدان مجال واسع جدا. ومن جهة اخرى فان وصف الالسن الدارجة لم يتعلق عادة الا بألسن دارجة منعزلة . ويمكن القول بان هذا الوصف لم يتجاوز ذلك الى "مساحات لغوية" حتى اننا ما زلنا ننتظر من سيقوم بدراسة "الجغرافيا اللغوية" الخاصة بالالسن العربية الدارجة اذ لم يصنف فيها شيء يذكر عدا "الاطلس اللغوي" الذى صنفه برغشتريسر (Bergstrasser) واذن فقد لزم القيام ببحوث واسعة النطاق في الجغرافيا اللغوية لما لها من عظيم الاهمية .

واخيرا فان علم وظائف الاصوات – وهو فرع جديد في علم اللغات نشأ منذ عهد قريب – لم تطبق طرقه قط على ميدان اللغة العربية.

وهكذا فقد ظهر لنا ان المادة متوفرة للقيام باعمال هامة غزيرة في ميدان دراسة صوتيات الالسن العربية الدارجة .

تخطيط الكتاب

تشتمل هذه "الدروس" على :

1 ــ معلومات عامة : اي بعض الاشارات الخاطفة بشأن جهاز التصويت وكيفية تكوين اصوات الكلام البشري. وعلى الراغب في زيادة التفصيل في هذه المسائل ان يرجع الى الدروس الخاصة "بعموميات علم الاصوات"

2 ــ دراسة في نظام الحروف

3 ــ دراسة في نظام الحركات

4 ــ دراسة في المقطع وفي نبرة الكلمات ونبرة الجمل وفي الايقاع

وستتناول الدراسة في هذه الفصول الثلاثة وكل فقرة منها من وجهات نظر اربع نتعرض لها على التوالي وهي وجهة النظر الصوتية ووجهة النظر الوظائفية ووجهة النظر الوصفية ووجهة النظر التطورية وتنتهي هذه "الدروس" بقائمة منطقية من المصادر والمراجع.

عمـوميـات

بعض التحـديـدات

علم الاصوات هو دراسة اصوات الكلام المنطوق، وينقسم هذا العلم الى علم الاصوات : "فُونيتيك°" (Phonétique) في حد ذاته وهو العلم الذى ينظر في الاصوات في حد ذاتها ويدرس صفاتها من حيث اخراجها بل وحتى من حيث سماعها والى علم وظائف الاصوات ؛ "فُونُولُوجيَا" ؛ (Phonologie) وهو علم يدرس الاصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللغوى .

ويبدو أن النحاة العرب لم يكن لديهم مصطلح يوافق كلمة "فُونيتيك°" (Phonétique) فلم يعتبروا دراسة اصوات اللغة قسما من اقسام النحو الكبرى كما نفعل نحن. على ان ثمة عندهم فصلا رابعا واخيرا في النحو سماه الزمخشري "المشترك" اى "ما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف". وفي هذا الفصل دراسة لأكثر المسائل الصوتية التي اهتموا بها الى جانب مسائل اخرى.

جهاز التصويت

على من يبتغي وصفا كاملا لجهاز التصويت ان يرجع الى دروسي في "عموميات علم الأصوات" وسنكتفي هنا بالتذكير فقط بان جهاز التصويت يشتمل على :

1 — الرئتين.

2 — قصبة الرئة وطرفها الاعلى المسمى بالفرنسية "لاَرِينْكس°" (Larynx) وفي هذا الطرف الاعلى زوجان من الطيات الجلدية هي الاوتار الصوتية ويسمى الفراغ الموجود بين الاوتار الصوتية وجدار الحلق الخلفي "رأس القصبة" (Glotte) كما أن ثمة طبقا صغيرا اسمه "طبق رأس القصبة" (Epiglotte) وظيفته غلق رأس القصبة عند ابتلاع الطعام .

3 ــ ادنى الحلق(Pharynx) وهو ما بين اصل اللسان وجدار البلعوم.
4 ــ الخياشيم ويمكن غلقها او فتحها حسب مكان "غشاء الحنك" (Le voile du Palais) وهو جلدة في اقصى الفم تتدلى في طرفها الاسفل زائدة لحمية صغيرة تسمى "اللهاة" أو "الطلاطلة" .

5 ــ الفم، وأهم اجزائه هي الحنك واللسان والاسنان. وينغلق الفم بواسطة الشفتين ، وتتغير صورة داخل الفم وحجمه حسب اتساع ما بين الفكين وحسب مكان اللسان وهيئته ومكان الشفتين وهيئتهما. ومن شأن اللهاة وطرف اللسان والشفتين ان تنز نزيزا. وقد كان العرب يعرفون اكثر هذه الاعضاء ويطلقون عليها اسماء ذات دقة كافية .

فقد عرفوا "الرئة" (Poumon) (جمعها رِئُون ورئات) و"قصبة الرئة" (Trachée artère) و"الحلق" او "الحنجرة" (Larynx) واما لفظ " الحلقوم " فيبدو انهم أطلقوه في آن واحد على الحلق (Larynx) والقصبة (Trachée) وقد يستعمل احيانا لفظ "حلق" نفسه لهذه الدلالةالمز دوجة.

واما الاوتار الصوتية فلا يبدو ان العرب قد عرفوها . وقد عرف العرب ايضا "طبق رأس القصبة" (Epiglotte) وفرقوا بين " أقصى الحلق" و"أوسط الحلق" و"أدنى الحلق" ويبدو ان عبارة "أدنى الحلق" تدل على ما يسمى بالفرنسية(Le pharynx).وهو عضو يبدو ان العرب لم يخصصوا له اسما معينا. وينبغي ايضا ملاحظة عبارة "غار الحلق" وهي عبارة تدل في ما يبدو على جهاز التصويت في مجموعه.

واما غشاء الحنك (Le voile du palais) فليس له اسم خاص عندهم في حين ان اللهاة (Luette) كانت معروفة بهذا الاسم الخاص. وقد اطلق العرب على ما يعرف بالفرنسية بـ (Fosses nasales) اسما بسيطا هو الانف او بصفة ادق داخل الانف او ايضا المنخر. واما لفظ خيشوم ففي معناه اختلاف وقد سمى العرب ما يعرف بالفرنسية بـ(Cavité buccale) "داخل الفم" كما سموا الـ (Palais) "حنكا" وهو لفظ يدل احيانا على الذقن ايضا. ويفرق العرب بين "الحنك الادنى" ويسمى نِطْعا او الغار الاعلى وبين "الحنك الاعلى" .

كما يفرقون بين اجزاء اللسان فيميزون بين "عَـكَـدَة"اللسان او "عَـكَـرَته" اى اصله وبين "اقصى اللسان" و "وسط اللسان" و "ظهر اللسان" و "حافة اللّسان" و "طـرف اللسان". ويسمى طرف اللسان اذا كان يابسا (كعند النطق بحروف الصفير) "اسَلَة" واذا كان رخوا وتحرك بسهولة (كعند النطق بحروف التكريـر والانحراف) "ذَلْقا أو ذَوْلَـقا".

وتنقسم الاسنـان عندهم الى "ثنايـا" و "رَبَاعيـات" و "أنياب" و "أضراس" وتسمى الانياب فيما يظهر "ضواحك" ايضا .

كفيـة احداث اصوات الـكلام البشـري (1)

تقوم الرئتان اثناء عملية التصويت بدور المنفاخ ويكوّن الهواء الصاعد منهمـا ذلك التيار الغازي الذي يحدث ارتجاج الاوتار الصوتية، ذلك ان عضـلات الحلق قد تمدّد الاوتار الصوتية تمديـــدا مناسبا حتى اذا ما مر بهـا ذلك التيار الهوائي نزّت له الاوتـار نزيزا هو كنزيـز اللسان المتحـرك الموجود في بعض الانابيب المدوية، ويقوم الحلق وداخل الفم وداخل الانف في هـذه الـعملية بـدور "الـمـدوى" (Résonateur) بـالنسبـة الى الـصـوت المحدث هكذا. أي ان الحلق وداخل الفم والانف يدعمان هذا الصوت ويحوران صفتـه وذلك ما يحدث عند النطـق بالحركات وبالحروف المجهورة. اما اذا ارتخت الاوتار الصوتية ولم تنز ذلك النزيـز فان الصوت يصبح مجرد نفس يحوره داخل الفم تحويرا ما يختلف مداه واهميته، وذلك ما يحدث عند النطق بالحروف المهموسة. فهناك اذا في عملية التصويت عنصران لازمان وكافيان لاحداث الاصوات أو لإحداث أي دوي آخـر وهمـــا :

1 ــ اخراج النفس من الرئتين

2 ــ تفصيل النطق في الفم. ومن المفروغ منه ان المدوى الفموي يمكن ان تتغيـر هيئتـه وحجمه حسب ارادة الناطـق. وهناك عنصران آخران قد يضافان الى العنصريـن الاولين اولا يضافـان اليهمـا وهمـا :

---

(1) للزيادة فى تفصيل هذه المسألة انظر « دروس عموميات علم الاصوات » .

1 ـــ نـزيـز الاوتار الصوتيـة

2 ـــ الغنـة الخيشومية (التي تحدث اذا تَـنَـزّل غشاء الحنك وتنعدم اذا ارتفـع)

فماذا كانت معلومات النحاة العرب في ما يتعلق بهذه العملية المتشعبة جدا الخاصة باحداث الصوت وبالتصويت ؟ لقد عرف هؤلاء النحاة "النفَس" ودرسوا دراسة تفصيلية النطق الفموي بجميع صفاته كما وصفوه وصفا دقيقا جدا.

ولم يغب عنهم دور "المدوى الخيشومي" في احداث بعض الاصوات. وعلى العكس من ذلك فانه يبدو أن الاوتار الصوتية ودورها الاساسي في احداث الاصوات قد ظلا مجهولين لديهم جهلا تامـا .

ترتيب اصوات الـكلام البشـــري

ان الترتيب الاساسي الواجب في نظام الاصوات البسيطـة المكونـة للـكلام البشري هو ترتيبها حروفا وحركات، ويمكن تحديد الحروف والحركات تحديـدا وجيزا هكذا :

1 ـــ خاصية الحرف هي ان يقـوم حاجز في جهاز التصويت ثم ان يجتاز النفـس ذلك الحاجـز.

2 ـــ خاصية الحركة هي بالعكس ان لا يقوم حاجز في جهاز التصويت فيجري النفس حرا طليقـا .

واما النحاة العرب فقد اطلقوا اسم "حرف" ج. "حروف" (وهو اسم يطلق في الاصل على عناصر الابجدية) على كل صوت بسيط من الـكلام سواء أكـان حـرفـا (Consonne) في الـمـعـنى الـحـقـيـقي للـكـلمة اليوم ام حركة طويلة كحروف المدّ واللين . ويمكـن في نظام الـكتابة العربية أن تغفل الحركات القصيرة واذا ما اثبتت كان ذلك بواسطة علامات صغيرة مساعدة تكتب فوق الحروف أو تحتها وتدعى "حركات" وهو جمع حركـة، فلفظ "حركة" لا يقابل لفظ "حرف" بل لفظ "سكون" اي انعدام الحركـة.

وهكذا فبالرغم من وجود اسم للحركة وهو لفظ "مُصَوِّتة" واسم للحرف وهو لفظ "صامتة" فانه يمكننا القول بأن نظام الكتابة العربية هذا قد طمس بعض الشيء عند النحاة العرب معالم المقابلة الاساسية بين الحروف والحركات طمسا جعلهم لا يعيرون هذه المقابلة الاهمية الرئيسية التي تكتسي بها في الحقيقة .

نظـــام الحــروف

I – عمـــوميـــات

1 – عموميات صوتيـــة

لقـد سبق لنـا ان قلنا إن ما تختص به الحروف هو قيام حاجز داخل جهـاز التصويت ثم اجتياز النفس لذلك الحاجز. فمن الممكن اذن ان نرتب الحـروف :

أ) حسب النقطـة التي يقوم عندها ذلك الحاجز (اى مخارج الحروف)

ب) حسب درجة أهميـة ذلك الحاجز (اي درجات الانفتاح)

ج) حسب مختلف الخاصيات التي تصاحب قيام ذلك الحاجز (أي صفات الحروف).

أ) مخارج الحروف ؛ يجب التمييـز بين مخارج الحروف الآتية :

• الحروف الشفويـة : أي التي تقرع بانضمام الشفتين الواحدة الى الاخرى مثل الباء (p) والبـاء والميم والـــواو.

• الحروف الشفوية الاسنانية : أي التي تقرع بين الشفة السفلى منطبقة على الثنايا العليـا مثل الفاء والڢـــاء (v) .

• الحـروف التي بين الاسنان : أي التي تقـرع بوضـع طرف اللسان بين الاسنان العليا والسفلى منفرجة انفراجا قليلا مثل الذال والثاء في الانقليزية والذال والثاء والظاء في العربيا

*الحروف الاسنانية : اي التي تقرع بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها مثل التاء والدال والنون والسين والزاي .

*الحروف الادني — حنكية : أي التي تقرع بوضع اللسان على أدنى الحنك مثل الكاف والقاف (g) [اذا كانا قبل حركتي i (الكسرة) أو e (الفتحة الممالة امالة شديدة)] و"تش" و "دج" ونحو الشين والجيم والياء واللام (لان الهواء يجرى فيها على حافتي اللسان) ونحو الراء (وتسمى الراء حرفا مكررا لان طرف اللسان ينز عند النطق بها) .

*الحروف الاقصى — حنكية : أي التي تقرع بضم ظهر اللسان الى الجزء الخلفي من الحنك نحو الكاف ونحو القاف (g) التي قبل a (الفتحة) و o (الضمة المنفتحة قليلا) و u (الضمة) في الفرنسية. ونحو حرف ŋ في مثل "ng" في الالمانية (وهو غنة في الخيشوم)

*الحروف اللهوية : (نسبة الى اللهاة وهي الطُلَاطِلَة) وتسمى بالفرنسية (Vélaires) أو (Uvulaires) (نسبة الى (Uvula) وهي اللهاة باللاتينية) اي التي تقرع بضم ظهر اللسان الى غشاء الحنك واللهاة مثل القاف والخاء والغين .

*الحروف الادنى — حلقية : (Pharyngales) أي التي تقرع بتضييق أدنى الحلق وبانقباض جداره نحو الحاء والعين .

*الحروف الاقصى — حلقية : (Laryngales) أي التي تقرع في اقصى الحلق أو بالاحرى في رأس قصبة الرئة، وهو قادر على الانفتاح أو الانغلاق نحو الهمزة والهاء.

ب) درجات الانفتاح : يمكن ترتيب الحروف حسب أهمية الحاجز القائم في جهاز التصويت — أي حسب درجة انفتاحه — كما يلي :

• الحـروف التي الانفتاح فيهـا معدوم أي التي يكون جهـاز التصويت منغلقـا تماما عند النطـق بهـا. وتسمى الحـروف الشديـدة (Occlusives)نحو البـاء (p) والبـاء والتاء والـدال والـكاف والڨاف (g) والقاف والهمزة.

• الحروف التي الانفتاح فيهـا ضعيف جدا اي التي يكون جهـاز التصويت فيهـا منفتحا انفتاحا قليلا والحاجز القائم فيه حاجز على قـدر عظيم من الاهـميـة وتـسمى هـذه الحـروف حروفا بين الشدة والـرخاوة (Fricatives) أو حروفا رخـوة (Spirantes) نـحو الفـاء والـڤـاء (v) والثـاء والذال والسيـن والـزاي والشيـن والجيم والخـاء والغين والحاء والعيـن.

وتسمى الحـروف التي هي وسط بين الحروف الشديـدة وبين الحروف الرخوة حروفـا شديـدة – رخوة (Affriquées) أي أن الجزء الاول منهـا شديـد والجزء الاخير رخـو مع لزومهـا نفس المخرج. ومن هذه الحروف "تـش" (č) و"دج" (ǧ) و"تس" (t^s) وهي حروف نجدهـا في بعض اللهجات العـربيـة .

• الحروف التي ينغلـق الفم عند النطق بهـا ولـكن مع تنزل غشاء الحنـك تنـزلا يسمـح للنفـس بالمـرور من الخيشوم. وتسمى هذه الحروف حروفا خيشـومية (Nasales) نحو الميـم والنون ونحـو النون الخفيفة : ŋ

• الحروف التي الانفتاح فيهـا انفتاح متوسط والتي يترك اللسان فيها للهـواء ممـرا كبـيرا نوعا ما. وتسمى هذه الحروف حروفا مائعة (Liquides) مثـل الـــراء واللام .

• الحروف التي الانفتـاح فيهـا كبيـر أي التي يكون ممـر الهـواء فيها أكبر مما في القبيل السابق، وتسمى هذه الحروف انصاف حركـــات (Semi-voyelles) مثـل الواو واليـــاء .

• الحروف التي الانفتاح فيهـا اكبر ما يكون أي التي ينفتح فيهـا جهاز

التصويت انفتاحا عاديا فيجرى النفس جريا. وتسمى هذه الحروف حروفا هاوية (Aspirées) نحو الهاء .

ج) صفات الحروف. بعد ان حددنا هكذا " المخارج " و"درجات الانفتاح" يجب ايضا ان نميز بين عدة خصائص في النطق :

*الحروف المضعفة وهي التي يمتد النطق بها فيضا هي مداها مدى حرفين بسيطين تقريبا وترسم هذه الحروف عادة في الابجدية الاوروبية بحرفين متتابعين "ب ب" (b b) "م م" (m m) الخ ...

*الحروف المجهورة (Sonores) وهي التي تنز الاوتار عند النطق بها، نحو الباء والدال والقاف (g) والڤاء (v) والذال والزاى والجيم وحرف "دج" (ǧ) والغين والعين والميم والنون واللام والراء والواو والياء .

*الحروف المهموسة (Sourdes) التي لا نزيز للاوتار الصوتية فيها. نحو الپاء (p) والتاء والكاف والهمزة والفاء والثاء والسين والشين وحرف "تش" (č) والخاء والحاء .

*الحروف المفخمة. وخاصيتها توتر عظيم في مختلف اعضاء جهاز التصويت مع تأخير المخرج شيئا ما نحو الطاء والصاد والظاء في اللغة العربية.

*الحروف المُلَيَّنَة (mouillées) التي يبدو الجزء الثاني منها كأنه ياء مثل حرف "نيْ" (gn) في كلمة (cygne) الفرنسية (سِينْيِ أي التَّمّ) و"لْيْ" و"نْيْ" (ll, ñ) في الاسبانية.

* الحروف الهاوية. وهي التي تبدو كأنها متبوعة بهاء متفاوتة القوة. مثل الپاء (p) والتاء والكاف في اللغة الالمانية و"ت ه" (t^h) و"ك ه" (k^h) في بعض اللهجات العربية .

*الحروف المتبوعة بزائدة لهوية شفوية أي التي تبدو كأنها متبوعة

بواو خفيفة مثل بو (b^w) وم و (m^w) وفو (f^w) وكو (k^w) وقو (g^w) في بعض اللهجات العربية وكو (k^w) وقو (g^w) وفو (f^w) وخو (h^w) في اللغة الحبشية .

*الحروف المتبوعة بزائدة انحرافية والتي تبدو متبوعة بلام خفيفة مثل ال (سْ لْ) (ڈ) في السامية والضاد في العربيّة .

د) اهم ظواهر تعامل الأصوات : قد تعمل الحروف المتابعة او المتجاورة في بعضها بعض فيحدث عن ذلك ظواهر مختلفة تابعة لعلم تعامل الاصوات. واهم هذه الظواهر هي الادغام والتباين والقلب .

اما الادغام فهو ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين ما الى التماثل أو الى الاتصاف بصفات مشتركة نحو : "دت" ←تّ. واذا كان الادغام جزئيا سمي "تقريبا" نحو : "نب ←مب". واما التباين فهو عكس الادغام أي انه ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين مثلين أو ذوى صفات مشتركة الى التباين. وذلك اذا كانا متجاورين نحو الراء في كلمة (peregrinum) (بِرِيڤْرِينُومْ) اللاتينية التي تصبح لاما في كلمة (Pélerin) (بِلِورِينْ) الفرنسية أي "الحاج" واما "القلب" فهي ظاهرة تتمثل في كون صوتين ما من الاصوات يتبادلان مكانهما في كلمة ما نحو (scintilla) في اللاتينية التي تصبح (stincilla) ثم (Etincelle) في الفرنسية (سَانْتِيلاَ ← سْتَانْسِيلاَ ← إيتَانْسَالْ : أي شرارة) فالقلب وقع بين السين والتاء .

2 – نظام الحروف في اللغة السامية : ان وجود عدة لغات سامية متقاربة جدا مثل اللغة الاكادية (وتتفرع الى الاشورية – البابلية) واللغة الكنعانية وتتفرع الى العبرية والفينيقية والمؤابية. واللغة الآرامية. واللغة الاوغاريتية (اى لغة رأس شمرا) واللغة العربية ولغة جنوب الجزيرة العربية (وتتفرع الى مرقومة وحبشية وعصريّة). ان وجود هذه اللغات قلنا يجعل من المحتمل وجود لغة اقدم هى السامية تكون مختلف اللغات السامية المذكورة مجرد فروع متطورة منها ومتفاوتة في درجة تباين بعضها عن بعض .

ونحن اذا قارنا بين الانظمة الحرفية التابعة لمختلف اللغات السامية أدانا ذلك الى التسليم بان اللغة السامية كانت تشتمل على النظام الحرفي التالي. فيه 31 حرفا (منها اثنان مشكوك فيهما في الحقيقة. وهما الباء المفخمة (ب̣ = ḅ) والدال ذات الزائدة اللامية أي د̣ل₂ ⟵ ḍ$^{l}_{2}$) (1)

p — b	پ — ب
(ḅ)	(ب̣)
m	م
w	و
t — d	ت — د
ḍ	د̣
n	ن
t_2 — d_2	ت$_2$ — د$_2$
ḍ$_2$	د̣$_2$
t^s — d^z	تس — دز
ḍ^z	د̣ز
t^l_2 — (d^l_2)	تل$_2$ — (دل$_2$)
ḍ$^l_2$	د̣ل$_2$
r, l, s, y	ر — ل — ش — ي
k — g	ک — ڤ
q	ق
ḫ — ġ	خ — غ
ḥ — ɛ	ح — ع
ɔ	ء
h	هـ

(1) لم نثبت في هذا الجدول الحروف المضعفة على ان كل حروفه قابلة للتضعيف .

وأول ما يسترعي الانتباه في هذا الجدول هو وجود 6 مجموعات مثلثة أو ثواليث متركبة من 3 احرف من مخرج واحد. أحدها مهموس وثانيها مجهور وثالثها مفخم محايد من حيث الجهر (1). وتمثل هذه الثواليث خاصية من خصائص نظام الحروف في السامية .

وثاني ما يسترعي الانتباه فيه هو ان اربعة من هذه الثواليث ذات مخرج اسناني. فأول ثالوث من هذه الاربعة متركب من حروف شديدة اسنانية عادية أي من التاء والدال والدال المفخمة. والثالوث الثاني منها متركب من حروف شديدة اسنانية يبدو أن مخرجها كان اكثر الى الامام بقليل من حروف الثالوث الاول وان شدتها كانت غير كاملة وقد اثبتها هكذا : ($ت_2$) و($د_2$) و($دِ_2$). ويمكن أن تصير هذه الحروف حروفا رخوة من بين الاسنان أو حروفا مشأشأة او حروف صفير.

والثالوث الثالث منها يحتوي على حروف شديدة اسنانية ذات زائدة رخوة من حروف الصفير وهي "تس" "ودز" و"دِز" وقد أصبحت حروف هذا الثالوث عادة حروف صفير.

واما الثالوث الرابع منها فمتركب من حروف شديدة أسنانية ذات شدة ضعيفة، أي انه من المحتمل أنها كانت شبيهة بحروف الثالوث الثاني الا انها متبوعة بزائدة انحرافية هي نوع من اللام الخفيفة وترسم هكذا : "$ت^{ل}_2$" و"$د^{ل}_2$" و"$دِ^{ل}_2$" مع ملاحظة ان العنصر المجهور من هذا الثالوث الاخير مشكوك في وجوده .

وآخر ما يسترعي الانتباه في هذا الجدول هو وفرة الحروف الاقصى– حنكية واللهوية والحلقية وهي حروف تمثل ايضا خاصية هامة من خصائص نظام الحروف في اللغات السامية .

3 – نظام الحروف في العربية القديمة

ان العربية تبدو لنا منذ نصوصها الاولى محتوية على نظام ذى 28

(1) أى ان جهره لا قيمة له من حيث علم وظائف الاصوات وذلك لأن هذا الحرف المفخم (وهو مجهور احتمالا) لا يقابل حرفا ثانيا مفخما **مهموسا** .

حرفا كما ترى ذلك في الجدول أسفله (1)، واذا قارنا بين هذا النظام ونظام اللغة السامية بانت لنا عدة تطورات هامة :

فقد تهدّم الثالوث الشفوى بقلب الپاء (p) فاء وباضمحلال الباء المفخمة (ḅ) وهو في الحقيقة حرف مشكوك في وجوده في السامية.

ولئن بقي الثالوث الاسناني الاول سالما فقد اصبح الثالوث الثاني ثالوثا من الحروف الرخوة مخرجها بين الاسنان وانقلب الثالوث الثالث فأصبح يتركب من حروف صفيرية. واما الثالوث الرابع فقد تهدم بانتقال ”تل$_2$“ الى ”ش“ وباضمحلال الـ ”دل$_2$“ المجهور والمشكوك في وجوده في الحقيقة. فلم يبق اذا الا صوت واحد متبوع بزائدة انحرافية هو حرف الضاد. كما قلب الشين السامي القديم فأصبح سينا واختلط بالسين المنحدرة من الثالوث الاسناني الثالث وعوضت الشين القديمة بشين جديدة انحدرت كما رأينا من ”تل$_2$“ .

وأخيرا فقد تهدم الثالوث الاقصى حنكي اذ قلب حرف القاف (g) حرفا ادنى حنكيا هو الجيم (ǧ) فلم يسلم من التغيير الا نظام الحروف اللهوية والأدنى — حلقية والاقصى حلقية ونظام الحروف المائعة وانصاف الحركات واليك جدول الحروف العربية .

ب (b) م (m) — و (w) — ف (f) — د (d) — ت (t) —
ط (ṭ) أو (ḍ) — ن (n) — ث (ṯ) ذ (ḏ) — ظ (ḏ̣) —
س (s) — ز (z) — ص (ṣ) — ر (r) — ل (l) — ض (ḍ) —
ج (ǧ) — ش (š) — ي (y) — ك (k) — ق (q) — خ (ḫ) —
غ (ġ) — ع (ʿ) — ح (ḥ) — ء (ʾ) — ه (h) -

وعدد حروف هذا النظام عند النحاة العرب (2) تسعة وعشرون حرفا اصليا مرتبة حسب مخارجها من الحلق الى الشفتين هكذا : الهمزة والالف (3)

(1) لم نثبت فى هذا الجدول أيضا الحروف المضعفة على أن كل حروفه قابلة للتضعيف .

(2) سيبويه — (طبعة ديرانبورغ : Dérenbourg) الجزء الثانى ص 452
والزمخشرى — ابن يعيش (طبعة القاهرة) الجزء العاشر ص 125 — 128 .

(3) الألف فى نظرنا ليست حرفا .

والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو، ويضيف النحاة العرب الى هذه الحروف التسعة والعشرين الاصلية حروفا اخرى باعتبار نطقها الخاص هي :

1) ستة احرف مستحسنة في نظرهم هي النون الخفيفة وهمزة بين بين والالف الممالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي والف التفخيم.

2) ثمانية احرف مستهجنة في اعتقادهم يستعملها العرب الذين خالطوا الاعاجم هي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء .

3) خمسة احرف يضيفونها احيانا هي القاف التي بين القاف والكاف والجيم التي كالزاي والشين التي كالزاى والياء التي كالواو (اي ما يسمى بالإشْمام) والواو التي كالياء .

وهكذا فان عدد الحروف عند العرب يرتقي الى مجموع ثمانية واربعين حرفا بل الى 50 حرفا اذا اعتبرنا ان همزة بين بين تنطق بثلاث كيفيات مختلفة.

1) ويمكن ترتيب الحروف العربية <u>حسب مخارجها كما يلي</u> :

- 3 أحرف شفوية هي الباء والميم والواو.
- حرف واحد شفوي اسناني هو الفاء
- 3 أحرف من بين الاسنان : هي الثاء والذال والظاء.
- 7 أحرف اسنانية هي : التاء والدال والطاء (الدال المفخمة : ḍ) والنون والسين والزاي والصاد .
- 6 أحرف أدنى – حنكية هي الجيم والشين والياء والراء واللام والضاد.
- حرف واحد اقصى – حنكي هو الكاف

— 3 أحرف لهوية هي القاف والخاء والغين .

— حرفان أدنى — حلقيان هما الحاء والعين .

— حرفان أقصى — حلقيان هما الهمزة والهاء .

ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب (1) نظرية احكموا ضبطها بعناية. فهم يقسمون مخارج الحروف الى 16 (2) مخرجا هي :

1) اقصى الحلق وهو مخرج الهمزة والهاء والالف .

2) وسط الحلق وهو مخرج العين والحاء .

3) ادنى الحلق وهو مخرج الغين والخاء .

وتسمى حروف هذه المجموعات الثلاث "حروفا حلقية" .

4) اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى وهو مخرج القاف .

5) ما هو اسفل بقليل من مخرج القاف بين اللسان والحنك الاعلى وهو مخرج الكاف. ويسمى هذان الحرفان (اي القاف والكاف) "لهويين"

6) وسط اللسان ووسط الحنك الاعلى وهو مخرج الجيم والشين والياء وتسمى هذه الحروف "شجرية" اي "حروف منفتح الفم" .

7) أول حافة اللسان والاضراس وهو مخرج الضاد .

8) جميع اول حافة اللسان وأول الحنك الاعلى والاضراس الصغرى والانياب والثنايا وهو مخرج اللام.

9) طرف اللسان والثنايا وهو مخرج النون .

10) نفس المخرج السابق الا انه ادخل في ظهر اللسان بقليل وقريب من مخرج اللام وهو مخرج الراء .

---

(1) سيبونيه(طبعة ديرانبورغ)الجزء II ص 452—453 والزمخشرى — ابن يعيش (طبعة القاهرة) الجزء العاشر ص 123 — 125 — وص 131 ... الخ ...

(2) ويقسمونها الى 17 مخرجا فى بعض كتب التجويد .

وتسمى اللام والنون والراء حروفا "ذَلْقية" او "ذَوْلقية" اي حروفا تقرع بذولق اللسان وهو طرفه .

11) طرف اللسان وأصول الثنايا وهو مخرج الطاء والدال والتاء.

وتسمى هذه الحروف حروفا "نِطْعية" أي أدنى حنكية .

12) طرف اللسان وأعلا باطن الثنايا وهو مخرج الزاي والسين والصاد. وتسمى هذه الحروف "حروفا أَسَلية" أي حروفا تقرع بأسلة اللسان وهو طرفه اذا استدق .

13) طرف اللسان واطراف الثنايا وهو مخرج الظاء والذال والثاء. وتسمى هذه الحروف "حروفا لِثَوية".

14) الشفة السفلى والثنايا وهو مخرج الفاء .

15) الشفتان وهو مخرج الباء والميم والواو .

وتسمى الفاء والباء والميم والواو "حروفا شفوية" او "شفهية" .

16) الخيشوم وهو مخرج النون الخفيفة (ذات النطق الخيشومي)

وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جلية ملحوظة وموافق تقريبا لترتيبنا نحن .

II – ويمكن ترتيب الحروف العربية حسب درجات انفتاحها كما يلي.

– 7 أحرف شديدة هي الباء الشفوية والتاء والدال والطاء (د) الاسنانية والكاف الاقصى حنكية والقاف اللهوية والهمزة الاقصى – حلقية

– حرف واحد شديد ذو زائدة رخوة هو الجيم.

– 14 حرفا رخوا هي الفاء الشفوية الاسنانية والثاء والذال والظاء التي من بين الاسنان والسين والزاي والصاد الصفيرية والشين المشأشأة والضاد ذات الزائدة الانحرافية والخاء والغين اللهويتان والحاء والعين الادنى حلقيتان والهاء الاقصى حلقية .

– حرفان خيشوميان هما الميم والنون .
– حرفان مائعان هما الراء المكررة واللام الانحرافية
– نصفا حركتين هما الواو والياء .

III – ويمكن من جهة اخرى ترتيب الحروف العربية حسب صفاتها كما يلي :

أ) الحروف المضعفة والحروف التي لا تضعيف فيها وجميع الحروف العربية قابلة للتضعيف .

ب) الحروف المجهورة وهي الباء والميم والواو والدال والذال والظاء
د) والنون والزاي والجيم والياء والراء واللام والضاد و(القاف) والغين والعين. والحروف المهموسة وهي الفاء والثاء والتاء والطاء والسين والصاد والشين والكاف والقاف والخاء والحاء والهمزة والهاء. وسيأتي فيما بعد الحديث عن مسالة هل الطاء والقاف حرفان مجهوران ام مهموسان.

ج) الحروف المطبقة وهي الطاء (الدال المفخمة) والظاء والصاد والضاد. وقد يضاف اليها القاف. والحروف غير المطبقة وهي سائر الحروف الاخرى وسياتي فيما بعد الكلام عن الحروف "المفخمة".

د) الحروف ذات الزائدة الانحرافية. وليس في العربية من هذه الحروف الا حرف واحد هو الضاد.

ولم يفرق النحاة العرب بين "درجات الانفتاح" وبين "صفات النطق" بل نراهم يرتبون هذين النوعين من الخصائص في باب واحد هو باب "صفات الحروف" . ويذكرون من هذه الصفات تسع عشرة صفة على الاقل اذ منهم من يذكر اكثر من ذلك العدد. ويقسمونها الى "صفات ذات مقابل" و"صفات لا مقابل لها" فلننظر في هذه الصفات المختلفة حسب الترتيب الذي تذكر فيه عادة (1)

(I) سيبويه : II ، الصفحة 453 – 455 والزمخشرى ابن يعيش : X الصفحة I28 – I3I – وانظر ايضا كتب التجويد .

1) الجهـر ويقابلـه الهمس :

وتنقسم الحروف بمقتضاهما الى مجموعتين اثنتين : الحروف المجهورة والحروف المهموسـة. وتحديـد الجهـر والهمس تحديـد غامض يمكن التناقش في معنـــاه. وقد قبل الباحثـون (انظر مثلا شاده Schaade ص13) مدة طويلة الفكرة القائلـة بان الحروف المجهورة هي الحروف التي نسميها " Sonores "(سُنُورْ) وان الحروف المهموسة هي الحروف التي نسميهـا " Sourdes "(سُورْدْ) الا ان بعض الباحثين قد قاموا منذ بضع سنوات برد فعـل عنيف ضد هذه النظرية انظر غاردنير (Gairdner) "علماء الاصوات العرب" ص 243—246 وبرفمان (Bravmann) ص: 21ـ25) والاعتراضات التي اعترضوا بها على هذه النظرية القائلة باتحاد كلمتي مجهورة و "Sonores" وكلمتي مهموسـة و " Sourdes "في المعنى وهي الآ تيـــة :

أ) لقد كان علماء الاصوات العرب يجهلـون الدور المضبوط الذي تقوم به الاوتـار الصوتيـة. على ان الجواب على هذا الاعتراض يسير اذ انه يمكن التفطـن الى المقابلة بين المجهورة والمهموسـة (Sonore / Sourde) تفطـّنـا دقيقا جدا بدون معرفة سببهـا الحقيقي .

ب) لقد قام نقاش في معنى عبارتي "مجهـورة" و"مهموسة". ومن البـاحثين من يشك في صـحـة ترجمتهمـا بكلمتي " Sonore " و " Sourde " ان كـلمـة مـجهـورة معناهـا في الحقيقـة : " Eclatante " (إيكْلاَتَـانْتْ : أي رَنَّان) وان كلمة مهموسة تعني : " Etouffée " (إيـتُـوفّـي : أي مخنوق) وان برافمان (Bravmann) ليس على خطأ في اعتبـــاره لفظ مجهور مرادفا للفظ قـوي ولفظ مهموس مرادفا للفظ خفيف او ضعيف. على ان ذلك لا يعني استحالة استعمال العرب لفظ مجهور في معنى مانسميه: "Sonore" (سُنُورْ) واستعمالـــهم لفظ مهموس في معنـى ما نسميـه : " Sourde " (سُورْدْ) افليس هذان اللفظـــان الفرنسيان ذاتهما غير مناسبين في استعمـالنا لهما على الـكيفية التالية : " Sonore " اى حرف مصحوب بنزيـز الاوتار الصوتية و " Sourde " اى حرف غير مصحوب بذلك النـزيـز ؟

ج) ويبلغ النقاش اعلى درجات الحدة فيمـا يتعلق بقائمـة الحروف

المجهورة والحروف المهموسة على النحو الذي ذكرها عليه سيبويه والزمخشري وابن يعيش. فالحروف المجهورة حسب النحاة هي : الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو. بينما الحروف المهموسة عندهم هي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء .

وقد لاحظ الباحثون من حين عرف هذا النص وتناقشوا فيه ان الهمزة (وهي حرف مهموس" Sourd " بطبيعته) وان القاف والطاء (وهما حرفان مهموسان " Sourds " حسب القراءة التقليدية التي وصلت الينا) محشورة في تلك القائمة في زمرة الحروف المجهورة. على ان هذا الاعتراض—وان اثر في النفس في الظاهر — ليس له قيمة حقيقية .

فسنرى فيما بعد ان القاف والطاء ربما كانا في الاول حرفين مجهورين " Sonores " في قسم من اقسام العربية القديمة على الاقل. واما الهمزة فمن الممكن ان يكون اتصالها المتواتر بالالف قد جعلهم يعتبرونها خطأ مجهورة. وخلاصة القول ان الحجج التي قدمها المعترضون لا تودي الى اليقين وان تقسيم الحروف الى مجهورة والى مهموسة يوافق فيما يبدو تقسيمنا اياها الى " Sonores " والى " Sourdes " موافقة تامة. على الاقل عند سيبويه والزمخشري، اذ ليس من الحكمة والتبصر الركون الى نحاة عهد الانحطاط الذين يستشهد بهم برافمان في صفحة 22.

2 — وتوافق المقابلة بين "الشدة" والرخاوة" مقابلتنا بين " Occlusion " (أوكْلُوزْيُونْ) و" Spirantisme " (سْبِيرَانْتِيسْم) موافقة كاملة. فالحروف "الشديدة" هي الحروف التي نسميها " Occlusives " بالذات وتسمى ايضا "حروفا آنية" وقائمة الحروف الشديدة التي نجدها عند سيبويه (II ، ص 454) وعند ابن يعيش (X، ص 129) مطابقة لنظريتنا الحديثة تمام المطابقة. فهما يذكران فعلا : الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والباء والتاء.وكذلك لا تحتوي قائمة الحروف الرخوة او" المتواصلة" عندهما الا على الحروف التي نسميها نحن " Spirantes " اي : الحاء والهاء والغين والخاء والشين والسين والضاد والزاي والصاد والظاء والثاء

والذال والفاء. واما الحروف الباقية اى الالف والغين واليـاء واللام والنون والراء والميم والواو فيعتبرونهـا بين "الشدة والرخاوة".

وفعلا فان النون والميم خيشوميان واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في النطـق والالف والواو والياء هي "حروف المد" : فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب الا في ما يتعلق بحرف العين. وما عدا ذلك فان الترتيب مطـابق لترتيب علمـاء الأصوات العصرييـن .

3 ــ الاطباق ويقابله الانفتاح. وتشمل هاتـان الصفتان جزءا من مفهومي الـ "التفخيـم" و"انعدام التفخيـم" عندنـا. على ان تحديـد النحاة العرب لهما تحديد بعيد عن الوضوح. وانـا اكتفي في هذا الصدد بالاستشهاد بتحديد سيبويه (II ،ص 455) اذ يقول "فامـا المطبقة فالصـاد والضاد والطاء والظاء والمنفتحـة كل ما سوى ذلك من الحـروف ..وهذه الحروف الاربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه الى الحنك فاذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك الى موضع الحروف واما الدال والزاى ونحوهمـا فانمـا ينحصر الصوت اذا وضعت لسانك في مواضعهن فهذه الاربعة لها موضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا (1) والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الـكلام لان ليس شيء من موضعها غيرها" فالخـلاصة هي ان سيبويه ومن خلفه من النحاة يعتبرون الحروف المطبقـة حروفـا "محصورة". ومن الملاحظ ان النحاة العرب لم يثبتوا في قائمة الحروف المطبقـة لا حرف القاف ولا بعض الحالات الخاصة في نطق الراء واللام التي تسمى عندنـا راء "مفخمـة" و"لاما مفخمة" وذلك لان النحاة العرب يعتبرون هذه الحروف حروفا "مفخمـة" (2)

4 ــ الاستعـلاء . وليس يخلو الاستعلاء من بعض الاتصال بالاطباق ويعرف الزمخشري (ص 190) وابـن يعيش (X ، ص 129) يعرفان الاستعلاء

(1) سنناقش فيما بعد هذا القول الجدير بالملاحظة .
(2) اى ان العرب يفرقون بين المطبقة والمفخمة بينما يجمعها علماء الاصوات العصريون فى لفظ « Emphatiques »(المعرب) .

هكذا : "والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت أم لم تطبق" "والحروف المستعلية هي الحروف المطبقة الاربعة ثم القاف والخاء والغين. ويقابل الاستعلاء الانخفاض أو الاستفال وتسمى الحروف غير المستعلية مستفلة أو منخفضة ويضيف بعض المؤلفين المتأخرين في الزمن الهاء والعين الى الحروف المستعلية.

5 — ولا يمكن التفريق بين التفخيم وبين الاطباق والاستعلاء وان كان التفخيم لا يذكر عادة في قائمة صفات الحروف. ويسمى التفخيم ايضا "تغليظا" أو "تسمينا" ويقابله "الترقيق" (1) ومن الراجح فيما يبدو ان لفظ "التفخيم" يطلق على بعض الحروف التي لها وقع خاص على السمع أي وقع "فخم" أو "غليظ" أو "سمين" على الاذن. وهذه الحروف هي الاربعة المطبقة ثم القاف والخاء والغين ثم الراء واللام في بعض حالاتهما الخاصة. ومن خصائص الحروف المفخمة الاساسية انها تمنع الامالة بجوارها اي انها تمنع جنوح الفتحة الى الكسرة وهذا الجنوح كثير الحدوث في جوار الحروف المرققة. ولنذكر ايضا ان التفخيم لا يطلق على الحروف فقط بل وايضا على الحركات فهناك في العربية "الف التفخيم" وهي فيما يبدو فتحة خلفية (اى å) تميل الى الحركة الخلفية نصف المنغلقة (اى o) ويبدو ايضا ان التفخيم قد يدخل على الياء ويسمى ذلك "إشماما".

6 — ويقسم النحاة العرب الحروف الى "مذلقة" و"مصمتة". وعدد المذلقة ستة هي اللام والراء (ونسميها نحن " Liquides " "ليكيد" أي مائعة) ثم النون والحروف الشفوية الثلاثة اي الباء والفاء والميم .

ولنستعرض الآن بسرعة صفات الحروف التي لا مقابل لها.

7) حروف القلقلة : وهي الحروف التي لها صوت شديد الوقع لانها جمعت بين الجهر والشدة أي أنها تتمثل في خمسة أحرف شديدة ومجهورة

---

(1) على الراغب فى الزيادة من التفاصيل الرجوع الى آراء ماتسون (Mattsson) ص 18 — 32 .

هي القاف (1) والجيم والطاء (1) والدال والباء. واذا كانت هذه الحروف آخرة في الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جدا وسميت قلقلة كبرى. واذا كانت وسطا سميت القلقلة بخلاف ذلك أي قلقلة صغرى.

8) حروف الصفير وهي الحروف الصفيرية الثلاثة اي السين والزاي والصاد

9) حروف اللين : وهي الواو والياء والالف وتسمى ايضا احيانا "حروف المد" .

10) الهاوي "اي الذي فيه هواء" وهو نعت ينعت به الالف الجرسي اي "الالف الذي يحدث صوتا" للمقابلة بينه وبين الالف اذا كان عماد الهمزة .

11) الانحراف : وهو خاصية اللام لان اللسان ينحرف عند النطق بهذا الحرف ويجري الصوت من جانبي اللسان وذاك ما نعبر عنه نحن بعبارة : " Latérale " (لاَتيرَال أي جانبي) .

12) التكرير : وهو خاصية الراء اذ انه يقع فعلا "تكرير" النطق وذلك لان النطق بالراء يتمثل في عدة نزات وارتعشات في طرف اللسان.

13) التفشّي : هو خاصية حرف الشين وذلك لان اللسان يتفشى فعلا على الحنك فيتكون في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس .

14) الاستطالة وهي صفة الضاد وربما كان السبب في هذه التسمية وجود تلك الزائدة الانحرافية في الضاد .

15) المهتوت ومعناه "المحصور المكسور" أو "المقول بسرعة وغزارة في الكلام" ويطلق ابن جني في "سر الصناعة" هذا النعت على الهاء (كما يذكر ذلك برافمان (Bravmann) ص 41). ويذكر الازهري في

---

(1) فيما يتعلق بجهر القاف والطاء أنظر صفحة 35 وما بعد هذا .

"تهذيب اللغة" (ص 41) ان الخليل يطلق لفظ المهتوت على الهمزة (انظر برافمان ص 39) (Bravmann) اما الزمخشري وابن يعيش (×ص 128 و 131) فيطلقانه على التاء الا انه من المحتمل ان ذلك ناتج عن غلط من الناسخ وان الصواب هو ان نقرأ "هاء" عوض "تاء"

التشديد : من الملاحظ ان التشديد (1) (وهو اللفظ العربي الموافق لـ (Gémination) جِمِينَاسْيُونْ : اي تشفيع) ليس موجودا في قائمة صفات الحروف والراجح ان السبب في ذلك هو ان التشديد لا يغير من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل من مداها فقط.

IV — الظواهر التابعة لتعامل الاصوات :

لم يعتن النحاة العرب كثيرا بالقلب ولا بالتباين وقد خصصوا بالعكس حيزا عظيما من كتبهم لدراسة الادغام الجزئي او ما يسمى "تقريبا" وقد حشروا ذلك في ابواب مختلفة سموها "بدلا" او "ابدالا" و"قلبا" أو "اقلابا" اي "احلال حرف محل حرف آخر" ويلح النحاة العرب بصفة خاصة على "الادغام الكامل" ويسمى ادّغاما (بتشديد الدال) عند البصريين (2) وادْغاما (بتخفيف الدال) عند الكوفيين.

بل ويذكرون عدد الحروف ومخارجها وصفاتها في باب حديثهم عن الادغام ويفرقون بين الادغام الكبير والادغام الصغير. فالادغام الصغير هو ادغام حرفين متصلين اتصالا مباشرا والادغام الكبير هو ادغام حرفين تفصل بينهما حركة. ويقع الادغام في هذه الحالة بسقوط اي حذف الحركة (اي بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة) اولا ثم بادغام أحد الحرفين في الآخر.

وفي كلتا الحالتين لا يجوز الادغام الا اذا كان الحرف الثاني متبوعا بحركة. ويفرق النحاة ايضا بالاعتماد على درجة تشابه الحرفين المدغمين

(1) نجتنب استعمال لفظ « شدة » المخصص لـ (Occlusion) (أكلوزيون : أي غلق) أنظر أعلاه ص 35 .

(2) ابن يعيش — × — ص : 121 .

بين ادغام المتماثلين اي ادغام حرفين لهما نفس المخرج ونفس الصفات وبين ادغام المتجانسين اي ادغام حرفين لهما نفس المخرج ولكن ليس لهما نفس الصفات وبين ادغام المتقاربين اي ادغام حرفين مخرجاهما وصفاتهما متقاربة .

4 ــ أنظمة الحـــروف في مختلف الالسـن العربية الدارجـــة

لقد طرأت على نظام الحروف العربية القديمة كما وصفناه تحويرات وتغييرات مختلفة وذلك في مختلف الالسن العربية الدارجة. ومن هذه التحويرات ما هو قديم معروف عند النحاة العرب ومنسوب عندهم الى بعض الالسن الدارجة التي كانت موجودة في عصرهم ومنها ايضا ما هو بالعكس احدث بكثير .

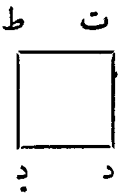
وسندرس هذه التحويرات او التغييرات عند التعرض الى الاصوات صوتا صوتا ونكتفي هنا بذكر بعض الاعتبارات العامة .

ان الامر الذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره في نظام حروف العربية الفصحى هو وجود عدد كبير من الاصوات المنعزلة اي عشرة حروف من مجموع ثمانية وعشرين حرفا ومعنى كونها منعزلة هو انها لا تنتسب لا الى ازواج ولا الى ثواليث. ذلك ان المرحلة الخاصة بالعربية الفصحى في تاريخ تطور نظام الحروف العربية مرحلة لا تنظيم فيها مرحلة تفتت وتلاش. وبالعكس من ذلك فاننا نرى ان انظمة حروف الالسن الدارجة التي امكننا النظر فيها قد وصلت الى مرحلة نظمت فيها الاصوات تنظيما جديدا اما بحذف الاصوات المنعزلة أو بدخولها من جديد في مجموعات ثنائية او في ثواليث أو حتى في كتل أوسع.

ولنستعرض الآن بسرعة اهم هذه التغييرات.

1) نلاحظ ان الثالوث المتركب من حروف رخوة من بين الاسنان قد اضمحل في كثير من الاحيان من لهجات الحضر فصارت حروفه حروفا شديدة وانضمت عادة الى الحروف الشديدة الاسنانية الموجودة من قبل

فكونت معها مربعا من الحـــروف الشديـدة الاسنانيـة .



(أي دال مفخمة)

2 ــ لقد كان ثمة في نظـام حروف الفصحى حرف شديـد ذو زائدة رخوة مشأشأة وهو الجيم (ǧ) وحرف مشأشأ هـو الشين. وكان هذان الحرفان منعزلين وقد دخلت عليهمـا فيما بعد عدة تنظيمات جديـــدة.

أ) فقد صار حرف "دْجْ" جيما تونسية في بعض اللهجات فنتج عن ذلك ان تكون زوج ش ـ ج (تونسيـة).

ب) وقد تغيرت الـكاف في بعض اللهجات فاصبحت تْشْ " (č)
فنتج عن ذلك ان تـكون ثالوثان جديدان همـا : تْشْ ــ ش
دْجْ

(في حالـــة بـقـاء الـجيـم على نطـق : دج) و : تْشْ ــ ش
ج (تـونسية)

(في حالة انتقـال الجيم من نطق "دْجْ" الى النطـق التونسي)

3 ــ وقد اضمحل ايضا حرف الضاد الذي كان حرفا منعزلا وذلك بان ختلط بالظاء فانعدم بذلك وجود حرف ذي زائدة انحرافية من نظام حروف العربيـــة .

4 ــ لقد فـكـكت احيانا المجموعة الثنائية المتركبة من : ك ــ ق وذلك في لهجات الحضـر :

أ) بأن صارت القاف همزة

ب) بأن صـارت الـكاف "تْشْ " (č) والقاف كـافا

وقد بقيت هذه المجموعة الثنائية في الاكثر كما هي او على هيئة اخرى هي : كـ ــ ڨ وذلك بان صار القاف ڨافـا أي حرفا مجهورا أقصى حنكيا بسيطـا نجده في لهجات البدو الرحل وقد أعيد أحيانـا بناء ثالوث من الحروف

الشديدة الاقصى حنكية هكذا : كَ ــ ڤ وذلك اما بان صارت الجيم "ڤ" وانزادت
ق

الى اللغة كما في لهجات سكان المدن بمصر واما بان دخل حرف "ڤ" المجهور في اللغة عن طريق لهجات البدو المجاورين كما في لهجات سكان المدن في افريقيا الشمالية. واما بان صارت القاف ڤافا مجهورا مع دخول قاف أخرى في اللغة عن طريق الأخذ من لهجات سكان المدن المجاورين كما في لهجات البدو في شمال افريقيا. وعلاوة على هذه العمليات التي أعيد بها بناء هذه الاصوات على أشكال مختلفة فقد تكونت في عدد لا بأس به من الاحيان أصوات خاصة نحو الحروف ذات الزائدة الشفوية — اللهوية (أي المتبوعة بواو خفيفة) مثل "بـ و" (b^w) وم و (m^w) وف و (f^w) وك و (k^w) وڤ و (g^w) ونحو الحروف الهاوية (اي المتبوعة بهاء خفيفة) : "ت ه" (t^h) "وك ه" (k^h) ونحو الحروف الشديدة ذات الزائدة الرخوة الصفيرية (أي المتبوعة بسين أو زاي خفيفين مثل "تـ س" (t^s) و"دز" (d^z) ونحو الحروف المالينة (اي المتبوعة بياء خفيفة مثل "تـ ي" (t^y) و"كـ ي" (k^y). وبعض هذه الاصوات لها قيمة تمييزية وبعضها الآخر لا وظيفة صوتية له .

II . الحروف الشفوية

كانت اللغة السامية تحتوي فيما يبدو على الثالوث التالي المتركب من حروف شديدة شفوية :

پ (اي p) ــــ ب
ب \ (أي باء مفخمة)

وكان فيها ايضا الى جانب ذلك الثالوث حرف خيشومي هو الميم ونصف حركة هي الواو. اما العربية القديمة فقد تهدم فيها نظام تلك الحروف وذلك بان اضمحلت الباء المفخمة (المشكوك في وجودها في الحقيقة) وبان صار الحرف المهموس پ (p) حرفا رخوا شفويا اسنانيا هو

الفاء. فنتج عن ذلك ان احتوت العربية الفصحى على الحروف الشفوية الاربعة الآتية : حرف شديد فموي من بين الشفتين مجهور (1) هو الباء وحرف شديد خيشومي من بين الشفتين مجهور (1) هو الميم ونصف حركة من بين الشفتين مجهورة (1) هي الواو وحرف رخو شفوي اسناني مهموس (2) هو الفاء . وتسمى هذه الحروف عند العرب حروفا "شفوية" على ان صفة الفاء الشفوية الاسنانية مذكورة عندهم بدقة وخاصة عند سيبويه اذ يقول في كتابه (II ص 453) "ومن باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء". ولما كان من العسير ان نفرق بين الواو والياء فلن ننظر في الواو هنا الا نظرة عرضية وعلى الراغب في الزيادة من التفصيل ان يرجع الى الفقرة الخاصة بانصاف الحركات من هذا الكتاب.

لا يذكر النحاة العرب من التغييرات المقيدة أو المطلقة (3) الطارئة على الحروف الشفوية الا عددا قليلا :

فيذكر سيبويه (II ص 452) نطقا مستهجنا لحرف الباء وهو "نطقها كالفاء" اى نطقا رخوا. ويذكر ابن يعيش (X ص 128) ظاهرة معاكسة اى الفاء التي تنطق كالباء في نحو "فَوْر" تنطق "بَوْر" ويضيف ابن يعيش بانّ ذلك النطق كثير في لغة الفرس. جاء في شرح السِّيرَافِي لكتاب سيبويه ان الخلط بين الباء والفاء كثير في لغة الاعاجم وذلك اما بانْ تغلب الباء على الفاء (اى انه ينزع بالفاء الى الشدة) واما بالعكس بان تغلب الفاء على الباء (اى انه ينزع بالباء الى الرخاوة) ومثل ذلك ما جاء في نصوص التجويد

---

(1) غير ان هذا الجهر جهر محايد لا مفعول صوتي له اذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة تكون لها وظيفة صوتية .

(2) غير ان هذا الهمس همس محايد لا مفعول صوتي له اذ لا وجود لحرف مجهور مقابل تكون له وظيفة صوتية .

(3) يجب ان نميز باتقان فيما يتعلق بالتغييرات الصوتية الطارئة على الاصوات بين :
أ ــ التغييرات المطلقة التى تحدث مهما كان موضع الاصوات المعنية ومهما كانت الاصوات المجاورة لها وبين :
ب ــ التغييرات المقيدة التى تنتج عن جوار أصوات معينة .

التي ذكرها "برافمان" (Bravmann) ص 76 من تحذير من نطق الباء نطقاً رخوا كما كثر ذلك بالمغرب العربي .

ويذكر النحاة بعض الامثلة التي تدل على ان الباء قد تصير ميما بصفة مطلقة وذلك نحو ما ذكره الاصمعي من انهم يقولون "بَنَات مَخْر" (اي سحب بيضاء خفيفة تظهر قبل فصل الصيف) عوض "بَنَات بَخْر" وما ذكره ابن العلاء من قولهم "رَاتِما" (اي لا يتحرك) عوض "رَاتِبا". وكذلك يذكر ابن الاعرابي قولهم "نُغَم" (جمع نغمة وهو الجرعة) عوض "نُغَب" (انظر الزمخشري ابن يعيش (X ص 33 — 36) وعكس ما سبق موجود كذلك فمثال "بَكَّة" عوض "مَكَّة" في بعض اللهجات دليل على ان الميم قد تصير باء بصفة مطلقة ايضا (انظر هول (Howell) في كتابه "النحو العربي" (Arabic Grammar) (الفقرة : 682 : ١٧ ص 1194)

وكذلك يذكرون مثالا صارت فيه الباء فاء وذلك قولهم "خُذه بافّانه" عوض "خُذهُ بِابّانه" (اي خذه في وقته) ومثالا آخر وقع فيه العكس اي ان الفاء صارت باء وذلك في قولهم "بِسكِل" (بكسر الباء وضمها) عوض "فِسكِل" (بكسر الفاء وضمها ومعنى الكلمة "الآخر الذي لا قيمة له" (انظر "هول" النحو العربي الفقرة 696 : أ (A) ١٧ ص 1394) كما انه ثمة مثالا مشكوكا فيه اكثر من الامثلة السابقة يدل على ان الباء تصير تاء في قولهم "ذَعالتُ" و "ذَعاليتُ" عوض "ذَعالبُ" "وذَعاليبُ" اي : "ثياب خلقة" (انظر ابن يعيش : X ، صفحة 41 و "هول" : النحو العربي : الفقرة : 689 : ١٧ صفحة 1354) وهو في الضعف كالمثالين الدالين على ان الباء تسقط بين كسرتين وهما قولهم : "ثَعالٍ" و "أَرانٍ" عوض "ثَعالِب" و "أَرانِب" (والمثالان من بيت للشاعر ابي خليل النمير بن تولب اليشكري) (انظر : "هول" : النحو العربي : الفقرة 682 و685، ١٧ ، ص: 1297). ويبدو ان الميم السامية تنزع الى الانقلاب نونا في نهاية الكلمات العربية. مثال ذلك ان علامات اعراب النكرة في اللغة البابلية هي : "أُمْ" وإِمْ" و "أَمْ" بينما يقابلها في العربية التنوين اي : "أنْ" و "إنْ" و "أنْ". كما ان اداة الشرط في العبرانية هي : "إمْ" وفي العربية "إنْ".

وكذلك نلاحظ ان الميم والنون في نهاية الكلام في القرآن واحيانا في الشعر تستعملان لقافية واحدة فتسجع احداهما مع الاخرى .

ولم يسلم من الانقلاب نونا فيما يبدو الا الميمات الآخرة المحفوظة بالقياس الصرفي او اللفظي كالميم في نحو "قُمْ" (من قام) او الميمات التي كانت تقيها زمنا ما حركات آخرة نحو "هُمْ" واصلها "هُمُ" أو "هُمُو" (انظر ك. بروكلمان : "المختصر" : (Précis) ص : 74 وكذلك : "المختصر" : (Grundriss) ص : 136 — 137) .

وسنرى فيما بعد ان قلب الثاء فاء امر قد ثبتت صحته ثبوتا وانه كثير في العربية سواء في الماضي او في عصرنا هذا . اما الظاهرة المعاكسة فأقل وقوعا. فلنذكر وجود اللفظين المترادفين الآتيين في العربية : "مَغْفُور" و"مُغْثُور" (وهو نوع من الصمغ شبيه بالعسل تقطره بعض الاشجار). واما في الالسن الدارجة العصرية فلنذكر لفظة "ثُمْ" (ṯumᵐ) السورية (وتصبح "تم" (tumᵐ) في لهجات سكان المدُن) عوض لفظة : "فُمْ" (fumᵐ) (اي: فَمْ) وهي الصيغة العادية. كما ينبغي ذكر عمليات الادغام في القرآن وهي ادغام الحرف الاخير من اللفظ في الحرف الاول من اللفظ الذي يليه :

* ب + م ← مّ : نحو: "يُعَذّ مّن يَشاءُ" في قراءة: "يُعَذّبُ من يَشاء" (قرآن السورة : II الآية 284 و III ، 124 و V ، 21 و 44 و XXIX 20) . أُدْغِمت الباء في الميم وسقطت حركة الباء .

* ب + ف ← فّ : نحو "إذْ هَفّمَنْ تَبِعَكَ" عوض اذهبْ فمن تبعك " (ق : XVII ، 65) الخ ..

* ف + ب ← بّ: نحو "نَخْسِبّهم" عوض "نخسِفْ بهم" (ق: XXXIV ، 9) حسب الكسائي

* م + ب ← بّ : نحو "وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَبّهْتَانًا عَظِيما "عوض "وَقَوْلِهِم على مَرْيَمَ بُهتانا عَظِيما"(ق : IV 155)حسب مدرسة ابي العلاء. ونحو ايضا: "لِكَيْ لا يَعْلَبّعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا" عوض "لِكَي لا يَعْلَمَ

بَعدَ علمٍ شَيْئًا" (ق : XVI ، 72) ادغمت الميم في الباء بعد سقوط حركة الميم. على ان نطق المجموعة (م + ب) في هذه الحالة وفي نحوها من الحالات هو في الحقيقة نطق خاص يسمى "اخفاء" وهذا النطق يكون مصحوبا في تلاوة القرآن بصوت من الخيشوم وبنغمة تؤدى مع غلق الفم وتسمى "غنة" ومن الممكن ايضا ان الحركة السابقة للمجموعة (م + ب) تنطق كذلك في نفس الوقت بشيء من الخيشومية (انظر في هذه المسألة برافمان (Bravmann) ص 67 واذا كانت الميم متبوعة بحرف شديد اسناني جاز قلبها نونا : فقد تقرأ احيانا صيغة "امْتُقِع" (اى تغير لونه من حزن) "انْتقِع". كذلك قد تصير : إِمْتَطَل "(اي أجَّلَ الأمْرَ) "اِنْتطَلَ" وقد يقرأ "مِمْطَرُ" (اي معطف للوقاية من المطر) "مِنْطَرُ" .

وتحدث نفس هذه الظاهرة في احيان عارضة اذا كانت الميم متبوغة بحرف من الحروف الحنكية والحروف اللهوية نحو "يَمجَر" (اي يعطش) يجوز نطقها "يَنْجرَ" و "أمْقَعَ" (اي الشراب بشدة ونهم) يجوز نطقها "أنْقَعَ" و "أمْغَرت" (النعجة اي دَرَّتْ بلبن مخلوط بالدم) يجوز نطقها "أنغَرتْ" (انظر تفاصيل المراجع عند بروكلمان : "المختصر" (Grundriss) I ص : 161—162).

واذا كانت الميم بجوار ميم او نون قلبت الميم باء تنافرا نحو : "مَا اسْمُكَ" تصير "بَاسْمُكَ" (ذكره الفارسي عن الاصمعي) ونحو : "النَّمَيْتُ" (اسم مكان في الدهنة : (Dahna) يصير "النَّبَيْتُ" (انظر "هول" : النحو العربي : IV ، الفقرة 682 ص : 1194)

وقد يحدث نفس هذا التنافر بعد واو نحو "وَمَدٌ" (وهو الحرارة الشديدة) ينطق أحيانا "وَبَد" (انظر : بروكلمان "المختصر" (Grundriss I ص : 232). وقد وقع احيانا تنافر بين عنصري الباء المشددة (ب + ب) والباء المشددة (پ + پ) الموجودين في السامية المشتركة "فَسْنبلَة" يوافقها في العبرية "شِبُّلِتْ" (šibbolet) و "قُنْفذ" يوافقه في العبرية "قِپُوذ" (qippōd) ونجد في صلب العربية نفسها "خَمَّشَ" و "خَرمَشَ" في وقت واحد .

وتسقط الميم في لغة بني كلاب قبل النون وذلك في قولهم "انْمَخَـة" مكان منْمَخَـة" .

واما اللهجات العربية الحديثة فقد تطرا على الحروف فيها طائفات من الظواهر وهي ظواهر لا وظيفة صوتية لها عادة وهي :

1) التفخيم

يطرأ على الحروف الشفوية الثلاثة اي الباء والميم والفاء تفخيم ثانوي وذلك في لهجات البدو في الشرق او لهجات أهل الحضر المتأثرين بلهجات البدو. ويكون العامل في ذلك التفخيم إما تاثير حركات خلفية تابعة لطائفة : u (الضمة) و o (الحركة الخلفية نصف المنغلقة) وإما تأثير حروف مفخمة مجاورة وقد يطرأ ذلك التفخيم الثانوي على حرف الواو ايضا الا أن هذا الحرف يكون في الاغلب مفخما بالطبع انظر : كانتينو (Cantineau) : "لسان تدمر العربي الدارج" : I : ص : 44 — 48 و "دراسات في بعض لهجات البدو العرب في الشرق ، ص 12 — 16 — و II : ص 129—130 و" لهجات حوران العربية ؛ الاطلس والخرائط رقم : 6—12و 17—18 و 56) .

ويوجد مثل هذا التفخيم في لهجات افريقيا الشمالية نحو "أمُّكْ" (ummok) بتفخيم الميم المشددة ولكن هذا التفخيم لم يدرس دراسة كافية الى حد الآن)

2 — الجمع بين الشدة والرخاوة

قد تكون الحروف الشفوية اي الباء والميم والفاء متبوعة بواو خاطف اي "بحرف رخو عَرَضِي" يظهر خاصة قبل حركات i و e و a (اي الكسرة والفتحة الممالة امالة شديدة والفتحة) ذلك ان هذه الحركات تنفتح لها الشفتان انفتاحا أقصى في حين ان الحروف الشفوية يتطلب النطق بها انغلاق الشفتين انغلاقا جزئيا او تاما. فمن الطبيعي عند

النطق البطيء ان ينزلق "صوت عارض" يدل على الانتقال من هيئة شفوية ما الى هيئة اخرى معاكسة للاولى. ويقع ذلك في لهجات البدو في شمال افريقيا فيذكر و. مارسي (W. Marçais) في كتابه : أولاد ابراهيم بمدينة صيدا "ص 23—24 مثال غـرْبُوَّة" (Ġṛobbʷa) براء مفخمة وواو خفيفة بعد الباء المشددة (اي غـرْبّان) ومثال "رَبْوِي" (ṛabbʷi) براء مفخمة وواو خفيفة بعد الباء المشددة (اي رَبِّي) ومثال "فُمّوِي" (fummʷi) بواو خفيفة بعد الميم المشددة (اي فَمِّي).

ونجد مثل ذلك في الشرق في لهجات البدو (او في اللهجات المتأثرة بلهجات البدو) : راجع نفس المرجع المذكور أعلاه.

3) الارتخـاء

ان نطق البـاء نطقا رخوا خاصية من خصائص بعض لهجات الحضر بالمغرب الأقصى : فلا تقرع الباء عندهم شديدة بل رخوة مجهورة بين الشفتين والعامل في ذلك في الراجح هو تأثير الطبقة اللغوية السفلى أي اللغة البربرية. ويقول و. مارسي في كتابه "نصوص عربية من مدينة طانجة" ص : XV ان البـاء الشديدة الاصلية لم تبق الا في : 1) حالة التشديد فتنطق "ب" مشددة لا حرفا رخوا مجهورا بين الشفتين مشددا (b b). 2) اذا كانت مسبوقة بميم فتنطق "مب" لا (m ḇ) اي لا ميما متبوعة بباء رخوة. 3) اذا كانت مسبوقة بلام "الـ" اداة التعريف فيقال "باب" (ḇāḇ) ببائين رخوتين ومع التعريف يقال "الْبَابْ" (lbāḇ) (الباء الاولى شديدة عادية والباء الثانية رخوة) 4) في بعض الالفاظ القليلة نحو "أرْبْعَة" (aṛbᵇᶜa) بتفخيم الراء وتشديد الباء الشديدة تشديدا خفيفا و "قَلْبْ" (qolb) برفع القاف بحركة خلفية نصف منغلقة وبباء شديدة اي "قلب" و "كَلْبْ" (kelb)

وبالعكس من ذلك يذكر أ. فيشر (A. Fischer) في كتابه "في صوتيات العربية بالمغرب الاقصى" ان مشاهداته الشخصية بمدن طانجة

والرباط والدار البيضاء والصويرة بينت له ان الباء الشديدة قد بقيت مستعملة اكثر من ذلك بكثير، ولكن لا ننس ان نطق الباء نطقا رخوا هو "امر مُستهجْن" بدون اي شك وانه من المحتمل ان طائفة من مُخبِري فيشر قد اخفوا عليه ذلك النطق الرخو.

واما الظواهر الصوتية التعاملية التي تطرا على الحروف الشفوية في الالسن الدارجة فقليلة الاهمية. ونكتفي هنا بذكر ادغام الفاء في الصاد اذا اتصلا على هذا النحو: (صف ← صّ) ويقع هذا الادغام في اكثر اللهجات الدارجة نحو "نُصْ" (nuṣṣ ; noṣṣ) بضمة عادية على النون او بحركة خلفية نصف منغلقة اي "O" الفرنسية) التي اصلها "نصف" في العربية.

ونذكر كذلك ابدال باء المضارع ميما اذا كانت متبوعة بنون المتكلم في صيغة الجمع في اللهجات السورية الفلسطينية نحو : بْنِكْتِبْ ← "مْنِكْتِبْ" (bnektob ← mnektob) (اي نَكْتُبْ) .

وكذلك ادغام الفاء في التاء في اللهجات الجزائرية في نحو: "شُتْ" (šott) "وشُتُّو" (šotto) (عوض شُفْتْ وشُفْتو اي رَأَيْتُ ورَأَيْتُه) وكذلك التقريب الذي يقع في الجزائر والمغرب الأقصى حيث تصير "مت" ← "نت" في اداة المِلْكية "نْتَاعْ" عوض "مْتَاع" (اي لِي ومالْكِي) وقد اصبحت هذه الصيغة اي "نْتَاعْ" "تَ" (ta) في اللهجة المالطية بادغام النون في التاء. ويجب الرجوع فيما يتعلق بالجزائر الى و. مارسي : "لهجة تلمسان" ص 22—23 و "لهجة صيدا" ص : 23—24 والى م. كوهين (M. Cohen) لهجات يهود مدينة الجزائر ص : 71—76).

III. الحروف الاسنانية

1 — الحروف الشديدة الفموية :

لقد رأينا أعلاه انه كان في اللغة السامية ثالوث من الحروف الفموية الاسنانية هو : ت —— د أي التاء والدال والدال المفخمة.
ڊ

وقد احتفظت العربية القديمة بهذا الثالوث والنقطة الوحيدة التي ما زال

فيهـا مجال للنقـاش هي نطق الحرف المفخـم اى الطاء فهـل الطاء حرف مهمـوس ام هل هو حرف مجهـور في العربيـة ؟ ولما كان معنى كلمـة: مجهـور بالضبط موضعـا للخلاف وجب ان نطرح ترتيب النحاة العرب الطاء في الحـروف المجهـورة جانبا. الا ان هناك في كتاب سيبويـه " (ص : 455) فقـرة ترجح فيمـا يبدو نعت الطاء بكونهـا مجهـورة بالمعنى الحديث اى (Sonore) وذلك قولـه : "ولـو لا الاطبـاق لصارت الطاء دالا". وبالعكس من ذلك ليس هناك خلاف في ان نطق الطاء المأثـور في العربيـة الفصحى هو نطقهـا مهموسة اى كالتاء المفخمة. كما ليس هناك مجال للخلاف من جهـة اخرى في ان هذا الحرف هو حرف مهموس ايضا اى كالتاء المفخمـة في اكبر قسم من اللهجـات العربيـة الدارجـة .

غير انه يبدو ان هناك في لهجات اليمن طاء تنطـق كالـدال المفخمـة وقد شهـد بذلك غـلازر (Glaser) في فـصلـه : "النـطق العربـي" (Die Arabische Aussprache) الـذي صـدر في (Sitzungsberichte des Bohm. Ges. d. Wiss. Phil. Hist. Klasse 1885, p. 94) اى "تقارير جلسات الجمعية العلميـة النـورية – قسم فقه اللغة والتاريخ سنة 1885 ص : 94" اذ يـذكر ان بمدينة صنعاء طاء تنطق كالدال المفخمة وقد طمس معالم شهادة "غلازر" هذه ما جاء به "غويتاين"(Goitein) في: (Jemeniche Geschichten, in ZS VIII, p. 168 - 169) اى : "قصص يـمنية" بـمجلة الدراسات السامية : VIII سنـة 1932 ص: 168—169. ما جاء بـه من مـلاحظات اذ يـصرح بـانه من العسير ان يميز المرء في لهجات اليمن بين الدال والتاء والطاء وان هذه الاحرف كثيرا ما يختلط بعضها في بعض في الرسم. الا انأ. روسي (E. Rossi) أثبت مـن جـديـد وجـود دال مفخـمـة في لـهجـات اليمـن تـمثـل الطاء القـديمـة اثبت ذلك في Appunti di dialettologia del Yemen, in Rso XVII-1937 p. 236(1)

(1) على أن أ· روسى والحق يقال يلاحظ فى فصل آخر عنوانه « ملاحظـات فيما يتعلق بلهجات اليمن »
Nuove osservazioni sui dialetti del Yemen, in Rso XVIII-1938 p. 461.
ان نطق الطـاء كالـدال المفخمة يقع خـاصة اذا توسطت الطـاء حرفين مجهورين · وكذلك الامر فى التـاء التى تنطق كالدال الا انه أقل وقوعا من الاول ·

أي : "ملاحظات في دراسة لهجات اليمن" بمجلة الدراسات "الشرقية : XVII سنة 1937 ص : 236" .

وينبغي من جهة اخرى ان ننتبه الى ما ذكره "كَانْبِفْمَايِرْ" (Kampffmayer) في فصله (Materialen Zum Studium der arabischen Beduinendialekte (Innerafrica, in M.S.O. II p. 143 - 221, n° 37, 70, 135 etc... أي : "مواد لدراسة اللهجات العربية البدوية بافريقيا الداخلية" الذي صدر ضمن "تقارير معهد اللغات الشرقية " II (ص : 143—221 عدد : 37، 70، 135 الخ). من ان هناك في اللهجات العربية بالوادي (Wadaï) شرقي بحيرة التشاد (Tchad) طاء تنطق نطقا مجهورا اي كالدال المفخمة تفخيما تتفاوت درجته من مكان الى مكان.

ونحن اذا قارنا بين الفقرة التي في كتاب سيبويه وبين هذين الحديثين المتعلقين باللهجات قادنا ذلك الى افتراض ان الطاء كانت في الاصل مجهورة اي دالا مفخمة وانها سرعان ما صارت مهموسة اي تاء مفخمة في جميع اقسام العربية بما فيها نطق العربية الفصحى الماثور تقليديا.

وربما كان السبب في انتقال الطاء من الجهر الى الهمس كونها مفخمة وحدوث ذلك التوتر العام في الاعضاء عند النطق بها .

ويبدو ان التغييرات الطارئة على الحروف الشديدة الاسنانية اي التاء والدال والطاء (الدال المفخمة) لم تكن كثيرة في القديم. فيذكر سيبويه (II ص : 452) والزمخشري — ابن يعيش (X ص : 126—127) نطقا مستهجنا للطاء التي تنطق كالتاء في نحو قولهم في "طالب" "تالب" ويبدو ان ذلك كان كثيرا بالخصوص عند سكان شرقي العراق الذين كانت لغتهم الاصلية اللغة الفارسية .

وقد يقع عكس ذلك اي ان التاء قد تصير طاء في قولهم "أفلط" مكان "أفلت" وهي الصيغة الأكثر تداولا. وقد تصير الدال تاء في قولهم "تَرَبُوت" مكان "دَرَبُوت" (اي ناقة طيعة مقوادة) وقد تصير الدال

طاء في نحو عبارة مَطَّ الحَرْفَ (اي مَدَّ الحَرْفَ) وكذلك في قولهم "إِبْعَاطٌ" في "إِبْعَادٌ" (مَصْدَرُ أَبْعَدَ) .

وان التغيير الطارىء على التاء والذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب علامة التانيث في الاسماء والصفات أي "ــة" الى "ــه" عند الوقف نحو قولك في "نَاقة" "ناقه" عند الوقف، ولما كان ابدال التاء هاء مباشرة ولاسباب صوتية محضة من الظواهر المستبعدة نوعا ما والامثلة الدالة على هذا النوع من الابدال قليلة فقد اقترح "بروكلمان" في : " المختصر " " Grundriss " (I ص : 48) تفسير هذا الحدث بالصورة التالية : ان تسقط التاء عند الوقف في مرحلة أولى نحو : ناقة ← ناق ثم ان تظهر بعد الحركة النهائية هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت التي سننظر فيها فيما بعد، نحو : نَاقَ ← نَاقَهْ وهو تفسير تحتمل صحته. ومهما تكن الحقيقة فالذي ينبغي الانتباه اليه هو ان ابدال التاء هاء عند الوقف لا يحدث في العربية الا في اواخر الاسماء والصفات المؤنثة المفردة اى في تاء التانيث المربوطة. فلا يحدث ذلك في تاء التانيث المفتوحة التي في الاسماء المؤنثة نحو "بنت" و "اخت" ولا في الاسماء التي التاء فيها ليست علامة على التانيث نحو "عنكبوت" و "وقت" و "موت" ولا في تاء المؤنث السالم نحو : "مسلمات" ولا في تاء المفردة الغائبة في الماضي نحو : "ضربت"

ولكن النحاة القدامى ذكروا اشياء في اللهجات تخالف هذه القواعد. فابدال التاء هاء في الوقف لم يكن موجودا في بعض اللهجات المنتشرة جدا اذ كان المتكلمون بها يقولون مثلا : "وعليه السلام والرَّحْمَتْ" (عوض والرَّحْمَهْ) و "جَوْزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْحَجَفَتْ" (عوض الحَجَفَهْ) ومعناه وسط صحراء كظهر الترس (انظر الزمخشري — ابن يعيش IX ص : 80—81)

وبالعكس من ذلك فقد كان ابدال التاء هاء في بعض اللهجات يمتد الى اصناف اخرى من الكلام وخاصة الى تاء جمع المؤنث السالم. ومثال ذلك قبيلة طيء التي ذكروا عنها العبارات الخاصة الاتية : "كيف البنون

والبناه°"؟ (أي والبنات) و"كيف الاخوة والاخواه" ؟ (أي والاخوات) ودفن البناه" (اي البنات) "من المكرمـاه" (اي المكرمات) (راجع زمخشري، ابن يعيش × ص : 42—45) وكذلك كان الانصار بالمدينة ينطقون "تابوه" عوض "تابوت" (قرآن II : 249) بينما كان أبناء قبيلة قريش بمكة ينطقون : "تابوت" بالتاء اذ التاء النهائية في هذه اللفظة ليست علامة التانيث (نفس المرجع في القرآن) وسنرى فيما بعد آثار هذه النزعات في اللهجات الحديثة .

وتطرأ على الحروف الشديدة الاسنانية عدة تغييرات مقيدة اخرى. منها التباين وان قل حدوثه في الحقيقة ونذكر منه على كل حال : "فستاط" (أي خيمة او مخيم) عوض فسطاط" التي يدل عليها الجمع "فساطيط" ومنها التقريب وهو بعكس التباين كثير جدا .

فاذا كانت التاء متصلة بحرف من حروف الاطباق اي الضاد والصاد والظاء ابدلت طاء على سبيل التقريب من ذلك اصطبر (وأصله اصتبر) واضطرب (واصله اضترب) واظطلم (وأصله اظتلم) (انظر الزمخشري، ابن يعيش × ص : 46—48) وقد يحدث ذلك التقريب بذاته في لهجة بني تميم في تاء الضمائر الآتية : "تُ" و "تَ" و"تِ" و "تُمْ" و "تُنَّ" المتصلة بالماضي نحو : "حَصَطُّ" اي "اخفيتُ عين البازي بغطاء" (واصلها حَصَتُّ) و "خَضَطُّ" اي غرستُ الشيء وادخلته (واصلها خضتُّ) وحَفِظْطُ (واصلها حَفِظْتُ) (انظر نفس المرجع).

واذا كانت التاء مجاورة لحرف من الحروف المجهورة التالية : الذال والزاي والجيم ابدلت دالا تقريبا. من ذلك اذْدَكَرَ (واصله اذْتَكَرَ) وازْدَجر (واصله ازْتَجر) واجْدَمَعَ (واصله اجتمع) (انظر زمخشري ابن يعيش الجزء العاشر ص : 48—49) وكذلك تبدل تاء ضمائر الماضي دالا للتقريب بينها وبين لام الفعل اذا كانت زايا وذالا نحو : فُزْدُ (واصله فُزْتُ).

وتدغم التاء في الدال والطاء والثاء والذال والظاء والسين والزاي والصاد والضاد. ويطرأ هذا الادغام خصوصا على تاء صيغة المطاوعة نحو : ادرع

(وأصله ادْتَرع) واطَّلَق (وأصله اطْتَلق) واثَّمَدَ أي وَرَدَ (وأصله اثْتَمد) واذَّكَرَ (وأصله اذْتَكر التي منها ايضا اِذْدَكَر) واظَّلم (وأصله اظْتَلم التي منها أيضا اضْطَلم) واسَّمَّعَ (واصله تَسَمَّعَ) واصَّبَّر (وأصله اصْتَبر) وازَّمَّل (وأصله تَزَمَّل) واضَّجَع (وأصله اضْطَجع)

وكذلك تدغم تاء ضمائر الماضي اي: تُ وتَ و تِ وتُمْ وتُنَّ في الطاء اذا كانت لام الفعل نحو: خَبَطُّهُ (واصله خَبَطْتُهُ) ويجوز كذلك ان تدغم في الدال اذا كانت لام الفعل ايضا نحو: عُدُّهُ (واصله عُدْتُهُ).

على ان العكس موجود ايضا فمن العرب من يقرأ "فَرَّتُّ" عوض فَرَطْتُ (قرآن. السورة 39 الآية 57) وحُتُّهم عوض حُطْتُهم وأرَتُّ عوض أرَدْت وزِتُّ عوض زِدْتُ.

ويجوز ادغام تاء المضارع في تاء صيغتي المطاوعة تَفَعَّلَ وتَفَاعَلَ بعد سقوط الحركة الفاصلة بينهما ويقع هذا الادغام احيانا بدون ان تدل عليه علامة ما. ومن ذلك ما جاء في القرآن في قوله: تَنَزَّلُ (اي تَتَنَزَّلُ) الملائكة والروح (من السورة 97 الآية 4)

وقد يقع ادغام كهذا على حروف اصلية من ذلك وَدٌّ (1) عوض وَتْدٌ أو وَتَدٌ أو وَتِدٌ بإدغام التاء في الدال. ومنه ايضا قولهم في جمع "عَتُود" وهو التيس الصغير "عِدَّان".

وقد يطرأ مثل ذلك الادغام على الدال نحو قولهم في "سَيِّدَتي" "ستّي" بادغام الدال في التاء. وكذلك يمكن تفسير عدد "سِتَّة" او "سِتٌّ" بتطور من ذلك القبيل اذ انه يبدو ان اصله في السامية هو شِدْتٌ، فيكون إذًا اصله في العربية صيغة قديمة تكون "سِدْث" و"سِدْثَة" ويكون قد طرأ عليها ادغام الدال في الثاء ثم قلب الثاء المشددة تاء مشددة.

---

(1) وهو ادغام خاص فيما يقولون بلهجة بني تميم .

واخيرا فان ثمة أمثلة لا بأس بعددها تدغم فيها التاء او الدال او الطاء النهائية متحركة أو ساكنة في حرف من الحروف الآتية : التاء والدال والطاء والثاء والذال والسين والزاي والصاد والشين والجيم والضاد نحو :

ت د ← دّ : اِنْعَتْ دُلَامَةَ ـ اِنّعَدُّ لَامَةَ (ابن يعيش ج 10 ص : 146)

ت ط ← طّ : بَيَّتَ طَائِفَةٌ ـ بَيَّطَّائِفة ـ (قرآن س. 4. آية 83) مع سقوط حركة التاء

ت ث ← ثّ : سَكَتَ ثَامِرٌ ـ سَكَثَّامِرٌ. مع سقوط حركة التاء

ت ذ ← ذّ : وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ـ والذَّارِيَاذَّرْوًا (قرآن س. 51. آية 1) مع سقوط حركة التاء ذكره ابن العلاء وحمزة

ت ظ ← ظّ : سَكَتَ ظَالِمٌ ـ سَكَظَّالِمٌ . مع سقوط حركة التاء

ت س ← سّ : سَكَتَ سَامِرٌ (1) ـ سَكَسَّامِر. مع سقوط حركة التاء

ت ز ← زّ : سكتَ زَاجِر ـ سَكَزَّاجِر. مع سقوط حركة التاء

ت ص ← صّ : سكت صابر ـ سَكَصَّابِرٌ. مع سقوط حركة التاء

ت ش ← شّ : أَصَابَتْ شَرَبًا ـ أَصَابَشَّرَبًا (الزمخشري، ابن يعيش ج : X ص : 139)

ت ج ← جّ : فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ـ فَإِذَا وَجَبَجُّنُوبُهَا (قرآن . س. 22 آية 37)

ت ض ← ضّ : شُدَّتْ ضَفَائِرُهَا ـ شُدَّ ضَّفَائِرُهَا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 140)

د ت ← تّ : حَرَدَ تَاجِرٌ ـ حَرَتَّاجِرٌ. مع سقوط حركة الدال

د ط ← طّ : أَبْعِدْ طَالِبًا ـ ابْعِطَّالِبًا. (ابن يعيش ج : 10 ص : 146)

---

(1) لست المسؤول عما فى هذا المثال وفى الامثلة التى تليه من الهزل • وقد يكون ذلك الهزل غير مقصود • وقد ذكر هذه الامثلة « هول » (Howell) (ج : 4 ص 1795) عن الرضى النحوى •

د ث ← ثّ : حَرَدَ ثَامِرٌ – حَرَثّامِرٌ. مع سقوط حركة الدال

د ذ ← ذّ : حَرَدَ ذَالِبٌ – حَرَذّالِبٌ. مع سقوط حركة الدّال

د ظ ← ظّ : حردَ ظَالِمٌ – حرَظّالِم. مع سقوط حركة الدال .

د س ← سّ : قَدْ سَمِعَ – قَسَّمِعَ (قرآن. س : 58 آية 1) ذكره حمزة

د ز ← زّ : حردَ زَاجِر – حرَ زّاجِر. مع سقوط حركة الدال

د ص ← صّ : حردَ صَابِر – حرَصّابِر. مع سقوط حركة الدال.

د ش ← شّ : لَمْ يُرِدْ شَيْئاً – لَمْ يُرِ شّيْئاً (الزمخشري، ابن يعيش. ج : 10 ص 138)

د ج ← جّ : اِحْمَدْ جَابِرَ – اِحْمَجّابِرَ (الزمحشري ابن يعيش ج : 10 ص 138)

د ض ← ضّ : زِدْ ضَاحِكا – زِضّاحِكا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 140)

ط ت ← تّ : اُثْبُطْ تَوْأَمَا – اُثْبُتَّوْأَمَا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص. 146)

ط د ← دّ : فَرَطَ دَارِمٌ – فَرَدّارِمٌ. مع سقوط حركة الطاء

ط ث ← ثّ : فرطَ ثَامِرٌ – فرَثّامِر مع سقوط حركة الطاء

ط ذ ← ذّ : فرطَ ذَالِبٌ – فرَذّالِبٌ. مع سقوط حركة الطاء

ط ظ ← ظّ : فرطَ ظَالم – فرَظّالم. مع سقوط حركة الطاء

ط س ← سّ : فرطَ سَامِر – فرَسّامِر. مع سقوط حركة الطاء

ط ز ← زّ : فرطَ زَاجِر – فرَزّاجِر. مع سقوط حركة الطاء

ط ص ← صّ : فرطَ صَابِر – فرَصّابِر. مع سقوط حركة الطاء

ط ش ← شّ : لاَ تُخَالِطْ شَرّاً – لاَ تُخَالِشَّرّاً (الزمخشري؛ ابن يعيش ج. 10 ص : 138)

طج ← ج : ارْبِطْ جَمَلاً – ارْبِجَّمَلاً (الزمخشري: ابن يعيش ج : 10 ص : 138)

طض ← ض : حُطْ ضمَانَكَ – حُضَّمَانَكَ (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10 ص : 140)

وقد عمّموا في الالسن العربية الدارجة العصرية النطق بتاء التانيث هاء (ـة ← ـه) فلم يعد ذلك النطق خاصا بالوقف فقط بل تعداه الى داخل الجملة واصبحت هذه الهاء في الوقت الحاضر علامة التانيث العادية في جميع هذه الالسن (ما عدا حالة الاضافة واتصال الاسم بالضمائر المتصلة) وقد ضعفت الهاء في هذه اللاحقة "ـه" وكثر ذلك بل وسقطت في كثير من اللهجات وانتهى الامر بعلامة التانيث (ـة) الى ان اصبحت مجرد حركة اى فتحة او فتحة ممالة امالة خفيفة او فتحة ممالة امالة شديدة (a, ä, e)

وبصفة عامة فقد اختص هذا التغيير (أي ابدال التاء هاء او سقوط التاء تماما) بعلامة التانيث التي تلحق الاسم المؤنث المفرد شأنه في ذلك كشأنه في العربية الفصحى.

ولم يمتد هذا التغيير الى أضرب صرفية أخرى إلا في بعض اللهجات نحو ابدال تاء جمع المؤنث السالم هاء في لغة بني عُمُورّ " ᶜömur " وبني صْـلُوتّ " Ṣlūt " وهم من أنصاف الرُّحّل بصحراء سوريا ومن ذلك قولهم "خَمْسُ بْقَارَاهْ" (Ḫams öbgāṛāʰ) اى خمس بقرات) و"خَمْسُ احْجَارَاهْ" (Ḫamsᵒ ḥǧaṛāʰ) اي خمس حجرات).

وتبدل تاء جمع المؤنث السالم بياء ساكنة في لغة بني شَمَّر (Šammar) وهم من كبار قبائل شرقي الجزيرة والعراق. (وقد يكون اصلها من قبيلة طي) نحو "خَمْسُ بْقَارَايْ" (Ḫams öbgāṛāⁱ) "كما ان تاء الماضي في صيغة الغائبة تسقط عندهم ايضا وتبدل بياء ساكنة او فتحة ممالة امالة خفيفة او فتحة ممالة امالة شديدة (aⁱ , ä, e) وذلك نحو (كْتُبْوَيْ) (ktöbʷāⁱ) (اى هي كتبتْ) وشرْبِي (Šerbe) (اي هي شربت) (انظر كانتينو "لهجات البدو..." الجزء الاول ص : 20—21 والجزء الثاني ص : 16—17)

وتتغير التاء تغييرا مطلقا غريبا في بعض جهات المغرب العربي اي بعبارة أدق في لهجات الحضر بالجزائر وبالمغرب الاقصى. ومن المحتمل ان يكون هذا التغييـر ناتجا عن تاثير الطبقـة اللغوية السفلى اي اللغة البربريـة.

وذلك ان شدّة التاء تضعف نوعا ما وترتخي فتنزع التاء الى التاء الملينة : "تْيْ" (t^y) او الى تاء ذات زائدة رخوة أي "تْ شْ" ($t^{\check{s}}$) أو "تْ سْ" (t^s) وقد تصير التاء رخوة تماما فتقلب ثاء. ولا تطرأ هذه التغييرات على التاءات الاصلية في اللغة فقط بل وحتى على التاءات المبدلـة من الثاءات وهو ابدال كثير في تلـك اللهجات (انظر الحديث في هذا الشان ص : 44) ويقع هذا التغييـر في الجهـات التاليـــة :

1 — تبدل التاء "تْيْ" (t^y) أو "تْشْ" ($t^{\check{s}}$) اي تـاء مُلَيَّنَـةٍ او ذات زائِدَةٍ شِينِيَّةٍ) في القسـم الغربي من دائرة (Arrondissement) عَنَّابَة (بأدوغ : (Edough) في مقاطعـة (Département) قسنطينة. وكذلك بالقسم الشرقي من دائرة سكيكدة نحو قولهم : "كْلِيتْيْ" (klīt^y) و"كْلِيـتْ شْ" (klīt^š) اي "أَنَـا أَكَـلْتُ" وقـولهـم : "تْيْبِن" (t^y ben) و"تْشْ بن" (t^š ben) أي ِتبْنٌ.

2 — وتبدل التاء "تْسْ" اى تاء ذات زائـدة سينيـة رخوة بغربي دائرة سكيكـدة بالدائرة البلدية المختلطـة (Commune mixte) التابعة للميليـا (El-Milia) وبالدائرة البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف (Commune de plein exercice) الـواقـعـة جـنـوبي ذلك مـبـاشرة وبمـديـنـة قـسـنطينـة وبالدائرة البلدية المختلطة التابعة لطَاهِرْ (Taher) ودْجِيجْلِي وبالقسم الشمـالي من دائـرة بـلدية فـج مـزالـة (Fedj-Mzala) وبـالقسـم الشـرقـي من دائرة بلدية واد مرسى (Oued Marsa) وبمدينة بِجَايَةَ بالقسم الشمالي الغربي من دائرة بلدية تَكِيرُونْتْ(Takirount).وذلك قولهم: "كْلِيتْسْ" (klīt^s) اي "آنَا أَكَلْتُ" وقولهم "تْ سْ بـن" (t^sben)اي ِتبْنٌ".

وكذلك الامر بالنسبة الى مقاطعة مدينـة الجزائر وبمدينة الجزائر نفسهـا وضواحيها القريبة (ما عدا لهجات اليهـود) وبمدينـة شِرْشِل ودلـيس (Dellys) وهو قـولهـم "كْلِيتْسْ" و"تْسْ بن" كذلك. وكذلك الحال أيضا بـمدينة تِلِمْسَان من مقاطعة وَهْرَان حيث يقولـون: "كْتْسْبتْسْ" (kt^sbet^s) أي أنْتَ كَتَبْتَ"

3 ـ وتبدل التاء المسبوقة بحركة طاء رخوة في لهجات قبيلتي أَلْمْسِيرْدَة (Msirda) والتْرَارَة(Traras) اي بالجبال الواقعة شمالي مدينة تلمسان نحو قولهم : "بِيطْ" (bīṭ) " أي "بَيْتٌ" وحُوطْ (Ḥūṭ) أي "حُوتٌ" وليس يقع ذلك اذا كانت التاء غير مسبوقة بحركة نحو قولهم "تْبِنْ" (tben).

واما بالمغرب الاقصى فيبدو ان إبدال التاء "تْ سْ " مطرد بالمراكز المدنية كمدينة فَاسْ وطَانْجَة والرِبَاط وسَلاَ وتْطْوَان... الخ وبخلاف ذلك فان الناطقين بالعربية من سكان الجبال بشمال المغرب الاقصى (اى الْجْبَالَة) يبدلون التاءَ المسبوقةَ بحركةٍ ثَاءً مثل ما يبدلها سكان جبال شمالي مدينة تلمسان .

ومما ينبغي ملاحظته في لهجات الجْبَالَة هذه بالذات نزوعهم الى ابدال تاءِ المضارع دَالاً نحو قولهم ادِرْفدْ (a-derfed) (عوض هي "اِترْفدْ" (aterfed) (أي ترفع) واِدرْفدْ (a-derfed) (عوض انت اِترْفدْ (aterfed) اي انت ترفع) وادْرِفْدُو (a-drefdo) (عوض اتْرِفْدُو "(atrefdo) أي ترفعون .

ولا يطرأ على الدال عادة التغيير الذى يطرأ على التاء وهو تليينها او اضافة زائدة رخوة لها. وشذ عن ذلك امكان ابدال الدال المسبوقة بحركة ذالا (كما ابدلت التاء المسبوقة بحركة ثاء) في لهجات سكان الجبال بشمالي المغرب الاقصى. ويطرأ على الحروف الاسنانية الشديدة اى التاء والدال والطاء في الالسن الدارجة العربية العصرية كثير من التغييرات المقيدة كما في العربية الفصحى وأخص تلك التغييرات الابدال والادغام. ونكتفي بذكر الخطوط الكبرى لهذه التغييرات .

* ينزع الدال الى الادّغام في الذال والطاء والثاء والذال والظاء بعده وكثيرا ما يدغم ايضا في السين والزاي والصاد والشين والجيم سواء أكانت قبله أو بعده (وكثيرا ما ترد هذه الحروف بعد التاء في صيغ المطاوعة نحو : "سْسَمّى" (ss-ämma) (عوض) (tsämma) (اي تْسَمّى).

وقد تبدل (تْزْ) (t^z) و"تْجْ" ($t^{\check{z}}$) و"تْدْجْ" $t^{\check{g}}$) (فتصير "دز" (d^z " و"دج" ($d^{\check{z}}$) "ددج) (d^g) وذلك تقريبا. ويدغم الدال في التاء او الطاء بعده وقد يبدل تاء اذا كان قبل حرف مهموس .

ويدغم الطاء في التاء أو الدال بعده و يعيرهمـا اطباقه. ومن جهـة اخرى نلاحظ عـدة حالات يحدث فيهـا الاطباق بصفة مقيدة عادة. وعلى من ينبغي تماصيل هذا وخاصة فيمـا يتعلـق بالجزائر ان يرجع الى كتابي و. مارسي "تلمسـان" ص : 24—30 و "صيدا" ص : 21—22 والى كتاب م. كوهين "يهود الجزائر" ص : 71—78 .

ومما يلاحظ في النهاية ما يحدث عند بني عَنَز (ᶜAnäze) وهم عشيرة كثيرة من البدو الرحل بشمال الجزيـرة العربية من ادغام غريب لاحد هذه الحـروف. فهؤلاء يدغمون تاء التانيث في ضمير المخاطب المتصـل نحو قولهم "نَاقَكْ"(nāgakᵏ) (اي نَاقَتُكَ) ولا يدغمون في مثل "نَاقُتِي" (Nāgötī) اي نَاقَتِي. (انظر كانتينو كتاب "لهجات البدو" الجزء II ص : 18).

2 — النـون الخيشـومية

كانَ في اللغة السامية حرف شديد خيشومي هو النون .

وقد احتفظت العربية الفصحى بهذه النون الخيشوميـة. ومخرجهـا حسب سيبويـه (الكتاب II ص : 453) وحسب الزمـخشري-ابـن يعيش (شرح المفصل X : ص : 124—125) هو مخرج حروف الصفير أي طـرف اللسان ومغارز الثنايـا .

وتكاد النون تخلو من التغييرات المطلقـة الا ان التغييرات المقيدة التي تطرأ عليهـا هامة : من ذلك الابدال والادغـام. ويطرآن على نون التنوين كما يطرآن على النون العاديـة .

1) لا تنطق النون نطقا خالصا (وهو ما يسمى بالاظهـار) الا اذا كانت قبل احدى الحروف الستـة الآتية : الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين.

2) واذا كانت النون متبوعة بحرف من الحروف الخمسة عشر الاخرى اي القاف والـكاف والجيم والشين والضـاد والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والطاء والدال والتاء والفاء في نفس الـكلمة أو في كلمتين متتاليتين

طرأت عليها درجة أولى في الابدال تسمى "اخفاء" وتسمى هذه النون آن ذاك "خفيفة" او "مخفاة" و"خفية" وتصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على الفم في النطق بها (انظر ابن يعيش X ص : 126) وما الغنة في الحقيقة، والتجويد التقليدي شاهد بذلك، الا نغمة خيشومية ممدودة وترنم يقع باغلاق الفم فيبدو أن النون في هذا الحال كانت تبدل تقريبا في نفس الوقت فيصير مخرجها مخرج الحرف الذي بعدها.

3) وتقلب النون ميما اذا كانت متبوعة بباء (ويسمى ذلك اقلابا) مثلما يحدث ذلك في كثير من اللغات الاخرى ويصحب هذا القلب شيء من الغنة نحو "من باب" تقرأ "مم باب" (قرآن سورة XII آية 67)

4) وأخيرا تدغم النون ادغاما تاما في الحروف الخمسة الآتية : الراء واللام والواو والياء والميم وكذلك في النون طبعا .

واختلف النحاة (1) في مسألة الاحتفاظ بالغُنَّة في حالة ادغام النون في الراء واللام والواو والياء، فيذهب بعضهم — وهو ما يبدو جاريا به العمل في التجويد — الى ان ادغام النون في اللام والراء ادغام تام اي بغير غنة بخلاف ادغامها في الواو والياء والميم والنون فهو ادغام غير تام اذ يحتفظ فيه بالغنة. أي بعبارة اخرى ان النون اذا ادغمت في الواو والياء نتج عن ذلك واو خيشومية او ياء خيشومية.

وهذه بعض أمثلة هذا الادغام، فقد قرأوا :

من رب ← مرَّب (قرآن XXXVI 58)
*اذا تاذن ربكم ← اذا تاذّربُّكم (باسقاط الحركة) (ق : XIV 7)
*من لبن ← ملَّبن (ق XLVII 16)
*عن الانفال ← علاَّنفال (ق VIII، 1) مع اسقاط الحركة
إن لا ← إلاّ ...
*من يقول ← ميَّقول (بغنة في الياء الاولى)
* لأن يعلم ← لايَّعلم (ق LVII ، 23) (قراءة البيضاوي الجزء الثاني ص : 316)

(1) انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : سيبويه II ص 464 — 465 وابن يعيش X ص 143 — 144 و « هُوِّلْ » : النحو العربي : IVص 783 وما يليها .

*مَنْ وَاقِدٌ ← مَوَّاقِدٌ (بغنّة في الواو الاولى)
*مِنْ مَا ← مِمَّا
يَاسِينْ وَالقُرْآنِ ← يَاسِيوَّ الْقُرْآنِ (بغنة في الواو الاولى) (ق : XXXVI ، 1)
*مِنْ مُحَمَّدٍ ← مِمُّحَمَّدٍ .

ومما يلاحظ ايضا ان نون التنوين كانت تنطق نطقا ضعيفا اذ كانت تسقط عند الوقف. وقد احتفظت الالسن الدارجة العربية العصرية ايضا بهذه النون الخيشومية احتفاظا كاملا، فلم يطرأ عليها الا بعض التغييرات المقيدة كالابدال والادغام. فقد ابدلت النون غنة خيشومية مخرجها اقصى الحنك (ويرمز لهذا الحرف بـ ŋ) وذلك اذا كان بعدها حرف من حروف اقصى الحنك او غشائه. نحو "يُنْقُلْ" (yoŋgol) (اي ينقل) و "ينْكْسَى "(yeŋksa) (اي يلبس الكسوة) (وهي من لغة صيدا) .

وقد يحدث ذلك احيانا اذا كان بعد النون طاء او صاد او ظاء نحو "انْطُوهُو"(eŋṭōho) (انظر وليام مارسي: "أولاد ابراهيم" ص: 26)

واذا كانت النون قبل حرف شفوي ولا سيما حرف الباء ابدلت ميما فمن ذلك اننا كثيرا ما سمعناهم يقولون "جِمْب" (ğämb) عوض "جِنْبْ" (ğänb) و "مِمْ بَعْدْ" (mem baᶜd) عوض "مِنْ بعد" (men baᶜd) واذا كانت النون متبوعة براء او لام ادغمت فيهما وقد كثر ذلك بالمغرب (انظر و. مارسي نفس المرجع ص 27—28) وبالشرق ايضا (انظر كانتينو "لهجة تدمر العربية" الجزء الاول ص : 53) فمن ذلك قولهم : في "مِنْ لُوز" (men lōz) "مِلُّوز" (mellōz) وفي "وِينْ رَاحْ" (wēn rāḥ) "ورَّاحْ" (wērrāḥ) (اي اين ذهب) وفي "اِبْنُ العَبَّاسِ" (Ben el-abbas) "بِلْعَبَّاسْ" (Bel abbas) (مع اسقاط حركة اداة التعريف).

وقد يقع هذا النوع من الادغام حتى في حالة عدم تلازم النون واللام من ذلك ابدال النون لاما بتأثير لام سابقة في لقب الولي الصالح البغدادي المشهور عبد القادر الجيلاني فقد صار هذا اللقب بالمغرب الاقصى وبغربي الجزائر "الجيلاَلِي" باللام .

ويذكر و. مارسي (نفس المرجع ص : 26–28) أمثلة مقتبسة من لغة سكان صحراء وهران تدغم النون فيها في تاء بعدها نحو "بِتّ" (bett) عوض "بِنْتْ" (bent) و"تّ" (tta) و"تّ" (tti) عوض أنتَ وأنتِ. (ᵉnta - ᵉnti)

ومن الملاحظ أيضا نزوع نون "مِنْ" و"بِنْ" الى الادّغام في الحروف الاسنانية والصفيرية والغشائية نحو بن قدور (Ben Qaddūr) تصير "بَقَّدُّور" (Baqqaddūr) و"بِنْ سْلِيمَان" (Ben Slēⁱmān) تصير "بِسّلِيمَانْ" (Bes Slēⁱmān) ويبدو ان اللام في "غْلَمّ" (ġlăm) الجزائرية عوض "غْنَمّ" (ġanam) (أي غنم) قد انقلبت عن النون تباينا لوجود ميم في الكلمة.

وقد يحدث هذا التباين أيضا إذا كان في الجوار الصوتي نون أخرى نحو ما جاء في كثير من اللهجات من قولهم "فنجال" (Finǧāl) عوض "فنجان" (Finǧān)

3 — الحروف الرخوة التي من بين الاسنان

كان في اللغة السامية كما ذكرنا ثالوث من الحروف الاسنانية الشديدة هو:

ت2 — د2 / ط2

t_2 — d_2 / $ḍ_2$

ويبدو أن مخارج هذه الحروف كانت اكثر الى الامام من مخارج الحروف الاسنانية التابعة للثالوث الاول. كما يبدو أن شدتها لم تكن كاملة ويمثل هذا الثالوث في العربية الفصحى ثالوث من الحروف الرخوة من بين الاسنان أي .

ث — ذ / ظ

ونطقها بين الاسنان ثابت أثبتته شهادة النحاة فيذكر سيبويه (II ص: 453) أن مخرجها "ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا" على ان بعضهم قد شهد بوجود نطق أدخل في الفم بقليل. فقد قال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري(X ص: 125)– ونص الزمخشري هو عين نص سيبويه – قال إن مخرجها "ما بين طرف اللسان واصول الثنايا...وهي لثوية لان مبداها من اللثة"

وبما ان المصنفين متفقون على ترتيب هذه الحروف في قائمة الحروف الرخوة فانه يجب التساؤل هل ان ابن يعيش كان يعني أن مخارج هذه الحروف كانت ادخل في الفم ام انه يلمح الى نطقها بشيء من الصفير وهو نطق سيأتي فيه الكلام. ومهما يكن الامر فلا بد من ان نعتني بنطق هذه الحروف في العربية الفصحى نطقا بين الاسنان خالصا (مثل الذال او الثاء في اللغة الانقليزية) كما يجب اجتناب النطق بها نطقا صفيريا (اي كالسين او الزاي او الزاي المفخمة) وهو نطق تركي الاصل وكذلك يجب تحاشي النطق بها نطقا تجمع فيه الشدة والرخاوة اي "تّسْ" و"دّزْ" و"ڈظْ" وهو نطق خاص بالطبقات المثقفة في شمال افريقيا. ذلك ان هذا النطق ناتج عن محاولات تقريبية يقوم بها ناس ليس لهم في لهجاتهم حروف رخوة من بين الاسنان.

وينبغي بالخصوص القيام ضد تأويلين فيما يتعلق بنطق الظاء. أولهما هوتصوير الظاء بواسطة الـ (ẓ) من الحروف اللاتينية ذلك ان هذا التصوير يعتمد على نطق مستهجن تركي الاصل فيما يحتمل . وثانيهما النظرية القائلة بان الظاء – على الاقل في الاصل – حرف مهموس مطبق اي تاء مطبقة (انظر بروكلمان "المختصر" I ص : 129) ذلك انه ليس ثمة ما يؤيد هذه النظرية عند النحاة العرب فهذا سيبويه يقول (انظر كتابه : II ص : 455) إن "لولا الاطباق لكانت الظاء ذالا" وابن يعيش يؤيده في ذلك (انظر شرح المفصل : X ص : 129) فالظاء اذا حرف مجهور مطبق. ومن باب المجازفة في هذا المضمار الاستشهاد بالفقرة الواردة في شرح ابن يعيش (X ص : 128) والتي يذكر فيها ابن يعيش في باب الحروف المستهجنة نطق الظاء كالثاء نحو "ثلم" عوض "ظلم" ذلك انه قد نعت هذا النطق وغيره مما ورد في هذا الباب بكونه نطقا اعجمي الاصل غير عربي نعتا صريحا .

واما نطق الظاء طاء عند بعض بدويي الشرق (وقد ذكـر بروكلمـان هذا النطق نقلا عن "ولين" (Wallin) (انظر "مجلة الاستشراق الالمانية" (ZDMG) الجـزء (XII ص 626) فانني لم اعثر عليه قط ولا سمعتـه وما هو عندي الا غلطـة من اغلاط "ولين" (Wallin)

ولهذه الحروف الرخوة التي مخرجهـا من بين الاسنان نزعـة منذ القـدم الى الانقـلاب حروفـا شديـدة اسنانية وذلك في بعض لهجات المناطق المتاخمـة للجهـات الآرامية، من ذلك ما نجده في المرقومات اليونانية في حوران (Auranitide) وفي "تراكونيديت" (Trachonidite) وفي بلاد الانبـاط (Nabatène) من تـصوير الثاء في الاسماء العربية بواسطـة التاء اليونانية (τ) لا الثاء اليونانية (θ) نحو تصوير "حارثة" هكذا ($A\rho\varepsilon\tau\alpha s$) و"مغيث" هكذا ($Mo\gamma\iota\varepsilon os$) و($Mo\varepsilon\iota\theta ov$) و"غوْث" هكذا ($\Gamma\alpha\upsilon\tau os$) و($A\upsilon\theta os$) : انظر بروكلمـان "المختصـر" ج ا ص 131—132) وسنرى بعد هذا تطور هذه النزعـة في الالسن الدارجة العربية العصريـة.

وفي العربية القديمـة امثلة صارت الثاء فيهـا فاء نحو قولهم "جَدَفٌ" و"جَدَثٌ" ويذكر الفارسي عن يعقوب الجملة التالية : "قَامَ زَيْدٌ فُمَّ عَمْرٌو" عِوَضَ "قام زيد ثُمَّ عمرو" (انظر هول (Howell) "النحو العربي" ١٧ ص 1195) وكـذلك قولهم "آثُور" و"آفُور" (بـمعنى المصيبة) و"ثَرْوَة" و"فَـرْوَة" (انظر ابن دريـد : كتاب الاشتقـاق ص : 129، 2 وبروكلمان "المختصـر" ا ص 130 — 131) كمـا ان ثمة ايضا بعض الامثلـة انقلبت فيهـا ثاء قديمـة سينا في العربيـة الفصحى. فقد دلت المقارنة مع سائر اللغات السامية ان كلمة "ليس" تمثل كلمـة قديمـة كانت "لَيْثَ" وان "سَادِسٌ" و"سُدْس" متولدتـان عن شَادِثٌ" و"شُدْث" ومما يمكن اضافتـه في هذا الباب قولهم "مَرَثَ" و"مَـرَسَ" (أي امْتَصَّ اصبعه) وهما من المزدوجات (أنظر بـروكلمان "الـمختصـر" ا ص 159 — 235) ويطرأ على الحروف الرخوة التي من بين الاسنان ادغام كثير فيدغم بعضهـا في بعضهـا وتدغم في الحروف الآتية : التاء والدال والطاء والسين والزاي والصاد والشين والجيم والضاد سواء اوردت هذه الحروف بعدهـا مباشرة او بعد الحركـة التي بعدها.

امثلة ادغام الثاء :

ث ذ ← ذّ : نحو ابعَثْ ذَلِكَ ← اِبْعَذّلِكَ (ابن يعيش X 146)
ث ظ ← ظّ : نحو ابعثْ ظَالِمًا ← ابعَظّالِما (ابن يعيش X 146)
ث ت ← تّ : نحو عَبَثَ تَاجِرٌ ← عَبتّاجِرٌ
ث د ← دّ : نحو عبثَ دَارم ← عبَدّارِمٌ
ث ط ← طّ : نحو عبثَ طَارد ← عبطّارد
ث س ← سّ : نحو عبثَ سَامر ← عَبَسّامِرٌ
ث ز ← زّ :نحو عبثَ زَاجر ← عَبزّاجِرٌ
ث ص ← صّ : نحو عبثَ صَابر ← عَبَصّابر
ث ش ← شّ : نحو لم يَرِثْ شَيْعًا ←لَمْ يَرِشّيْعًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 139)
ث ج ← جّ : نحو لَمْ يَلْبَثْ جَالِسًا ← لم يَلْبَجّالسا (زمخشري ابن يعيش X ص : 138)
ثض ← ضّ : نحو لم يلبثْ ضَاربا ← لم يَلْبَضّاربا (زمخشري ابن يعيش X ص : 140)

أمثلة ادغام الذال

ذ ث ← ثّ : نحو نَبَذَ ثَامر ← نَبَثّامر
ذ ظ ← ظّ : نحو خُذْ ظَالِما ← خُظّالما (ابن يعيش X ص: 146)
ذ ت ← تّ : قراءة ابن العلاء وحمزة والكسائي "عُتّ" في "عُذْتُ" (قرآن XL 28 و XLIV—19)
ونحو قراءة اكثر القراء (ما عدا ابن كثير ويعقوب وحفصا) لَتَّخَتُّ في لَتَخَذْتُ (قرآن XVIII—76)
ذ د ← دّ : نحو نَبَذَ دَارِمٌ ← نَبَدّارِمٌ
ذ ط ← طّ : نحو نبذَ طَارد ← نَبَطّارد
ذ س ← سّ : نحو نبذَ سَامر ← نبسّامر
ذ ز ← زّ : نحو نبذَ زَاجر ← نَبَزّاجر
ذ ص ← صّ : نحو نبذَ صَابر ← نَبَصّابر

ذ ش ← شّ : نحو لَمْ يَتَّخِذْ شَرِيكًا ← لَمْ يَتَّخِشَّرِيكًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 139)

ذ ج ← جّ : نحو قراءة إِجَّاؤُوكُمْ فـي إِذْ جَاؤُوكُمْ (قرآن XXXIII 10) (زمخشري ابن يعيش X ص : 138)

ذ ض ← ضّ : نحو انْبِذْ ضَارِبَكَ ← انْبِضَّارِبَكَ (ابن يـعيش، X ص140)

أمثلـة ادغـــام الظـاء

ظ ث ← ثّ : أَيْقِظْ ثَابِتًا ← أَيْقِثَّابِتًا (مع اسقاط الاطباق ام لا ؟ في المسألـة مجال للتساؤل) (ابن يعيش، : X ص : 146)

ظ ذ ← ذّ : نحو احْفَظْ ذَلِك ← احْفَذَّلك (مع اسقاط الاطباق ام لا؟ في المسألة مجال للتساؤل وابن يعيش ، X ص : 146)

ظ ت ← تّ : نحو غَلُظَ تَاجر ← غَلُتَّاجر

ظ د ← دّ : نحو غَلُظَ دَالِمٌ ← غَلُدَّالم

ظ ط ← طّ : نحو غَلُظَ طَارِد ← غَلُطَّارِد

ظ س ← سّ : نحو غلظَ سَامر ← غَلُسَّامر

ظ ز ← زّ : نحو غلـظَ زَاجـر ← غَلُزَّاجر

ظ ص ← صّ : نحو غلُظَ صَابِرٌ ← غَلُصَّابر

ظ ش ← شّ : نحو لَمْ يَحْفَظْ شِعْرًا ← لم يَحْفَشِّعْراً (الزمخشري، ابن يعيش X ص : 139)

ظ ج ← جّ : احْفَظْ جَارَكَ ← احْفَجَّارَكَ (الزمخشري، ابن يعيش، X ص : 138)

ظ ض ← ضّ : احفَظْ ضَانَكَ ← احْفَضَّانَكَ (الزمخشري، ابن يعيش، X ص : 140)

وان ذهاب الاطباق من الحرف الاول من بعض هذه الامثلة أمر غريب.

اما فيما يتعلق بالالسن العربية الدارجة العصرية فيمكن وضع المبدا التالي :

لقد بقيت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان اي الثاء والذال والظاء كما هي عند البدو الرحل او البدو الرحل سابقا واصبحت هذه الحروف حروفا شديدة من نفس المخرج أي تاء ودالا ودالا مطبقة في لهجات الحضر.

واليـك تطبيـق هذا المبـدأ

1 ـ في الشـرق :

الامـر واضح وضوحا خاصا بالنسبة الى المدن التي لهجتهـا لهجة الحضـر كالقاهرة والاسكندريـة وبيت المقدس ودمشق وحلب وبغداد. ولـكنه اقل وضوحا بالنسبة للارياف، فاذا رجعنا الى كتاب برقشتريسر (Bergstrasser) "الاطلـس اللغـوي" ونظرنـا في الخريطـة الاولى والخريطـة الرابعة رأينا أن بعض اللهجات الريفية التي ينطق فيهـا القاف قافا (لا ڤافا) ـ وذلك اذن دليل على انّهـا لهجات حضرية أساسا ـ قد احتفظت بالحروف التي مخرجهـا من بين الاسنان مثال ذلك لهجات فلسطين وجنوب لبنان والدروز ومدينـة تدمـر. وبخـلاف ذلك فان العكـس لا يبدو صحيحـا فلا يبدو ان اية لهجة بدويـة قد اسقطت الرخاوة من الحروف التي من بين الاسنان .

2 ـ في شمـال افريقيـا :

الحالة شبيهـة بالحالـة بالشرق اي انه يمكن ان توجد الحروف التي من بين الاسنان في بعض اللهجات الحضرية وذلك خلافا للمبدأ الذي وضعناه أعلاه ـ وان العكس لا يكاد يحدث فيمـا يبدو ـ ففي تونس مثلا توجد في لهجات الساحل الحضرية (ومثالهـا لهجة "تـكرونة" وفي لهجة مدينـة تونس حروف رخوة من بين الاسنان، واما في الجزائـر ففي مقاطعـة قسنطينـة أصبحت الحـروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا شديـدة وذلك في جميع منطقة اللهجـات الحضرية الشاملـة لدائرة بلدية كلـو (Collo) وللدوائـر البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف الواقعة الى شرقي كُلّوْ مباشرة بما في ذلك مدينـة سكيكـدة. والواقعـة الى الجنوب بمـا في ذلك قسنطينـة ولدائرة بلدية الميليا والدوائـر البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف الواقعـة جنوبي الميليا مبـاشرة ولدائرتي بلديتي طاهر ودجيجلي وللجزء الشمالي من دائرة بلدية فج مزالـة وللقسم الناطق بالعربيـة من دائرة بلدية واد مـرسى ولشمـال القسم الناطـق بالعربيـة من دائرة بلدية تكيتونت ولمدينة بجاية. ولم تصبح الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا شديـدة بمقاطعـة مدينة الجزائر الا في الجزائر العاصمـة فقط. وأما في بقية المدن ذات اللهجـة الحضريـة

مثل شرشل والبليدة وتدليس ومدية (Médéa) ومليانـة وتينـس القديمة (Vieux - Ténès) فـان السكـان قـد احتـفظـوا بالحـروف الـرخوة التي من بين الاسنان. ومن المحتمل ان يكون احتفاظهم بهـا ناتجا عن تأثير اللهجات البدوية على هذه المدن على انه ينبغي ان نقول بـ "رجوعهم الى استعمالها" عوض احتفاظهم بهـا" لاننا لاحظنا في بعض النقاط وخاصة في شرشل وفي مليانة مثلا بعض التردد وشعرنـا بان بعض العناصـر من السكان ينطقـون احيانـا بحروف شديـدة : ومن الممكن ان يكون هذا الرجوع الى استعمـال الحروف الرخوة التي من بين الاسنان قد وقع منذ عهـد غير بعيد جدا. واما بمقاطعـة وهران فان الحروف الرخـوة التي من بين الاسنان لم تصبح شديـدة الا بتلمسـان وعند سكـان الجبـال من مسيردة وترارة (بشمال تلمسان) وفي بعض لهجات اليهـود .

واما بالمغرب الاقصى فليس ثمة معلومات متصلـة في هذا الشان الا انه يبدو ان الحـروف الرخوة التي من بين الاسنان قد صارت الى الحروف الشديـدة في لهجات الحضر سواء أكانت لهجات سكان المدن او سكان الجبال.

وقد اضمحلت هذه الحروف الرخوة التي من بين الاسنان من اللغة المالطية المعاصرة وخلافـا لذلك فانهـا كانت ما تزال موجودة في لغة غرناطة بـاسبانيـا في القـرن الخـامس عشر (أنظـر ق، س كوليـن (G. S. Colin) ومقاله "الحروف الثلاثة التي من بين الاسنان في العربية الاسبانيـة" الصادر في مجلـة هسبيـريس (Hespéris) الـجـزء العاشر، 1930 ص : 91—120) ويطرأ على هذه الحروف الشديـدة الاسنانية الجديـدة (اى التاء والدال والدال المطبقـة) المتولـدة عن الحروف الرخوة التي من بين الاسنان نفس ما يطرأ على الحـروف الشديـدة الاسنانيـة القديمـة من تغييـرات فيطرأ بالخصوص على التاء المتولدة عن الثاء نفس التغييرات التي تطرا على التاء القديمـة اى انها تصير جامعة بين الشدة والرخاوة بزيادة زائـدة سينية أو شينيـة فتنقلب "تْسْ" أو "تْ شْ" وتلين بزيادة ياء خفيفـة فتنقلب "تْ يْ" وتصير الى الرخاوة فتنقلب ثاء (من جديـد). وفي هذه الحالـة الاخيرة — كما نجد ذلك عند المسيردة — يعود الى هذا الحرف نطقه القـديم نحو : حْرَثْ — حْرَتْ — حْرَثْ (ḥraṯ — ḥrat — ḥraṯ)

وقد نجد أحيانا في اللهجات البدوية التي يحتفظ اهلها عادة بالحروف الرخوة التي من بين الاسنان أمثلة عارضة تنقلب فيها هذه الحروف بدون سبب ظاهر حروفا شديدة. فقد ذكر و. مارسى في كتابه "اولاد ابراهيم" ص 20—21 من بين ما ذكر الامثلة التالية : إلْهَتْ (elhat) (من لهث) و تفّال (teffāl) (من ثفال وهي جلد يبسط تحت الرحى) وفنفود (genfūd) من قنفذ ومَدْرَى(medṛa) (من مذارة وهي خشبة ذات اصابع لتذرية الحنطة وما اليها)

ومما تمتاز به لهجات الحضر بشمال افريقيا فيما يتعلق باستعمالهم الحروف التي من بين الاسنان ظاهرة هامة تتمثل في كون الظاء المطبقة (او الضاد المطبقة التي اصبحت عندهم ظاء) (انظر ما بعد هذا) لا تنقلب دالا مطبقة حسب القاعدة بل تصير الى طاء مطبقة نحو "طَهْرُو" (ṭahṛo) (اي ظهره) و"طْليلَى" (ṭlēla) (أي ظلالة وهو الظل) و"بْيَطْ" (byaṭ) (أي ابيض) "ومْرِيطْ" (mrēṭ) (اى مريض) "وطُفْرُو" (ṭofro) (أي ظفره) الخ... وانتشار هذه الظاهرة اقل من انتشار انقلاب الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا اسنانية بل قل انها تكاد لا تطبق في كليتها ابدا ذلك ان تطبيقها تعاكسه نزعة الىالرجوع الى الحروف الاصلية سواء بتأثير العربية الفصحى او بتأثير لهجات البدو المجاورين. ومن العسير ان نعين لهذه الظاهرة سببا حقيقيا : أهو نطق الظاء مهموسة اى شبيهة بنطق بعض العرب في العربية الفصحى كما يذكره النحاة؟(انظر اعلاه صفحة50) ام هو نطق مهموس متولد عن الاطباق ؟ ام هو ظاهرة تابعة للغة البربرية (قارن بقلب كلمة "أدَدْ" (aḍaḍ) بدالين مطبقتين" أطَدْ"(aṭaḍ) بطاء ودال مطبقة في شرق القبائل (انظر أ. باسي (A. Basset) دراسات في الجغرافية اللغوية بالقبائل ص 75 والخريطة عدد 15) .

ومما ينبغي ذكره ايضا في هذا السياق ابدال الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا رخوة شنوية—اسنانية في عدد من لهجات سكان التل البدو في مقاطعة مستغانم نحو قولهم في "ثاني" "فاني" (Tani ➞ fani) وفي "ذْهَبْ" "ڤْهَبْ" (ḏhāb ➞ vhāb) وفي ظلمة "ڤلمة" (ḏalma ➞ valma) (قارن هذا بما جاء في كتاب و. مارسي" ص 20) وقد شوهد وجود مثل هذا بالشرق نحو قول سكان تدمر في ثلج "فِلْجْ"

وقد يحدث العكس كما راينا ذلك اعلاه ص (fēlg ← tēlg)
اي ان الفاء قد تبدل ثاء نحو قولهم في كثير من اللهجات الشرقية : ثم (tumm) ويجمع على ثْمام (tmam) عوض فم (fum) اي فم.

ولننظر الآن في بعض التغييرات التعاملية التي تطرأ على الحروف الرخوة التي من بين الاسنان : فإذا كانت الذال المجهورة بجوار حرف مطبق او لهوي جاز أبدالها ظاء مطبقة ويكثر ذلك بالجزائر نحو قولهم في فخْذ "فْخَظْ" (fhad ← fahd) وفي أخذ "خْظَى" (hdā) وفي ذا الوقت "ظَرْوْك" (dörwok) (انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم ص 21)
واذا كانت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان متبوعة بتاء ادغمت فيها وذلك كثير جداً فوليام مارسي يذكر في كتابه "أولاد ابراهيم" ص 22 الامثلة التالية من لهجة مدينة صيدا .

حَرَثْتُ ← حْرُتّ (Harattu ← hᵃrött). لَذَّتَهُ ← لَتَّه
(laddatahu ← lettāh) قَبَضْتُهُ ← قْبُتُّه (qabadtuhu ← gböttāh)
وكذلك تدغم الحروف الرخوة التي من بين الاسنان في شين النفي نحو :
مَا يَحْرُثْش ← يَحْرُشْ (māyahröšš ← māyahrötš
ما نُتْخُدْش ← نْتْخُشْ (اي لَنْ أَفْاَجَأ) (mā nthöšš ← mā nthödš)
ما يَقْبُظْش ← يَقْبُشْ (mā yegböšš ← mā yegbödš)
(انظر و. مارسي نفس المرجع) .

واذا كانت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان بجوار حروف الصفير او الشأشأة ابدلت حروفا شديدة تباينا فوليام مارسي يذكر في كتابه "أولاد ابراهيم"ص 23 امثلة من لهجة صيدا يبدل فيها الذال دالاً لتأثير حرف سابق سواء من حروف الصفير او من حروف الشاشاة نحو قولهم "سْمِيدْ" (smīd) في سَمِيذ وجْبِدْ (žbed) في جَبَذَ وَشَادِ (šādi) في شَاذِي (šādī) (؟) (ومعناه القرد) وتباين ملحوظ ذلك الذي يطرأ على كلمة ثلاثة في ولاية وهران حيث تصير ثلاثة (tlāta) إلى : تْلاَتَه (tlāta) او تْلاَتَه (tlāta) ونجد في تلمسان : ثْلاَتْسَه (tlātˢa) وتْسْلاَسَه (tˢlāsa) عوض "تْسْلاَتْسَه" (tˢlatˢa)
(انظر و. مارسي "تلمسان ص : 156) .

4 — حروف الصفير الرخوة

كان في اللغة السامية ثالوث من الحروف الشديدة الاسنانية ذات زائدة سينية رخوة هو :

ثْ سْ — دْ زْ t^s — d^z

ذْ زْ $\underset{.}{d}\underset{.}{z}$

وقد صارت هذه الحروف في العربية القديمة الى حروف رخوة ذات صفير وكذلك فعلت في أكثر اللغات السامية فحدث ثالوث جديد هو :

س — ز

ص

ومما يلاحظ أولا هو ان السين في العربية لا تمثل الـ "تْسْ" السامية النادرة نسبيا فقط بل وتمثل ايضا وبالخصوص الشين السامية التي صارت الى السين منذ عهد قديم (انظر فيما سيجيء من حديث حول الشين : نظرية "تبادل حروف الصفير") ومما يلاحظ ثانية هو ان حرف الصفير المطبق اى الصاد حرف مهموس (1) فقد ذكر سيبويه (II ص 455) ان "لولا الاطباق لكانت الصاد سينا" الا ان العرب قد عرفوا وجود نطق مجهور مطلق لحرف الصاد وكثير من القراء ومنهم ابن العلاء (1) بالخصوص قد قرأوا "الزراط المستقيم" (ق I ، 5) بزاي مطبقة مكان الصاد .

ومخرج هذه الحروف هو "طرف اللسان وما فويق الثنايا" (سيبويه II 453) وهو طرف اللسان والثنايا (الزمخشري ابن يعيش، X، 124—125) فهي اذن حروف رخوة اسنانية او مغارزية (alvéolaires) وقد سماها العرب حروف الصفير بسبب ذلك الصوت الخاص بها.

ولا يطرأ على حروف الصفير الا عدد قليل من التغييرات المطلقة وعروض ذلك نادر جدا فقد ذكر ابن يعيش (X ص : 24) بيتا آخره "وابوك

(I) وليس لهذا الهمس فى الحقيقة وظيفة لانعدام مقابل مجهور فى اللغة تكون له وظيفة صوتية .

سادي" عوض "سادس" ومرد ذلك الى مقتضيات القافية بدون شك، ويذكر بعد ذلك بقليل (ص 36) بعض الابيات ينتهي مصراعان منها بـ : "النّاتْ" عوض "الناس" وبـ: "اكْيَاتْ" عوض "أكياس" وذلك لمقتضيات القافية ايضا. فالامر هنا كما ترى هو مجرد تغيير ناتج عن الاجازات الشعرية.

وبخلاف ذلك فان السين والزاي والصاد معرضة لكثير من التغييرات المقيدة. فاذا كانت السين قبل حرف من الحروف اللهوية مثل الغين والخاء والقاف او قبل حرف الطاء الاسناني المطبق جاز ابدالها صادا. من ذلك جواز قراءة "واسبغ عليكم نعمه" (ق XXXI 19) هكذا "واصبغ عليكم نعمه" اي بالصاد عوض السين. وكذلك قالوا "صلخ" في "سلخ" و"مس صقر" في "مس سقر" (ق LIV ، 48) و"صاطع" في "ساطع"... الخ (انظر الزمخشري، ابن يعيش، X ، ص : 51–52).

ويلاحظ ابن يعيش في شرحه للمفصل ان هذه الاحرف الاربعة مجهورة (وفي هذا خطأ فيما يتعلق بالخاء) مستعلية وان السين مهموس مستفل فوجب ابدال السين صادا لضرب من التقر يب. الا ان هذا التقريب لا يحدث في الحالات التي تكون فيها السين مسبوقة باحد هذه الحروف . واذا كانت السين والصاد متبوعتين مباشرة بحرف الدال ابدلتا زايا مطبقة تقريبا نحو قولهم "يزدُل" (او يزدِل) ثوبه من "سدل" ويزدُق" في "يصدق" ويبدو ان الاطباق يبقى في الزاي المبدلة من الصاد تقريبا وان "تزدق" تنطق بزاي مطبقة (انظر الزمخشري، ابن يعيش X ، 52 — 54) وعند بني كلاب تبدل السين زايا (لا صادا) اذا كانت متبوعة بقاف. فقد كان اهل هذه القبيلة يقرأون مثلا "مس زقر" عوض "مَسَّ سَقَر" (ق : LIV ، 48) (انظر الزمخشري، ابن يعيش X ، 52) ويمكن في هذا السياق ان نقارن المزدوجات الآتية (doublets) : "رقص" و "رقز" — "بَسَق" و "بَصَق" و "بَزَق" — "قرز" و "قرص" — "لسق" ولزق" — "زعق" و "صعق" واذا كانت السين والصاد متبوعتين بزاي ادغمتا فيها نحو قولهم "احبز زردة" في "احبس زردة" (اي امسك حلقة من الزرد) وقولهم "افحز زائدا" في "افحص زائدا".

واذا كانت الزاي متبوعة بسين أو صاد ادغمت فيهمـا نحو قولهم "رُسْ سَلاَمَةْ" في "رُزْ سَلامة" (اي جَرِّبْـهُ وَٱخْبِرْهُ) وقولهم "أَوْجِصْ صَابِرًا" في "اَوْجِزْ صَابِـرا" (انظر الزمخشري ابن يعيش ص : X ، 145 — 146). وفي الالسن الدارجة العربية العصرية ينطق الصاد مجهورا اي زايا مطبقـة بجنوب الـجزيرة العـربيـة اليمن (انظـر لانـدبـارق (Landberg) "حـضرموت" ص : 239) الا انه يبدو ان هـذه الظاهرة ليست مطردة اطرادا مطلقـا. ويكـاد لا يطرأ على حروف الصفير اي تغيير في الالسن الدارجة العصريـة. والتغييـر الوحيد الذي يكثـر حدوثه هو اما ذهاب الاطباق او عكسـه. واليك بعض امثلة اكتساب الاطبـــاق :

رَأْس ← رَاص (rāṣ) وسُوق ← صوق (ṣōg) وسور ← صـور (ṣōr) وساق ← صاق (ṣāg) .

وبعض امثلـة ذهـاب الاطبـــاق :

صَدْر ← سْدِرْ (sder) وسْهُد (shōd) (من صَهَدَت الشمسُ اذا احرقت) ... انظر و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 15 و م. كوهين "لهجة يهود الجزائر" ص 90—94. وتبدل الصاد زايا في اكثر اللهجات السوريـة نحو قـولهم "زْغِيـرْ" (Zgīr) في "صغيـر". (وعلى الراغب في النظر في ادغام السين والصاد والزاي في الشين ("س ش" و"ص ش" و"زش" ← شّ) وادغام السين والصـــاد والزاي في الجيم ("س ج" و"ص ج" و"ز ج" ← جّ) الرجـــوع الى و. مارسي "اولاد ابراهيم ص 17) نـذكـر ممـا جـاء في ذلك المـرجـع على سبيـل المثـال قـولـهم "ما نلبش" (mā nelbešš) عوض "ما نلبسـش" (mā nelbesš)

١٧ الحـــروف المائعـــة

1 — حرف الـراء المكـــررة

كان في الساميـة حرف تكريـر هو الراء، وقد احتفظت اللغـة العربية القديمـة بهذا الحرف خالصا وهو راء مكررة تنطق بقرع اللسان قرعات مكـررة فويق مغارز الثنايـا بقليـل ولذلك سماهـا النحاة العرب "حرف

تكرير" فهذه الراء هي اذن من نوع الراء الايطالية او الاسبانية (1) وقد عرف النحاة العرب القدامى نطقين مختلفين لحرف الراء : نطق الراء "مفخمة" ونطقها "مرققة". فالراء المرققة هي راء عادية واما الراء المفخمة فذات نطق خاص فصوتها اقوى من صوت اختها اذ تنطق كما لو كانت مضاعفة (انظر سيبويه II ص 289–293 والزمخشرى، ابن يعيش IX ص 61–62) وقد اعتنى هؤلاء النحاة اعتناء كبيرا بضبط الحالات التي تكون فيها الراء مفخمة واليك اهم ما جاء في هذا الباب (2).

يتولد تفخيم الراء عن الجوار الصوتي فهو اذن ظاهرة مقيدة. وسبب حدوثه الاساسي هو جوار الفتحة او الضمة او الحروف المستعلية اى الطاء والظاء والصاد والضاد والقاف والخاء والغين. واما الاسباب التي تمنع ظهوره والتي تنزع اذن الى ظهور الراء المرققة فهي بخلاف ذلك جوار الكسرة أو الياء وهي نصف حركة مجانسة للكسرة. ولننظر الآن في تفاصيل هذه الظواهر :

تكون الراء مفخمة اذا كانت متبوعة بالفتحة او بالضمة او بحرف من حروف الاستعلاء وهي الطاء والظاء والصاد والضاد والقاف والخاء والغين على شرط ان تكون هذه الحروف نفسها متبوعة بفتحة او بضمة. وتكون الراء بخلاف ذلك مرققة اذا كانت متبوعة بكسرة او بالياء نصف الحركة.

واذا كانت الراء متبوعة بحرف مستفل تعلق التفخيم او الترقيق بالحركة السابقة. فكان التفخيم اذا كانت هذه الحركة فتحة او ضمة وكان الترقيق اذا كانت كسرة .

واذا كانت الراء متبوعة بحرف مستعل متبوع هو الآخر بكسرة جاز الترقيق والتفخيم الا ان الترقيق اكثر .

---

(1) بينما الراء الفرنسية الباريسية هى بخلاف ذلك من نوع جد مختلف وتنطق بدعك الهواء بين ظهر اللسان وبين اقصى الحنك أو غشائه فهى اذن من جنس الغين لا من جنس الراء المكررة العربية .

(2) انظر التلخيص الجيد لهذه المسألة الذى قام به : أ. بريتزل (O. Pretzl) بعنوان « علم التجويد » (Die Wissenschaft der Koranlesung) والذى صدر فى مجلة اسلاميكا (Islamica) ١٧ (1934) ص 326 .

وبمقتضى هـذه القواعـد قرأوا بالتفخيم "الرحمـن" و"كبر" و"يفكر" و"يـروح" و"قـــرطـاس" و"مرصـــود" و"مرســـول" و"مرتصـف". وبخلاف ذلك فقد قرأوا بالترقيق "قريب" و"مريـم" وترددوا في قراءة "فِـــرق" مثـلا بين تفخيم الراء وترقيقهـا .

ومما ينبغي ملاحظتـه ان التفخيم ينتج عما يتبع الراء من حروف اكثر مما ينتج عما يَسبقهـا منهـا. وقد بسط القارىء المشهـور وَرْش نظريـة مخالفـة شيئا ما (انظر أ. بْريتْزِلْ "علم قراءة القرآن" ص 326—328) ومهما يكن من حال فالراء المفخمَـة والراء المرققـة انما هما في العربية القديمـة مجرد عوضيـن تعامليين لصوت واحد فالتمييـز بينهمـا له قيمـة من حيث النطق فقط وليس من حيث علم وظائف الاصوات .

ويكـاد لا يطرأ على الراء من التغييرات المطلقـة شيء ولا يطرأ عليهـامن التغييـرات المقيدة فيمـا يبدو الا شيء قليـل من الادغـــام .

ولن نذكر الاّ ادغام الراء في اللام (رل ← لّ) ويعتبـر كثير من النحاة هذا الادغـام خطأ الا اننا نجده عند بعض القراء فقد كان يعقـوب الحضرمي يقـرأ "يَغْفِلّـكُمْ" عـوض "يَغْفِـرْ لَـكُمْ" (ق XLVI 30) وعن ابي بكر بن مجاهـد ان ابن العلاء القارىء المشهـور كان يقرأ "فَاَغْفِلَّنَـا" عوض "فَاَغْفِرْ لَنَا" (ق III ، 14) و"سَخَّلَّكُمْ" عوض "سَخَّـرَ لَـكُـمْ" (ق XXII ، 64) مع اسقـاط حـركـة الراء (انظـر الزمخشري، ابن يعيش؛ X، ص : 143)

ولا يطرأ على الراء في الالسن الدارجة العربيـة من التغييرات المطلقـة الا تغييـر واحد يمكن اعتباره حقيقي الاهميـة : وذلك التغييـر هو نزعـة الراء في بعض لهجات الحضـر الى الانقـلاب غينا (1) وقد شاهدت بنفسي هذه الظاهرة عند مسيحيي بغداد كما ذكر بعضهم انهـا موجودة ايضا في كثير

(1) نجد تطورا مماثلا فى اللغة الفرنسية فلم ينطق الراء الفرنسى فى السابق نطقه اللهوى الذى هو نطقه اليوم • فقد كان فى الماضى ينطـق مكـررا كالراء الايطالى والاسبانى ولم يصر راء لهوية فى مجموع فرنسا تقريبـا الا ابتداء من القرن الثامن عشر فقط •

من لهجات الحضر بالمغرب الاقصى وخاصة بمدينة فاس. وقد بقيت المقابلة القديمة بين الراء المفخمة والراء المرققة في اللهجات العربية العصرية وبقيت هذه المقابلة بالشرق مقابلة صوتية بحت لا خاصية لها من حيث تمييز المعاني. واسباب التفخيم عندهم مما ثلة لاسبابه في العربية القديمة فاتصال الراء بحروف مفخمة او بحركات خلفية (اى الضمة والضمة نصف المنغلقة (O) والفتحة) ينتج عنه تفخيم بينما اتصالها بالحروف المرققة او بالحركات الامامية (الفتحة الامامية الممالة امالة متوسطة والفتحة الممالة إمالة شديدة والكسرة (i, e, a) ينتج عنه الترقيق (انظر "ماتسون" (Mattsson) "لهجة بيروت العربية العامية" : ص 68—70 " و فغالي " : "كفر عبيدة" ص69 وكانتينو "لهجة تدمر" ص 54—56 و"لهجات البدو"، I ص : 21-25)

واما بالمغرب فالامر بخلاف ذلك اى أن تاثيرات قياسية كثيرا ما تخفي اصل التفخيم وأن لمقابلة الراأين قيمة تمييزية بلغت من الوضوح درجة تجعل من الجائز ان نقول ان هنالك صوتين اثنين من نوع الراء. الراء البسيطة والراء المفخمة فقد يختلف اللفظان المتماثلان تماثلا تاما فيما عدا الراء بسبب وجود راء عادية في احداهما وراء مفخمة في الثاني. ومن امثلة ذلك قولهم دار (dār) بالترقيق (ومن المحتمل ان يكون ذلك قياسا على المضارع يـدِيرْ (idīr) بالترقيق بمعنى "عَمَلَ" وقولهم "دار" (dāṛ) بالتفخيم بمعنى "أَبْدَلَ وِجْهَتَهُ" (ويحتمل ان يكون ذلك قياسا على يدُور (idōṛ) بالتفخيم) ومن ذلك قولهم "برد" (bṛad) بالتفخيم اي : استعمل المبرد (من العربية الفصحى بَرَدَ ؟) وقولهم "بْرِدْ" (bred) ضد سخن (من العربية القديمة بَرِدَ عوض بَرُدَ ؟)... وفيما يتعلق بالراء المفخمة بافريقيا الشمالية : انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم ص 25—26 و "كوهين" "لهجة يهود الجزائر" ص 53—54 و أ. فيشر" صوتيات العربية المغربية ص 8. تعليق عدد 2.

ولا يطرأ على الراء في الالسن الدارجة العربية العصرية من التغييرات المقيدة الا شيء قليل ونكتفي بذكر بعض عمليات التباين التي تبدل بمقتضاها الراء نونا بجوار راء اخرى او حرف خيشومي من ذلك "كرسار" (corsar)

تصير "قَرْصان"(qarṣān) في "ألف ليلة وليلة" ولهجة المغرب العربي) ومنه "جِنرَال" (général) تصير "جِنّنَارْ" (gennenār) " في العربية المصرية وكذلك امريكان (américan) تصير : "مَلَكَانْ" : (malakān).

واما فيما يتعلق بكلمة "رِجْل" التي اصبحت "إجْر" (eǧer) (عند بعضهم) فانظر ما بعد هذا ص 84 . ومن الادغام نذكر ادغام الراء في اللام في قولهم نْدِيلّكْ (ndīllek) عوض "نْدِيرْلكْ" (ᵉndir lek) (اياعملُ لك) وكذلك "دَالّه" (dāllāh) عوض "دَارْلَه" (dār lāh) اي عَمَلَ له (انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 27)

2 – اللام الانحرافية

كان في اللغة السامية حرف مائع انحرافي هو اللام.

واحتفظت اللغة العربية القديمة بهذا الحرف خالصا. ومخرجه هو جميع حافة اللسان بينه وبين ما يليه من مقدم الحنك الاعلى فويق الضواحك والانياب والثنايا. ولهذا الحرف نطق خاص يسمى "الانحراف" ذلك ان اللسان ينحرف عند النطق به بان يعتمد طرف اللسان على المخرج المذكور اعلاه فيجري الهواء من جانبيه: ولذلك سماه علماء الاصوات الاروبيون حرفا "جانبيا" : (Latérale)

ولا يطرأ على اللام في العربية القديمة من التغييرات المطلقة الا شيء قليل من ذلك ظهور حرف الميم عوض اللام في اداة التعريف في لهجة قبيلة طي وفي لهجات اليمن وكان النَّمير بن تولب يذكر الحديث التالي عن النبيء "لَيْسَ مِنَ ٱمْبِرِّ ٱمْصِيَامُ في ٱمْسَفَرِ" (الزمخشري ابن يعيش : X ، ص : 33) الا انّه لم يقم الدليل بعد على ان هذه الميم مبدلة من اللام واكبر الظن ان هذه الميم هي عنصر آخر من عناصر اسم الاشارة (بروكلمان : المختصر" : I ، ص : 137). وبخلاف ذلك فكما ان النحاة العرب كانوا يميزون بين الراء المفخمة والراء المرققة

فقد كانـوا يفرقـون ايضا بين اللام "المُغْلَظَـة" واللام "المُرَقَّقَـة" (1) وقد اتفقوا كلـهم على ان اللام المضعفـة في اسم "الله" تنطق مغلظـة وجوبـا اذا كانت مسبوقـة بضمـة او بفتحـة ومرققـة وجوبـا اذا كانت مسبوقـة بكسرة. وهكذا فيجب قراءة "رَحْمَـةَ اللهِ" و"خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ" بتغليظ لام "الله". و"بِسْمِ اللهِ" بترقيقهـا. وعلاوة على ذلك فقد جاء في كتب التجويـد وخاصة في كتاب التيسيـر للداني وكتاب الكافي للاندلسي بعض القواعد فيمـا يتعلق بتغليظ اللام وبترقيقهـا في سائر كلام العرب واليك اهم هذه القواعد نقلا عن أ. بريتـزل (O. Pretzl) .

1) اذا كانـت اللام مسبوقـة مباشرة باحدى الحروف المطبقـة الاربعة وهي الصاد والطاء والضاد والظاء وكانت متبوعة بفتحـة او بضمـة لزم التغليظ. فيجب اذن قراءة "فَصْلٌ " و"نَطْلُبُ" و"أَضْلَلْنَـا" و"أَظْـلَمَ" بتغليظ اللام.

2) واذا كان بين الصاد والطاء فقط (اي باستثنـاء الضاد والظاء) وبين اللام فتحـة وكانت اللام متبوعـة بفتحـة (باستثناء الضمـة) جاز التغليظ نحو: "صَـلَاة" و"طَلَبَ" تُقرآن بتغليظ اللام .

3) واذا كانت اللام مسبوقـة او متبوعـة بكسرة بطل التغليظ ويبدو ان ثمـة نطقـا وسطا بين التغليظ والترقيق ويكون ذلك النطق اذا توفرت الشروط المذكورة اعلاه (في باب ثانيـا) وكانت اللام مضعفـة او متبوعـة بضمـة نحو "صَلَّى" و"طَلَّـقَ" (بلام وسط بين التغليظ والترقيق) ومن هنا نرى ان تغليظ اللام لا يتولد الا عن وجود الحروف المطبقـة فقط وعلى شرط الا تعاكسـه الحركات المجاورة. وهو كتغليظ الراء ذو أهميـة صوتيـة صرفة ولا وظيفـة تمييـزيـة لـه بين المعاني . وتطرأ على اللام التغييـرات التاليـة :

اذا كانت اللام بجوار لام اخرى جاز ابدالهـا نونـا تباينـا فقد ذكر

(I) انظر فيما يتعلق بهذه المسألة أ. فيشر (A. Fischer) : « فى نطق اسم الله » : مجلة اسلاميكا (Islamica) (I924) I ص : 544 — 547 . وكذلك « مجلة الجمعية الملوكية الآسياوية » (JRAS) : I93I ، ص 847 وكذلك أ. بريتزل (O. Pretzl) « علم قراءة القرآن » ، مجلة اسلاميكا : ٧١ (I934) ص 326 و 328 — 330 .

النحاة "لَعَنَّ" عوض "لَعَلَّ و" لاَ بَنْ فَعَلْتَ كَذَا" عوض" لاَ بَلْ فعلتَ كـذا". الا ان الادغــام اكثـر في اللام من التبايـن بكثيـر. فمن المشاع ان لام اداة التعريف تدغم في 13 حرفـا اولا في الـكلمـة منهـا عشرة احرف اسنانيـة هي التاء والدال والطاء والنـون والثاء والذال والظاء والسيـن والزاي والصاد ومنهـا حرف التكريـر المائع وهو الراء وحرف الانحراف وهو الضاد وحرف مشاشا هو الشين. ويجوز ادغــام اللام اذا وقعت طرفـا في اول حرف من حروف الـكلمة الموالية اذا كان هذا الحرف احد الاحرف الثلاثة عشر المذكورة. ويقع ذلك بالخصوص في لام "بَلْ" و"هَلْ" (انظر الزمخشري ابـن يعيش X ، 140—143) من ذلك ان جميع القراء يقرأون بادغـام اللام في الراء قوله "بَرَّانَ" (ق LXXXIII 14) عوض "بَلْ رَانَ" وقد قرأ حمزة والـكسائي (بادغـام اللاَم في التاء والثاء والسيـن)

•بَتُّؤْثِـرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَـا (ق : LXXXVII ، 16) عوض "بَلْ تُؤْثِـرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَـا"

•هَثُّوِّبَ (ق : LXXXIII ، 36) عوض "هَلْ ثُوِّبَ"

•بَسَّوَّلَتْ (ق : XII ، 18، 83) عـوض "بَلْ سَوَّلَـتْ"

وقرأ الـكسائي وحده (بادغـام اللام في الطاء والنون والظـاء والزاي والذال)

•بَطَّبَعَ (ق : IV 154) عوض "بَلْ طَبَـعَ"

•بَنَّتَّبِـعُ مَا لَقِينَـاَ (ق : II ، 165) عوض "بَلْ نَتَّبِعُ..."

•بَظَّنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ (ق: XLVIII، 12)عوض "بَلْ ظَنَنْتُمْ"...

•بَزَّيِّنَ لِلَّذِيـنَ كَفَـرُوا (ق : XIII ، 33) عوض "بَلْ زَيِّنَ..."

•بَذَّلُوا (ق : XLVI ، 27) عوض "بَلْ ذَلُّوا"

وفي اعتقادنـا ان هذا النوع من الادغـام كان اكثر وقوعا في لغة الحديث اليومي ولا سيمـا في اللهجـات القديمـة على ان سيبويـه (II ، ص 467) قد لاحظ ان عـدم الادغــام في نحو "هَلْ رَأَيْتَ" كـان من خصائص لغـة الحجـاز.

وقد احتفظت الالسن الدارجة العربية العصرية بحرف اللام عادة احتفاظا كاملا. ونجد التمييز بين اللام المفخمة او المغلظة وبين اللام المرققة في كثير منها ولم تدرس هذه الظاهرة الى حد الآن دراسة كاملة. بيد انه يبدو ان تفخيم اللام يتولد عن جوار الحروف المطبقة والحروف اللهوية وان جوار الحركات الخلفية لا يكفي لذلك (انظر ملاحظاتي بخصوص هذه المسألة في "لهجة تدمر العربية" ١، ص 51—52) وفي "لهجات البدو الرحل" (١، ص : 21—22) وفي "لهجات حوران العربية" الاطلس — الخرائط عدد 15 و 16 و 17 و 18) من ذلك قولهم بالتفخيم "صَـلاَ" (ṣaḷa) اي : "صَلاَةٌ" "وطُولْ" (ṭōḷ) وَطَلاَق (ṭaḷāq)

ويبدو ان تفخيم اللام في الشرق اكثر في لهجات البدو الرحل منه في لهجات الحضر. وينقسم فلاحو حوران انفسهم (وهم من البدو الذين انقلبوا حضرا منذ عهد قديم) الى فريقين فريق اسمهم "نَاس القُلاَّيَا" (nās el-guḷḷāye) (بتفخيم اللام) و"القلاّيا" عندهم مقلاة من الحديد المقصدر يتخذون فيها البرغل مسقيا بالسمن، واللام عندهم هي كلام كثير من البدو الرحل مفخمة فيقولون : بَصَلَه (baṣaḷa)وَبَغْلَه (baġḷa) وَنْخَالَه (nḫāḷa) وطْوَالَهْ (ṭwāḷa) (وهي المِعْلَف). الخ كل ذلك بتفخيم اللام .وفريق ثان اسمهم "ناس القلايا (nās el-göllāye) (بترقيق اللام) واللام في لهجتهم كلامُ فلاَّحِي سهل دمشق وهرمون (l'Hermon) ذوي الاصل الحضري لام مرققة دَوْمًا او تكاد فيقولون : بَصَلَى (baṣale) وَبَغْلَى (baġle) ونْخَالَى (nḫāle) وطْوَالَى (ṭwāle) (بترقيق اللام وامالة الفتحة الاخيرة)

ومثل هذه المقابلات موجودة في افريقيا الشمالية. فمن المعروف ان صغار البدو الرحل التَلّيّين يقولون : "قَلْبْ" (gaḷḅ) بتفخيم اللام بينما يقول البدو الرحل الصحراويّون : "قَلْبْ" (gälb) بترقيقها. وعلى من يبتغي النظر في مسالة تفخيم اللام في اللهجات الجزائرية ان يرجع الى: و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 25، والى م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 54—55؛ وينشأ التفخيم عندهم عن جوار حروف مفخمة اخرى الا انه ينشأ احيانا عن اسباب نفسية وقد يحدث بدون

سبب ظاهر. وتفخيم اللام عكس تفخيم الراء تفخيم يكــون — فيما يبدو دائمـا صوتيا وليس له قيمـة تمييزيـة بين المعاني .

ويظهـر ان التغييرات المطلقة التي تطرأ على اللام قليلـة جدا وبخلاف ذلك فان التغييرات المقيدة من تباين وادغام كثيرة جدا. ويكون التباين في الـكلمة الواحدة او في جزء واحد من الجملـة اذا كانت اللام مجاورة لراء أو لنون او لميم او للام اخرى. فاذا كانت في جوار الراء ابدلت تباينا نونا او ميمـا (اذا كان بعد الميم حرف شفوي) من ذلك قولهم في كثير مـن اللهجات الشرقيـة : "بَنُّـور" (bennūṛ) عـوض بَلُّـور الفصيحة وقول اهل تونس "جبْرَائِين" (Žubrāʾīn) عوض "جَبْرَائِيل" وقولهم في اكثر اللهجات السوريـة الفلسطينيـة : "امْبـارَح" (embareh) عوض "البَارِح" في الـفصحى. واذا كـانت اللام بجوار النون او الميم ابدلت تباينا اما نـونـا وأما راء نحو قـولـهم في كثيـر مـن اللهجـات "اسْمَـاعِين" (Ismāʿīn) عوض "اِسْمَاعِيل" وميخَـائين" (Mīḫāʾīn) عوض "ميخائيل"، الا ان اهل اللهجة العراقية يقولون: "قُنْصُر"(qonṣur) في قنصـل (من الفرنسيـة consul) .

واذا كانت اللام بجوار لام اخرى تباينت ايضا اما نونا او راء. من ذلك قولهم في مقاطعة وهران وبالمغـرب الاقصى "سَنْسْلَـة" (sensla) في "سِلْسِلَة" الفصيحة وزَنْزْلَــة (zenzla) في "زَلْزَلَـة" الفصيحـة وقولهم: "كُـرْغْلِي (qōröğli) فـي كُلُوغْلـي (من التـركيـة : كُلْ أغْلُـو (kul oğlu) (انظر و. مارسي "تلمسان" ص 33، 96 و"اولاد ابراهيم" ص 28 و م. كـوهـين "لـهجة يهود مدينة الجزائـر ص 86—89) ونجد الى جانب هذه الامثلة التي تتباين فيهـا اللام بجوار الراء واللام والميم والنون امثلـة اخـرى يـحدث فيهـا بخلاف ذلك تقريب بين منفصليـن في حالـة تجاور اللام والراء من ذلك قولهم في مصر: "رَاخَر" (rāḫar اى الآ خـر) ومنه قـولهم في تونس "ابْرِيـر" (ibrīr) في ابْرِيـلْ (ibrīl) من الايطـاليـة (aprile) (انظـر بروكلمان "مختصـر ١ ، ص 178)

كما ان ثمة امثلة تدل على ان اللام سقطت من الـكلام تماما نحو قولهم الشائـع في العـربــيـة الدارجة بالمغـرب العـربي "قَاتْلَك" (gātlek)

وقْتَلَـه (gutlāh) وقْتَلُـــو (gutlo̧) وهي في الفصحى "قَالتْ لَكَ" و"قلتُ لَهُ" ونحو قولهم في الاكثر بالجزائر "لُومْنَامِس°" (lūmnāmes) اى في الفصحى : "الأوّلُ مِنْ أمْس" (قارن هـذا بما جاء عند و. مارسي "اولاد ابراهيـم" ص 28) .

واما ادغـــام المتصلين فيمكننـا القول بان اللام وخاصـة لام اداة التعريف ليس تـدغم في نـفس الحـروف التي ادغـمت فيهـا في العربيـة الفصحى فقط بل وايضا في حـروف اخرى. ومـن المسائـل الهامـة بالخصـوص مسالة ادغـــام لام "ال" في الجيم الواقعـة اولا اوعـدم ادغامهـا فيهـا. فاذا نطقت الجيـم حرفـا مشأشأ مجهـورا (اي كالجيـم التونسيـة) كان الادغـــام مطردا او يكـاد (مثلـه في ذلك مثـل ادغـام لام "ال" في الشيـن المشأشأ المهمـوس) .

الا ان و. مارسي قد لاحظ في: "ثلاثة نصوص من حامة قابس" –ص: 231 أن هذا الادغام لا يلزم في لهجة تلك القرية الا اذا كانت الجيم اول عنصر من مركب حرفي (اي متبوعة بحرف آخر أو اكثر) نحو : "اجّبَل°" (ež-žbāl) (عـوض الجبـل) وبخلاف ذلك فان هذا الادغـــام يصير جائزا فقط فيـجوز وقوعـه كمـا يجوز عدم وقوعه اذا كانت الجيم الاولى من كلمـة ما متبوعـة بحركـة نحو قولهم : "إجّـر°" (ežžar̄) بالادغام والجر (el-žar̄) بعدم الادغام ومعناه : "قِسْمٌ مِنَ الْوَاحَة" واذا نطقت الجيم شديـدة وبزيادة رخوة اي "دْج°" ادغمت في جهـات ولم تدغم في جهـات اخـرى فيبدو حسب ما يمكننا الحكم به الآن ان لام "ال" لا تـدغـم في المغـرب. وامـا بـالشرق فـيبـدو بـخلاف ذلك – وفي نـطاق المعلومات التي لدينا – ان هذا الادغـــام مـطّـرد نحو : "ادْجْبَـل°" (eğ-ğābāl) بيد ان ل. باور (L. Bauer) يلاحظ في كتابه "عربيـة فلسطيـــن" (Das Palastinische Arabische) الطـبعـة الرابعة، ص : 5 "ان المثقفيـن من سكـان المدن يجتنبـون هذاالادغـام فيقولـــون مثلا : "الدْجَـو°" (el-ğaw) والدْجُمْلة (el-ğumle) (بدون ادغام). ونلاحظ الى جانب ادغـــام لام "ال" في الجيـم التي في اول الـكلمات ادغاما مماثلا للام "ال" في حرف " تْش° " المتولد في بعض اللهجات عن كاف قديمة نحو قولهم "اتّشلْبُ" (اي الـكلب) (eč-čalb) .

ومن ناحية اخرى يجوز ادغام لام "ال" في بعض الحروف الاخرى كفي الكاف مثلا في قولهم الشائع : أكُلْ (ökkul) (اي اَلْكُلّ) (انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 28 و ك. بروكلمان مختصر ا ، ص176) وكفي القاف المصرية المتولدة عن الجيم نحو "اقْزّار" (eg-gäzzār) (اي الجزار) (بروكلمان : نفس المرجع)

واخيرا فان من اللهجات العربية كلهجات القبائل الصغرى بالجزائر مثلا. ما تدغم فيه لام "ال" في الحروف الشفوية والاقصى حنكية ادغاما مطردا .

واذا استثنينا لام "ال" لاحظنا ان ادغام اللام في حرف بعدها قليل جدا. الا انه يجدر الاشارة الى ادغام اللام في النون (لن ← نّ) في نحو : "قُنَّا" (gunna) (اي قلنا ونّا (nna) (اي لْنَا اي لَنَا) ويحدث مثل ذلك في اللام المتبوعة بالراء (لر) فقد ذكر و. مارسي في "أولاد ابراهيم" ص 27 : الجملة التالية : "يِدَخَّرْ رُوحَه فِي قلبِي" (idahher rōhah fi-gölbi) (اي يُدَخِّلُ رُوحَهُ في قَلْبِي : أي يحاول أن يَسْتَمِيلنِي) وكذلك في اللام المتبوعة بالشين (ل ش) نحو : "ما ياكُش" (mā yākušš) في : مَايَاكُلْشْ (mā yākulš) (اي لا ياكل) (و.مارسي نفس المرجع) وكذلك في اللام المتبوعة بالتاء (ل ت) نحو : "قُتْلَهُ" (guttlāh) (في قُلْتْلُهُ) (gultlāh) (اي قُلْتُ لـه) (و. مارسي نفس المرجع ص : 28).

ومن أغرب ما يجدّ في هذا المضمار ما جد في كلمة "رِجْلْ" الفصيحة فقد طرا عليها في كثير من اللهجات السورية — الفلسطينية تقريب بين منفصلين ثم تباين فصارت : "ادْجِرْ" عن طريق صيغة اخرى محتملة هي "رِدْجَر". (reğr ⟶ ʾeğr)

3 — الضاد الانحرافية :

يبدو انه كان في السامية ثالوث من الحروف الشديدة الاسنانية ذات زائدة انحرافية هو :

$ت^{ل}_{2}$ — ($د^{ل}_{2}$)
$دْ^{ل}_{2}$

ويظن أن مخارج هذه الحروف كانت جد أمامية وأن شدتها كانت ضعيفة وانها لم تكن تقرع بين طرف اللسان متجافيا عن الحنك بل عند حافتي اللسان فكان يحدث عن ذلك في السمع نوع من اللام. ومثل هذه الحروف موجودة في كثير من لغات هنود أمريكا الشمالية وبعض اللغات الافريقية وبعض لغات "القوقاس".

وقد تفكك هذا الثالوث في اللغة العربية القديمة فقلبت الـ "ت$_{2}$ل" المهموسة شينا (انظر ما بعد هذا).

ولم نعثر على ممثل معروف لـ : "دل2" المشكوك في وجودها في السامية وبخلاف ذلك فان "د$_{2}$ل" المفخمة قد بقيت في اللغة خالصة مدّة ما وسنثبتها على سبيل التيسير : (ḍ) أي : ض .

وعن النحاة القدامى أن هذا الحرف من خصائص العربية وحدها وان الاعاجم لا قدرة لهم على النطق به (وفعلا فان الحروف الشديدة الاسنانية الانحرافية عسيرة في النطق على من ليس في لغته القومية من هذه الحروف شيء) .

ويسمى العرب "الناطقين بالضاد ""وروي عن النبيّ قوله : "انا افصح من تكلم بالضاد"". وقد وصف النحاة العرب النطق بالضاد وصفا حسنا كافيا نوعا ما. فمخرجها هو "اول حافة اللسان وما يليه من الاضراس" (سيبويه : II ، ص : 543، والزمخشري ابن يعيش : X ، ص : 124 — 125) ويجوز نطقها من الجانب الايمن أو من الجانب الايسر الا أن نطقها من الجانب الايمن أصح. وهذا يثبت اذن أن الضاد حرف انحرافي ومن جهة اخرى فقد نعتوا الضاد بانه حرف رخو مطبق وبانه ليس له مقابل منفتح (سيبويه : II ، ص : 454 — 455) واخيرا فقد أضافوا الى هذا الحرف صفة خاصة هي : "الاستطالة" بسبب استطالة مخرجه (انظر هول (Howell) كتاب النحو العربي : IV ص : 1707—1709) . على ان هذا التحديد ليس كافيا تمام الكفاية اذ يجوز معه التردد في نطق هذا الحرف بين : "دْلْ" (dˡ) و"ظْلْ" (dˡ) و"زْلْ" (zˡ) (اي بين دال مفخمة ذات زائدة لامية وبين الظاء ذات

الزائدة الانحرافية وبين الزاي المفخمة ذات الزائدة الانحرافية الا ان اتجاه تطور هذه الاحرف لا يترك لك أي شك في هذا الصدد فالنطق القديم كان : "ظْلْ" اى ظاء ذات زائدة انحرافية. أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا كما في النطق بالظاء وبان يجري النفس لا من طرف اللسان فقط بل ومن جانبيه ايضا (1).

ومنذ القديم كان هذا الحرف المعقد العسير على النطق عرضة للتغيير. فقد ذكر النحاة القدامى منذ عهدهم نطقا مستهجنا لهذا الحرف اسموه الضاد الضعيفة (سيبويه : II ، ص 452) وفي شرح السيرافي للكتاب ان هذه الضاد الضعيفة كانت تنطق كالظاء او بين الضاد والظاء وأقل من ذلك ابدال الضاد لاما في نحو ما ذكروه من قول الشاعر منذور بن حبة الأسدي في نصف بيت من قصيدة :

"مَالَ إِلَى أرْطاةِ حِقْفٍ فَالْطجَعَ" اى فَاضْطَجَعَ" (إفْتَعَلَ من ضَجَعَ) (سيبويه : II ، ص : 480، والزمخشري، ابن يعيش، X ، ص 45—46) ولا يطرأ على الضاد من الادغام الا شيء قليل. فقد اختلفوا في ادغام الضاد في الشين : (ض ش ← شّ) فعن ابي شُعَيْب السُّوسي عن اليَزِيدِي ان ابن العلاء كان يقرأ "لِبَعِشّأْنِهِمْ" (في لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ : ق : XXIV ، 62) الا أن أكثر الرواة قد رفضوا صحة هذه القراءة ولم يشهد بوجودها الا أبو شعيب المذكور. وعن سيبويه (II ، ص 473) أن ادغام الضاد في التاء (ضت ← طّ) جائز نحو "مُطِّجِعٌ" في "مُضْطَجِعٌ" (وأصله مُضْتَجِعٌ)

---

(1) انظر فيما يتعلق بنطق الضاد نطقا انحرافيا : ن· يوشمانوف (N. Jusmanov) : « مقابلة الضاد العربية للعين الآرامية » فى : « تقريرات أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتى » ، 1926 · وكذلك انظر م· كوهين فى « نشرة جمعية باريس اللغوية » ، 1927 ، تقريرات ص 172 · وكذلك انظر ج· س· كولين (G.S. Colin) « تعليقات فى دراسة اللهجات العربية » فى مجلة : « هسبيريس » (Hespéris) 1930 ، ص 91 وما بعدها · وبخلاف ذلك يجدر رفض الافتراضات الواهية التى افترضها ج· فيلانيسيك (J. Vilencik) فى « ما هى قيمة الضاد الصوتية فى السامية الاصلية » وهو فصل بالألمانية صدر فى « الجريدة الادبية الاستشراقية » (O.L.Z.) 1930 ، ص 90 ·

وقد صارت الضاد ظاء في الالسن العربية الدارجة العصرية عادة واستوت تماما في الظاءات الأصلية في اللغة. فنشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في نطق الضاد مماثلة لمختلف كيفيات نطق الظاء في العالم الناطق بالعربية، فتنطق في اللهجات المغربية ظاء ودالا مفخمة وطاء نحو ظـْرَبْ (ḏrab) ودْرَبْ (ḍrab) وطـْرَبْ (ṭrab) (في "ضرب") وكذلك لـرْظْ (larḏ) ولرْدْ (larḍ) ولـرْطْ (larṭ) (في الارض) واثر هذا النطق المختلف للضاد في اللهجات على نطقها في العربية الفصحى (مثله في ذلك مثل اللغة اللاتينية واختلاف النطق بها باختلاف الشعوب الناطقة باللغات الرُّوْمَنِيَّة (romanes) (أي المتولدة عن اللاتينية كالفرنسية والايطالية والاسبانية... الخ)

واكثر انواع نطق الضاد في الفصحى شيوعا هو نطقها كالظاء اذا كان في لهجة المتكلم حروف ما بين الاسنان وكالدال المفخمة اذا انعدمت من لهجته تلك الحروف . الا أن نطق الضاد نطقا انحرافيا مازال موجودا في بعض جهات قليلة متشتتة . من ذلك ما نجده في نقل الأسبان للعربية بالأحرف اللاتينية. فقد نقلوا الضاد عادة بواسطة حرف : d (دال) الا ان ثمة بعض الكلمات نقلوا فيها الضاد بواسطة حرفي: " ld " (ل د" نحو قولهم : " al-calde; al-calle " (الكَلْدِي) او (الكَلْيِي) في "القاضي" وقولهم : " al-bayalde " (البَيَلْدِي)(ومعناه مادة بيضاء من مواد الدهن) في "البياض" وقولهم : " ravalde "(رَبَلْدِي) في رَبَض" (انظر شتيغر (Steiger) "مساهمة في دراسة الصوتيات الاسبانية العربية" : (Contribution à la fonética hispano-arabe) ص : 165).

في جنوب الجزيرة العربية وبالخصوص في جهة "دَثِينَة" تنطق الضاد كاللام المفخمة فيقولون تـتْقَلّ بَهْ (titgaḷḷa bah) في تـتْقَضّ بَهْ (titgaḍḍa bah) (أي تتقضى به) ولَوْعْ (ḷawᶜ) في ضَوْع ومعناه اصحاب القبيلة الواحدة (انظر لاندبرق (Landberg) : "حَضْرَمَوْت" : ص : 637 و ك. بروكلمان "المختصر" : ا ، ص 132) ولم يبق أثر لنطق الضاد نطقا انحرافيا اذا استثنينا اللهجتين المذكورتين اعلاه بملاحظة ان اولى هاتين اللهجتين اي اللهجة الاسبانية – العربية قد انقرضت بعد. وفي الخاتمة فان الضاد صار ظاء أو لاما في الالسن الدارجة العربية العصرية واذن يجوز القول بان هذا الحرف قد خرج من هذه الالسن واضمحل منها .

V = الحروف الادنى حنكية

كان في السامية حرفان أدنى حنكيان هما : الشين المشأشأة والياء نصف الحركة. وخلافا لذلك فان عدد هذه الحروف في العربية ثلاثة هي الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخوة والشين المشأشأة والياء نصف الحركة وليس ثمة من بين هذه الحروف الأدنى حنكية الثلاثة الا حرف واحد يمثل امتدادا لمقابله بالذات في السامية . وهذا الحرف هو الياء. واما الجيم فتمثل القاف (g) الشديده الحنكية في السامية مع شيء من تحوير النطق بتقديم مخرجها الى ادنى الحنك. وأما الشين العربية فلا تمثل الشين السامية وانما تمثل حرفا شديدا اسنانيا ذا زائدة انحرافية لامية كان موجودا في السامية وهو : $ت^{ل}_{2}$ (t^{l}_{2}) وسندرس هذه الحروف الثلاثة واحدا وحدا .

1 — الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخــوة :

قد سبق لنا ان قلنا (ص : 27) وسنعيد ذلك القول فيما بعد — بان السامية كانت تحتوي على ثالوث من الحروف الشديدة الاقصى حنكية هو : ک — ڤ

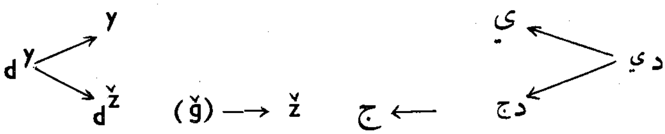
\ ق

وقد تقدم مخرج الـ "ڤ" المجهورة في العربية القديمة تقدما كبيرا بصفة مطلقة ولأسباب نجهلها فصار الى جهة أدنى الحنك. ومعلوم أن الحروف الشديدة الظهرية (1) الادنى حنكية حروف غير قارة وأن لها نزعة الى التغير بالتليين ثم بعد التليين بان تصير طرفية (1) مغارزية ماينة ايضا ولذا جاز ان نعتبر الرسم التالي لتطور هذا الحرف رسما مطردا:

---

(1) يطلق لفظ « ظهرية » (Dorsales) على الحروف التى تقرع بظهر اللسان ولفظ « طرفية » (Apicales) على التى تقرع بطرفه . ففى النطق بالظهرية — الادنى حنكية ينطبق ظهر اللسان على ادنى الحنك وفى النطق بالطرفية — المغارزية (alvéolaires) ينطبق طرف اللسان على مغارز الاسنان وهى أصولها .

ق ادني حنكية ←— قْيّ ←— دْيْ (dy —→ gy —→ g prépal) ثم يطرأ على : الـ "دْيْ" وهو دال ملين مغارزي المخرج نوعان من التغييرات اما بذهاب الشدة فلا يبقى الا مجرد "يـاء" او بانقـلاب الزائـدة المليـنة الى زائدة مشأشأة فيصير الحرف "دْجْ" ثم يجوز أن يفقـد هذا الحرف الاخير شدتـه فينتهي بـه المطاف الى مجرد جيم تونسيـة على النحو التالي :



وليس من اليسيـر أن نقـول إلى أية مرحلـة من هذا التطـور قد وصـل هذا الحرف في العربيـة القديمـة ولا بد أنـه كان يوجد ما يوجد الآن من اختلافات ذات بال في النطـق من لهجـة الى لهجـة. وقد عـرفوا الجيم بالنسبة الى العربية الفصحى بأنـه حرف شديـد حنكي ظهـري (... "وسط اللسـان" : سيبويـه : II ، ص 453 والزمخشري، ابن يعيش : X ، ص : 124) الا أن النحـاة القدامى لم يقولوا لناهل كان في الجيم تليين أو زيـادة رخوة ولا يـذكرون إلا انطقيـن "مستهجنَيْن" للجيم هما الجيم التي كالـكاف نحو "كَمَل" في "جَمَل" و "رَكُل" في "رجُل" وذلك من لغـة اليمن ولغـة بغـداد. والجيـم التي كالشيـن نحو "اِشْتَمَعُوا" في اِجْتَمَعُوا" و "الأَشْدَر" في "الأَجْدر (سيبويـه : X ، ص 452) والزمخشري ، بن يعيش : X ، ص 125 و127). الا أن الجيم حرف مجهـور والحروف المجهـورة المقابلة للـكاف والشين معدومة في الـكتابة العربية ولذا لزمنا أن نفهم من ذلك كما فعل برافمان : ("مــواد"... ص 40) ان هذيـن النطقين المستهجنين هما الجيم التي كالقاف (الجيم في مصر)والجيم التي كالجيم في تونس اي "قَمَل" (gamal) و"رَقُل" (ragul) مـن جهـة "والأَجْـدر" (بجيم تونسية) من جهـة اخرى. فاذا طرحنا هكذا نطق الجيم كالجيم المصريـة وكالجيم التونسيـة واذا طـرحنا كذلك نطقهـا : "دْيْ" (دال ملينـة بيـاء خفيفـة) و"دْجْ" (دال ذات زائـدة هي جيم تونسيـة خفيفـة كمـا في الجزائـر) — وذلك لأن مخرجهـا هو ظهـر اللسان وليس طرفـه — بدا لنا أن هؤلاء النحاة كانوا

يعتبرون أن نطق الجيم الصحيح الوحيد هو نطقها : "قْ ىْ" (1) (g^y) (اي جيم مصرية متبوعة بزائدة يائية خفيفة) الا ان مختلف الكيفيات المحلية الدارجة في نطق الجيم قد أثرت في قراءة العربية الفصحى شانها في ذلك شأن الضاد. وأكثر النطق شيوعا فيما يتعلق بالجيم هو أن تنطق "دّجّ" أو "ج" (تونسية) في قراءة اللغة الفصحى.

وعلاوة على الجيم التي كانت تنطق كالقاف (أي كالجيم المصرية) وكالجيم التونسية — وهما نطقان موجودان أيضا في العربية الدارجة — فقد يطرأ على الجيم بعض التقريبات وبعض الادغامات. من ذلك أن الجيم إذا كانت قبل التاء ابدلت شينا تقريبا نحو قولهم "اشتمعوا" في "اجتمعوا" المذكور اعلاه ويذكر النحاة علاوة على ذلك الادغامات الآتية :

ج ش ← شّ : نحو "أخْرِجْ شَبَثاً" ← "أخْرِ شَّبَثاً" ونحو قوله في : (ق : XLVIII ، 29) أخْرَجَ شَطْأهُ تقرأ "أخْرَشَّطْأهُ" (باسقاط حركة الجيم (الزمخشري، ابن يعيش : X، ص 138)

ج ت ← تّ وهو ادغام ذكره الزمخشري (نفس المرجع) عن اليزيدي. واليزيدي ينسب هذا الادغام على ما فيه من الغرابة الى ابن العلاء في قوله (ق : LXX 3-4) "ذي المَعَارِجِ تَعْرُجُ" تقرأ : ذِي المَعَارِتَّعْرُجُ" باسقاط حركة الجيم.

ج ز ← زّ : ذكره يا قوت : (II ، ص 204) ونسبه الى لغة العوام في قولهم "حُزَّةُ السَّرَاويل" في "حُجْزَةُ السَّرَاوِيل" .

ونجد في الألسن الدارجة العربية العصرية أنواعا مختلفة من نطق الجيم هي الأنواع التالية :

• نطقها كالقاف (g) (وسط حنكية أو أقصى حنكية) في مصر حيث يقول النّاس "قَبَلْ" (gabal) (في جبل) و "نَقْمْ" (negm) (في نجم) و "أقَ" (aga) (في جاء) ومثل هذا النطق موجود في عُمان على ما يبدو.

---

(1) انظر فيما يتعلق بنطق الجيم بروكلمان « مختصر » ، ص 222 و « فولارس » اللغة الدارجة ... ص 11 (ويعتبر فولارس نطق الجيم دى في العربية الفصحى مناقض لوصف النحاة العرب لها) و و. مارسي دائرة المعارف الاسلامية فصل « جيم » ، ص 1075 — 1076 .

• نطقها : "ڤْيْ" (gʸ) (ادنى حنكية وملينة تليينا خفيفا وكثيرا ما يعسر التمييز بينها وبين "دْيّ") موجود عند البدو الرحل في شمال الجزيرة العربية وخاصة عند عشيرتي شمر وعنز (انظر "دراساتي في لهجات بعض البدو الرحل" : I ، ص 25—26، نحو قولهم "انْعَقْيَه" (nᶜagʸa) (في نَعْجَة) و"ڤْيَبْهَة" (gʸabha) (في جَبْهَة و"ڤْيَفْنْ" (gʸefen) (في جَفْنْ) والى جانب نطق الجيم "ڤْيْ" نجد في نفس هذه اللهجات البدوية نطقا آخر ايضا يظهر في ظروف ما زالت غامضة وهو نطق الجيم "ڤ" (g) نحو قولهم "رِڤْلْ" (regel) (في رجل) و"ڤلْدْ" (geld) (في جلد) ويبدو ان نطقا مماثلا لهذا موجود في قسم من اليمن (انظر أ. روسي) (E. Rossi)في دراسته باللغة الايطالية "تعليقات حول دراسة لهجة اليمن" :(Appunti di dialettologie del Yemen) ص 7 (في مجلة الدراسات الشرقية : (R S O) : XVII ، ص 236) .

• نطقها كالياء (وقد تصير هذه الياء كسرة) وهو موجود عند عدد من قبائل شمال الجزيرة العربية كقبيلة السردية وبني صخر والفحيل والسرحان والشرارات وكذلك عند حضر تيماء ودومة الجندلية (جوف) وجبة وحايل وكذلك عند بعض قبائل ادنى الفرات. وقد اثبتّ شخصيا وجود هذا النطق عند بني سردية وسرحان وعند سكان جوف وذلك في "دراسات بعض لهجات البدو الرحل" : I ، ص 24—25 و II : ص 137—138) والتقطْتُ بعض الامثلة نحو قولهم : يَبْهَة (yabha) ج. إبَاهْ (ibāh) (في جَبْهَة) وحَايِبْ (ḥāyeb) (في حاجب) ويثنى على : حَايْبِينْ (ḥāibēn) و: رِيل (riyᵉl) (في رِجْل) ولكنهم يقولون : ريلي (rīli) (في الاضافة الى ضمير المتكلم) ... الخ.

وأكثر أنواع نطق الجيم شيوعا هو نطقها "دْجْ" ونطقها "ج" (اي كال " j " في الفرنسية) واليك ما نعرفه فيما يتعلق بالمناطق الخاصة بهذين النطقين :

ففي اليمن تنطق الجيم "دْجْ" وهو اكثر انتشارا من أي نطق آخر: انظر أ. روسي : نفس المرجع. وفي العراق يبدو أن نطقها "دْجْ" يحتل أيضا مكانة هامة وهو النطق الذي سمعته شخصيا في جميع الأماكن التي أجريت البحث فيها .

وفي الصحراء السورية نطق الجيم "دْجْ" نطق مطرد عند قبائل صغار البدو الرحل مثل الحَديدين والموالي وبني خالدْ ونْعيم وفَضْل... الخ (بينما ينطقها العنز وشمر : "ڤْيّ") ونطقها جيما تونسية غير موجود عند البدو الرحل في هذه الجهة على الاطلاق.

وبخصوص سوريا وفلسطين والاردن نجد في الخريطة عدد 2 من "الاطلس اللغوي" لبرغشتريسر توضيحا جليا للحالة في هذا المضمار. فنطق الجيم في هذه البلاد جيما تونسية نطق مدني نجده في مدن دمشق وبيروت وحيفا ونابلس وبيت المقدس ويافا وغزة... الخ.

ويوجد هذا النطق أيضا في جميع لبنان والجبل الشرقي بسوريا (l'Anti-Liban) وجبل الدروز. وبخلاف ذلك فان نطق الجيم "دْجْ" أكثر انتشارا في الارياف الفلسطينية والاردنيّة والسورية.

وأما بافريقيا الشمالية فان الحالة هي عكس ذلك تماما فنطق الجيم جيما تونسية أكثر انتشارا بكثير من النطق الآخر فهو النطق الموجود ببلاد طرابلس وبلاد تونس والمغرب الاقصى (مع ملاحظة أن نطقها "دْجْ" قد يظهر بمدينة طانجة إذا كانت الجيم مضعفة) وهو النطق المنتشر عند أكثر البدو الرحل ولا يوجد نطق الجيم "دْجْ" بصفة مطردة الا في قسم من الجزائر كمقاطعة قسنطينة ودائرة السطيف ودائرتي بلديتي جيجلي وفج مزالة المختلطتين وقسم من دائرتي بلديتي بريكة والقنطرة ومدينتي قسنطينة وبجاية. كما يوجد هذا النطق أيضا في مقاطعة الجزائر العاصمة بجميع التل وفي مقاطعة وهران بالجزء التلي من دائرة مستغانم وفي قسم من دائرة معسكرة (Mascara) وفي أقصى شرقي دائرة وهران وأخيرا في مدينة تلمسان.

وكل ما ذكرناه إلى حد الآن من مختلف الأنواع في نطق الجيم هو نطق مجهور والى جانب هذا النطق المجهور نجد بعض الانواع القليلة من النطق المهموس وتوجد في مناطق ضيِّقة محدودة. من ذلك نطقهم للجيم "تْشْ" في تدمر وفي بعض قرى الجبل الشرقي في سوريا نحو : "تْشَار" (čār) (في جَار) "وتْشَمَل" (čāmāl) (في جمل)

و "تْشِيتْشِي" (ťčeče) (في دجاجة) و "اتْشِي" (eče) (في جاء... الخ . وتنطق الجيم في واحة سُخْنَة (بين تدمر والفرات) "تْسْ". من ذلك قولهم "حِيتْسِبْ" (hīćeb) (في حَاجِب) و "تْسِلْدْ" (ćeld) (في جِلْد) و "تْسِيتْسِي" (ťćīći) (في دجاجة)... الخ ومن الجائز ان يكون هذا النطق المهموس للجيم ناتجا عن تأثير اللغة الآرامية.

وقد يحدث في كثير من اللهجات اليهودية العربية أن تختلط الجيم (ذات النطق التونسي) بالزاي : انظر كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" : ص 24—25 (الجيم المنطوقة : "دْج" تصير الى "دْز") ويقع هذا الإبدال بالأخص في لهجات يهود مدينتي قسنطينة وتلمسان.

ويطرأ على الجيم علاوة على ذلك تغييرات مقيدة مختلفة وأهمها التغييرات التي تطرأ اذا كان في الكلمة حرف جيم وحرف من حروف الصفير أي السين والزاي والصاد أو حرف الشأشأة وهو الشين، فإذا كان الأمر كذلك حدثت عدة ظواهر كالادغام والتباين. وقد تختلف هذه الظواهر من لهجة الى أخرى. :

فاذا اتّصلت الجيم بإحدى الحروف المذكورة وقع الادغام أو التقريب من ذلك "بالجزاف" في الفصحى تصير في اللهجة الجزائرية "بزّافْ" (bezzāf) وكذلك "يَجْزِي" في الفصحى تصير في لهجات المغرب العربي "يدْزِي" (yedzi) بل وحتى "يِزّي" (yezzi) وكذلك لفظة "الجزيرة" قد صارت في اللهجات الجزائرية "دْزِيرَة" (dzīra) ومنه لفظ الجزائر الذي صار الى "ادْزَايِرْ" (ed-Dzāir) وكذلك لفظتا "جَسَد" و "جِسْم" في الفصحى فقد صارتا في لهجات يهود الجزائر الى "تْسِدْ" (tsed) و "تْسِمْ" (tsem) والعملية الصوتية التي حدثت في هذه الأمثله هي عملية تقريب أبدلت فيها الجيم دالا أو تاء بذهاب عنصر الشأشأة منها (انظر بروكلمان "المختصر" ١، ص . 177 حيث يستشهد بـ : و. مارسي. وانظر م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر ص : 80).

وقد تسقط الجيم إذا وقعت بعد السين (ويحتمل انها صارت أولا إلى الياء ثم سقطت تماما كما في لفظة "مَسْجِد" التي صارت الى "مْسِيدْ"

(msīd) (انظر الجواليقي "خطأ العوام" طبعه ديرنبورغ (Derenbourg) (Festschrift Fleischer) ص145—146 و. مارسي "لهجة تلسمان ص . 315)

ولئن كان ادغام الجيم أو قلبها إذا كانت بجوار حرف من حروف الشأشأة يقعان أحيانا في كثير من اللهجات العربية فإن وقوعها أكثر في اللهجات الجزائرية بالخصوص. ويمكن ترتيب هاتين الظاهرتين ترتيبا وجيزا كما يلي :

أ — في لهجات البدو الرحل التونسيين وتعرف بلهجات "و" (E) تبدل الجيم ذات النطق التونسي زايا إذا كان في الكلمة زاي أو سين نحو : جزّار ← ززار (ǧazzār ⟶ zāzzār) وعجوز ← عزوز (ᶜaǧūz ⟶ ᶜazūz) أو "عزُوزَة" (ᶜazūza) وَزَوْجْ ← زُوزْ (zōz ⟶ zawǧ) (بنطق الضمة كال 0 الممدودة) أو "زوز" (zuᵃz) بتسلل فتحة ممالة خفيفة بين الواو والزاي) أو "زُوزْ" (zūz) (بنطق الضمة صريحة كما في الفصحى) ونحو "جَوْزة" التي صارت الى زُوزَة (zōza ⟶ ǧawza) (أي بواو منفتحة نوعا ما) وزُوزه (zūza) وكذلك قولهم : "زليز" (zlēz) (أي بياء منفتحة بعض الشيء) وزليز (zlīz) (أي بياء عادية) في "زليج" وقولهم "زِنْس" (zens) في "جِنْس" و"زِبْس" (zebs) في "جِبْس".

وقد امتد هذا النوع من الإدغام الذي يقع بذهاب الشأشأة من الجيم إلى اللهجات الحضرية بتونس وتوغل نحو غربي الجزائر إلى مسافة لا بأس بها إلى أن بلغ مدينة قسنطينة ودوائر مدينة سكيكدة (انظر كانتينو "اللهجات العربية في مقاطعة قسنطينة — الخريطة).

ب) في لهجات البدو الرحل بصحراء الجزائر (لهجات "أ" : A) تبدل الجيم (ذات النطق التونسي) زايا إذا احتوت الكلمة على زاي أو سين أو شين وتبدل في نفس الوقت الزاي او السين جيما تونسية أوشينا على الترتيب فيقع هكذا تبادل الشأشأة نحو جزّار ← زَزّار (zazzār) (1)

(I) ربما وقع غلط مطبعي اذ المفهوم من السياق أن جزار تصير الى زجار .
المترجم

وعجوز ⟵ عزوج (ᶜazūž) وجَز ⟵ زج (zăžž) وجَاز ⟵ زَاج (zăž) وجِبّس ⟵ زِبّش (zebš) وجنس ⟵ زنش (zenš) وجاموس ⟵ زاموش (zāmūš) وجيش ⟵ زَيْش (zeⁱš) (بياء خفيفة) وجَحش ⟵ زحش (zaḥš) ... الخ (قارن بما ورد في كتاب و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 18)

وقد امتدت هذه الخاصية الغريبة من صحراء الجزائر الى الشمال بعيدا فتوغلت في مقاطعة الجزائر العاصمة حتى بلغت "بروغية" و"بويرة" وفي مقاطعة وهران حتى بلغت ساحل البحر بين مستغانم وبني ساف (انظر كانتينو "اللهجات العربية بمقاطعة الجزائر" و"لهجات مقاطعة وهران" الخرائط.

وأما اللهجات المغربية فيطرأ فيها على الجيم أحد التغييرات الثلاثة التالية (وفي بعض الأحيان تطرأ هذه التغييرات الثلاثة كلها في لهجة واحدة) ولم يحدد بوضوح الى حد الآن مركز انتشار كل واحد من هذه التغييرات تحديدا جغرافيا.

1 – تبدل الجيم (ذات النطق التونسي في الوقت الحاضر ولكنها كانت فيما يرجح تنطق "ڨْيْ" (gʸ) في هذه اللهجات) تبدل "ڨ" (g) فيتأخر مخرجها وذلك اذا كان في الكلمة حرف من حروف الصفير نحو قولهم ڨَزّار (gᵃzzār) وعڨوز (ᶜagūz) وڨلس (gleṡ) (من جلس وڨنس (gens) وڨاموس (gamus)و"ڨبس" (gebs)

وقد يقع ذلك أحيانا إذا كانت الكلمة تحتوي على شين نحو "ڨيش" (g i s) (وهو حرس السلطان) ويوجد نطق من هذا القبيل بالجزائر أيضا بالقسم الغربي من مقاطعة وهران. من ذلك خاصة قولهم "ڨزّار" (gäzzār) ومن ذلك أيضا قول المالطيين في لهجتهم "ڨزيرة" (gzīra) (أي جزيرة) .

2 – وتبدل الجيم (ذات النطق التونسي الآن ولكنها كانت تنطق "دْجْ" (g) في هذه اللهجات) تبدل دالا تباينا بذهاب عنصر

الشأشأة منهـا نحو قولهم دَزّارْ (däzzar) (جزار) و"دز" (däz) (من جَازَ) و "دزّة" (dezza) (من جـزّة) و"دبس (debs)(جبس) وداصر (dạser) (بتغليظ الدال).(من جاسر) ودْحِشْ (dḥeš) (أي جحش) ومن ذلك أيضا كلمة "شجرة" في الفصحى فقد آلت عندهم أولا إلى "سَدْجْرة" (säǧra) (بإبدال الشين الأولى : انظر ما سيأتي في هذا) ثم في النهاية الى سَدْرة (sädra)وقد توغل هذا النوع من النطق في الصحراء الوسطى وخصوصا في قُوارة وتُوات" ولكن هذا النطق باستثناء النطق المدرج أعلاه في باب أولا — موجود أيضا بسوريا وبالعراق (انظر بروكامان "المختصر" : ج 1 ، ص. 255) وهكذا نفسر قولهم في سوريا "دَشّرْ" (däššar) (بتفحيم الراء) اي : "تَرَكَ" وهو من الفصيح "جشر" (الاناء اي افرغه)

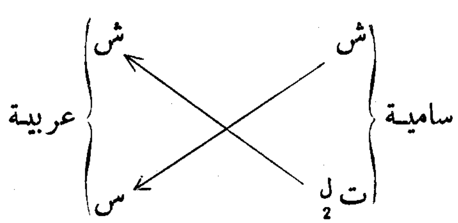
3 — تبقى الجيم على حالها وهو أقل من سابقيه وفي هذه الحال يبدل حرف الصفير حرف شأشأة نحو قولهم "جُوج" (žuž)وعجوج (cažuž) وججّة (žažža) (اي جزة) وقد توغل نطق من هذا القبيل في لهجات صحراء وهران .

وهكذا ترى مدى تنوع الظواهر الصوتية الطارئة على الجيم إذا كان هذا الحرف مجاورا لحرف من حروف الصفير أو الشأشأة في كلمة واحدة ولا تبقى الجيم خالصة في هذه الحال الا في ميدان لهجات البدو الرحل المرموز اليها بحرف ب (B) وفي بعض اللهجات الحضرية (شرقي مقاطعة وهران وشمالي مقاطعة الجزائر وغربي مقاطعة قسنطينة) واذا كانت الجيم بجوار الدال ابدلت ايضا تباينا من ذلك كلمتا "جَديد" و"جَدْي" فقد آلتا في الأكثر الى جْدِيد (ždīd) وجْدِي (ždi) حتى في اللهجات التي تنطق الجيم فيها "دْجْ" ولكن هذا الابدال التبايني قد يقع بأن تبدل الجيم قافا (g) من ذلك قولهم "قْد" (gidi) (في جَدْي) في اللهجة المالطية. ويطرأ مثل هذا في كلمة "دجَاج" فقد آلت هذه الكلمة الفصيحة في اللهجات التي تنطق الجيم فيها "دْجْ" الى "دْجَادْجْ" (ǧāǧ) (وقد اشتقوا منها قولهم "دْجّوادْجْ" (ǧawwāǧ) ومعناه بائع الدجاج والبيض وهي من لغة مدينتي الجزائر والبليدة).

ولـكن قد يحدث. أيضا تبادل الشأشأة في هذا المضمـار من ذلك قولهم ”جـدْ ادْ“ (ždād) في ”دَجَاج“ (انظـر و. مارسي : نصوص طانجـة ص 248) ولم يحتفظوا بصيغة ”دْجَـاجْ“ (džāž) الا في اللهجـات الشمـال افريقيـة التي صارت الجيم فيهـا الى جيم تونسية منذ عهـد قديـم.

2 — الشيـن المشـأشـأة

كان في اللغـة السامية حرف مشأشأ (هو الشين وقد صار هذا الحرف في العربيـة الفصحى الى السيـن (واختلـط هكذا بالسيـن التي أصلهـا في السامية حرف ”تـ س“) وبخـلاف ذلك فقد آل الحرف الذي كان في السامية حرفا شديـدا مهمـوسا ذا زائدة انحرافية أي الـ ”تـ ل$_2$“ آل في العربية إلى الشين ويمكن تصويـر هذا الاشتباك بالـكيفيـة التاليـة :



وقد أطلقـوا على هذا التغييـر المشتبك اسم ”قلب حروف الصفيـر“ (بالالمـانيـة : Zischlaut verschiebung). متى وقــع هذا القلـب في حروف الصفيـر ؟ من المرجح أنه جد في أثنـاء القرون الاولى من العهـد المسيحي ويشهد بذلك فيما يظهر بعض التردد في كتـابة حرفي الشيـن والـ ”ت ل$_2$“ القديميـن (فقد كانا يرسمان هكذا : امـا s أو ś) وقد لوحظ هذا التردد في الرسوم النبطية والتدمرية و بقي أثره في الـكلمات الآرامية الدخيلـة في العربية (انظر بروكلمان ”المختصـر“ ج ا ، ص. 129—130 وانـظـر كـذلك كانتينـو ”اللـغـة النبطية“ ج ا ، ص. 42—44 و”نحو التدمريـة المرقومة“ Grammaire de palmyrénien épigraphique) ص 41—43).

ومخرج الشين في العربية القديمـة حسب النحاة العرب كمخـرج الحروف

الأدنى حنكية القديمة أي وسط اللسان ووسط الحنك الاعلى : (انظر سيبويه : II ، ص 453، والزمخشري ابن يعيش ج X ، ص. 124). وقد زعم بعض النحاة أن مخرج الجيم هو من بين مخارج الجيم والشين والياء أدخلها في الفم وأن مخرج الياء هو أشدها أمامية وان مخرج الشين مخرج وسط بين مخرج الجيم ومخرج الياء .

ويكاد لا يطرأ على الشين من التغييرات المطلقة شيء فلم يرد من ذلك فيما يظهر إلا قلب الشين سينا في كلمتين من مادة صرفية واحدة ليس غير وذلك قولهم : (رجل) "مسدود" عوض "مشدود" وقولهم "سدّة" عوض "شدّة" : (انظر "هول" النحو العربي ج : ١٧ ، ص. 1393 نقلا عن الرضي والأشموني)

وليس التغييرات المقيدة التي تطرأ على الشين بأكثر من التغييرات المطلقة بكثير فلم يأت في القرآن في باب ادغام الشين الا ادغامها في السين (ش س ← سّ) وحتى هذا الادغام الوحيد لم يقرأه الا قارىء واحد هو ابن العلاء. فقد قرأ في السورة : XVII ، الآية : 44 : "إيالَ ذي العَرسّبيلا" عوض "ذي العرش سبيلا" بادغام الشين في السين بعد اسقاط حركتها (انظر ابن يعيش : X ، ص : 139).

ويعتبر ابدال الشين جيما إذا كانت متبوعة بحرف مجهور على سبيل التقريب نطقا جائزا : نحو قولهم "أَجْدق" في "أَشْدق" (انظر سيبويه : II، ص:452 والزمخشرى ابن يعيش ج : X ص 125—127) وهنالك بعض الأمثلة أبدلت فيها الشين تباينا. من ذلك قولهم أحيانا "قلْدة" عوض "قشْدة" وهي عشبة كثيرة اللبن. ويرجع هذا التباين فيما يحتمل الى العهد الذي كانت للشين الحالية فيه صفة الانحراف .

وكلمة "شمس" تمثل مشكلا في هذا السياق. فمن المحتمل أن الصيغة السامية القديمة كانت "شمش" ولكن إحدى هاتين الشينَيْن قد أبدلت منذ عهد قديم جدا في العربية وفي العربية الجنوبية إما "$ت_2ل$" أو حرفا منقلبا عن "$ت_2ل$" وذلك على سبيل التباين.

ففي العربية الجنوبية أبدلت الشين الآخرة وآلت الكلمة الى "شمش"

(ت$_2^ل$ ← ش) وهي صيغة موجودة في المرقومات. وفي العربية ابدلت الشين الأولى وآلت الكلمة الى "شمس" (ت$_2^ل$ ← ش وش ← س)

وقد تتابع تطور كلمة "شمس" في العربية الدارجة كما سنرى ذلك فيما بعد.

ولم يطرأ على الشين في العربية الدارجة من التغييرات المطلقة إلا شيء قليل. من ذلك نزعة الشين إلى الانقلاب سينا في بعض لهجات الحضر المسلمين (كلهجة الميليا بمقاطعة قسنطينة).

ويُوجد نفس هذا الأمر في كثير من اللهجات اليهودية. نحو لهجة يهود تونس العاصمة : انظر اشتمه (Stumme) "حكايات وأشعار تونسية" (Tunisische Marchen und Gedichte) ص. 52 و72. من ذلك قولهم ما كُنْتِشِي (ma kuntši) (عوض ما كُنْتشي (ma kuntsi) وسُو أَدَ (Su ada) (عوض إِشْنُوّه هذا)(اي ما هذا) ونحو لهجة يهود الجزائر العاصمة : انظر كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" 24—25. ونحو لهجة يهود مدينة فاس انظر بْرُونُو (Brunot) "ملاحظات حول لهجة يهود فاس العربية" وهو فصل صدر في مجلة هسبيريس (Hespéris : 1936، ص : 10).

وأما فيما يتعلق بادغام الشين في السين والصاد والزاي فانظر و. مارسي "لهجة اولاد ابراهيم" ص. 17—18 .

ويجوز إبدال الشين سينا تباينا إذا كان في الكلمة حرف مشأشأ آخر وهناك مثال حسن لهذه الظاهرة وهو كلمة "شجرة" الفصيحة فقد صارت هذه الكلمة في كثير من اللهجات الى سَجَرَة (sağara) (براء مفخمة) في الشرق والى سَجْرَة (säğra) (براء مفخمة) في المغرب العربي، وفيما يتعلق بكيفية توزع صيغتي شَجَرة (šağara) (براء مفخمة) وسَجَرَة (sağara) بين جنوب سوريا والاردن: انظر كانتينو "لهجات حوران العربية" : الاطلس — الخريطة رقم 13.

وشبيه بهذه الظاهرة ما يقع في كلمة "شَطْرنْج" إذ تنزع إلى

صيغة : سَطْرنْج" (saṭranǧ) وفي صيغة "شَجِيع" إذ تنزع إلى صيغة سَجيع (saǧīᶜ) (انظر بروكلمان "المختصر" ج ١ ، ص. 235 و و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص. 19... الخ)

وأما لفظ "الشمس" فقد تابع في العربية الدارجة سلسلة تغيراته واستحالاته : ففي لهجات المغرب العربي نجد عادة صيغة "سَمّش" (sämš) بتبادل الشأشأة. ولكننا نجد أحيانا وخاصة في اللهجات اليهودية صيغة ابدلت فيها السين الاولى شينا بتأثير الشين الآخرة وذلك تقريب بين منفصلين فآلت الكلمة عندهم الى "شَمْش" (šämš) فبعثت هكذا الصيغة السامية القديمة بعثا جديدا .

3 – الياء نصف الحركة

سينظر في الياء فيما بعد عند التعرض الى نصف الحركة الأخرى أي الواو.

الحروف الاقصى حنكية

سبق لنا أن قلنا إنه كان في السامية ثالوث من الحروف الشديدة الظهرية الحنكية وهو : ک – ڤ
\ ق

وكان الحرف المفخم من هذا الثالوث أي القاف لهويا أكثر منه أقصى حنكيا.

وقد تفكك هذا الثالوث في العربية القديمة : فقد راينا ان الڤاف (g) المجهورة قد آلت بصفة مطلقة الى حرف ظهري أدنى حنكي بل والى حرف بين طرف اللسان ومغارز الأسنان اما مليّن أو ذي زيادة رخوة مشأشأة (انظر صفحة : 89) وهكذا فقد خرج هذا الحرف (أي الڤاف) من الثالوث السامي المذكور ولم يبق في العربية إلا زوج من الحروف متركب من حرفين شديدين هما : ک —— ق

أولهما أي الكاف أقصى حنكي مهموس وثانيهما أي القاف حرف لهوي مفخم .

وسندرس هذين الحرفين على التوالي :

1 ــ الكاف الشديدة الأقصى حنكية المهموسة

إن مخرج الكاف حسب النحاة العرب هو "أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الاعلى" : انظر سيبويه، II ، ص. 453 والزمخشري، ابن يعيش ، ج : X ، ص. 123—124 وعلاوة على ذلك فقد حشروه في زمرة الحروف المهموسة الشديدة فهذا الحرف هو إذن وبدون أي شك حرف شديد مهموس أقصى حنكي .

ولا يطرأ على الكاف عادة أي تغيير. الا أن النحاة العرب قد ذكروا منذ عصرهم بعد وجود نطق مستهجن للكاف هو الكاف التي كالجيم نحو "جَافِر" عوض "كافر" (انظر سيبويه : II ص. 452، والزمخشري، ابن يعيش : X ص. 125—128 وهنول "النحو العربي" IV : ص. 1720) ولما كان الكاف حرفا مهموسا والجيم مجهورا فالمفروض ان يكون هذا النطق المذكور هو نطق الكاف "تْشْ" واذن يصير الشاهد "تْشَافر" عوض "كافر". وهكذا يستقيم فهمنا لما ذهب إليه سيبويه وابن يعيش عندما وصفا هذا النطق في نفس الفقرة بأنّه بين الكاف والجيم ومهما كان الأمر فان هذا النطق هو تغيير مطلق يطرأ على الكاف فيصيرها "تْشْ"، وسنجد نفس هذا التغيير في بعض الالسن الدارجة العربية اليوم.

ويشير النحاة العرب إلى جانب ذلك إلى تغيير مشابه هو إبدال الكاف شينا (او "تْشْ") أو ابدالها سينا (أو "تْسْ" ؟) إلاّ أن هذا التغيير يختلف عن الأول إذ هو تغيير مقيد وقد أطلق النحاة العرب على هاتين الظاهرتين الصوتيتين اسم "الكشكشة" و"الكَسْكَسَة" (1) والكشكشة

(1) فيما يتعلق بالكشكشة وبالكسكسة فى معنى مخالف تماما أى : قلب الكاف عند الوقف « كش » او « كس » أنظر ما سيجىء فى هذا فيما بعد .

هي أن يصير ضمير المخاطبة المفردة وهو "كِ" إلى "شْ" أو "شِ" وقد حدث ذلك أولا عند الوقف نحو "ما الذي جاء بشْ" عوض "بكِ" ثم حدث أيضا في سياق الكلام نحو قراءة بعض القراء "جعل رَبُّشِ (أي رَبُّكِ) تحتشِ (أي تحتكِ) سريا". والكشكشة عندهم من خصائص لغة بني تميم وربما كانت أيضا من خصائص لغة بني أسد بل وكامل بني ربيعة.

وأما الكسكسة فعملية قريبة جدا من الكشكشة : فهي ابدال نفس الضمير المتصل "كِ" فيصير "سْ" أو "سِ" سواء عند الوقف أو في السياق نحو "أبوسِ" أي "آبوكِ" و"أمسِّ" أي "أمكِّ" وهي عندهم من خصائص لغة بني بكر. انظر فيما يتعلق بهاتين الخاصيتين: الزمخشري، ابن يعيش IX ، ص. 48—49 والسيوطي "المزهر" I ، ص. 109 والحريري "الدرة" ص. 184—185 وفولرس "لغة الشعب" ص 11—12 وبروكلمان "المختصر :" I ، ص : 206 .

وأما سبب إبدال "كِ" "شْ" او "شِ" فواضح : فقد أصبحت الكاف أدنى حنكية من جراء جوار الكسرة فأصبحت ملينة بياء خفيفة "كْ يْ" ثم صارت "تْيْ" ثم "تْ شْ" ثم آلت في النهاية الى "شْ" حسب تطور شبيه بالتطور الذي سبق لنا أن رأيناه بخصوص القاف(g) السامية القديمة التي صارت في العربية الى "دْجْ" ثم الى "ج" (تونسية)

وليس تطور كهذا التطور بنادر : فنرى في كثير من اللغات أن الحروف الشديدة الحنكية من شأنها أن تتغير فتبدل "تْشْ" أو "شْ" أو "تْسْ" و"سْ" إذا كانت بجوار حركات من وسط الحنك أو من أدناه : من ذلك الكاف في اللاتينية ففي جميع اللغات الرّومنيّة أي المتفرعة عن اللاتينية تبدل هذه الكاف إذا كانت بجوار الكسرة (i) أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (e) أو حتى الفتحة العادية (a) نحو كلمة "كِرَامْ" (Ceram) في اللاتينية ومعناها الشمع فقد آلت في الايطالية الى : "تشيرا" (Cera) وفي الفرنسية الى "سِيرْ" (cire) ونحو كلمة "كِنِرَامْ"(Cinerem) اللاتينية (أي الرماد) فقد آلت في الايطالية إلى

"تشنري" (Cenere) وفي الفرنسية الى "سَانْدْرْ" (Cendre)
وكذلك كلمة "كَنَـام" (Canem)في اللاتينية (أي الكلب) فقد آلت
في الفرنسية الى "شيَـان" (chien) .

وقد يدغم الكاف في قاف تليه فيجوز قراءة "اذا خرجوا من عِنْدِ
قَّالوا " (باسقاط الحركة) عوض "اذا خرجوا من عِنْدِكَ قالوا (قرآن
سورة : XLVII ، آية : 18) ذكره الزمخشري، وابن يعيش، X ،
ص. 139، الا أن عدم الادغام في هذه الآية أحسن عندهم من الادغام.
ويطرأ على الكاف في الألسن الدارجة العربية أيضا تغييرات مطلقة ومقيدة
فالتغييرات المطلقة هي التي تطرأ على الكاف مهما كان الجوار الصوتي
حركات وحروفا. وسببها تقدم مخرج الكاف فيصير أدنى حنكيا بعد أن
كان في أقصى الحنك وينتج عن هذا التقدم تعرض الكاف لعمليات
صوتية مختلفة من تليينه الى دخول الزوائد الرخوة عليه الى ارتخائه تماما.

ونجد عمليات من هذا النوع – وهي عمليات نجهل أسبابها الاصلية
جهلا – نجدها في الشرق بوسط فلسطين (انظر برقشتراسر : "الأطلس
اللغوي" – الخريطة رقم 3. ولا يفرق المؤلف في هذه الخريطة بين
دخول الزوائد الرخوة على الكاف بصفة مطلقة ودخولها عليه بصفة
مقيدة) ونجدها كذلك في قريتين بجنوب سوريا هما : تشناتشر
(Čänāčer) وزاتشيه (Zāčye) وفي واحة سخنه (Suḫne)
بصحراء سوريا من ذلك قولهم "رُتْشْبَة (röčbe) في "ركبة" و"تْشُرْسِ"
(čörsi) في "كرسي" و"دَارْتْشُو" (dārčo) في "دَاركُم"...الخ
وتوجد أمثلة من هذا النوع في منطقتين من مناطق الجزائر أيضا هما :
أولا : منطقة القبائل الصغرى (La petite Kabylie) المسماة أيضا قبائل
البابور (Kabylie des Babors) أي القسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية
واد مرسى ودوائر بلديات دجيجلي وطاهر والميليا وما يليها جنوبا من
دوائر بلديات ذات التصرف الفرنسي البحت وكذلك القسم الغربي من دائرة
بلدية كُلُّو (Collo) وكذلك الاقسام الشمالية من دائرتي بلديتي فج مزالة
وتَكِتُونْتْ. وثانيا منطقة الجبال الواقعة شمالي تلمسان (أي قبيلتا
"المسيردة" و"الطرارة القديمتان) وأخيرا لهجات اليهود بتلمسان ووهران.

ففي القبائل الصغرى تبدل الكاف "تْشْ" مطلقا فْلُوتْشَة (Flūča) (فلوكة) وبُوتْش (Būč) (ابوك) ونَاتْشُلْ (nāčöl) (نأكل) اي (آكل) وأما عند قبيلتَيْ المسيردة والطرارة فان الكاف تصير بخلاف ذلك إلى حرف رخو أدنى حنكي شبيه بالشين يرمز إليه بـ (ç)(وهو الـ (ch) في الألمانية (Ich) (!) أي (أنا) نحو قولهم "فْلُوشَه" (flūça) وبُوشْ (būç) ونَاشُلْ (nāçöl) بهذه الشين الخاصة

واما في اللهجات الاخرى كلهجات يهود قسنطينة مثلا فإن مخرج الكاف يتقدم فيها كثيرا إلى أدنى الحنك ويطرأ عليه شيء من التليين ولكن بدون أن يتغير الكاف أو يبدل حرفا آخرا.

وأما سبب هذا الإختلاف في نطق الكاف فيجدر البحث عنه في كون التغير القديم الوحيد الذي طرأ على هذا الحرف هو تقدم مخرجه فقط ثم يمكن أن تكون التغييرات التابعة الاخرى التي طرأت عليه بعد أن أصبح نطقه أدنى حنكيا قد وقعت بصفة مستقلة ومن جراء تأثيرات مختلفة: فيمكن مثلا إعزاء الشين الخاصة بالمسيردة والطرارة إلى تأثير الطبقة اللغوية السفلى وهي اللغة البربرية .

وأما التغييرات المقيدة التي تطرأ على الكاف فهي التغييرات الناتجة عن جوار الحركات الأمامية وهي الكسرة والفتحة الممالة امالة خفيفة (ä) والفتحة الممالة امالة شديدة (e) وهذه التغييرات من نوعين إما ابدال الكاف "تْشْ" أو إبدالها "تسْ". ويختلف انتشار هذه الظاهرة فيقل ويكثر وحدوثها محدود بعمان وباليمن إذ لا تطرأ إلا على ضمير المخاطبة المفردة أي "كِ" (كما في الكشكشة والكسكسة اللتين ذكرهما النحاة القدامى) وإذا تبقى الكاف فيما عدا ذلك سالمة خالصة .

وفي لهجات الفلاحين الأردنيين يبدل عدد لا بأس به من الكافات "تْشْ" إذا كانت بجوار الكسرة أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (e) أو خفيفة (ä) إلا أن بعض الكافات تبقى سالمة لا تتغير في نفس

(1) توضيح من المترجم

ذلك الجوار الصوتي في حين ان بعض الكافات القديمة تبدل "تْشْ" اذا كانت بالعكس بجوار الضمة (u)أو الضمة نصف المنغلقة (o) أو الفتحة (الخلفية أو الوسطية) (a) ويبدو أن هذه الظاهرة قد ضبط استعمالها داخل كل مادة من المواد الصرفية بتأثير عمليات قياسية ذلك أنهم يقولون في الجمع "دْيُوتْشْ" (dyūč) قياسا على المفرد "ديتْشْ" (dīč) ويقولون "كَانْ" (kān) قياسا على المضارع "يْكُونْ" (ikūn)فينبغي علينا ان نقرر وجود صوتين (1) متباينين هما "تْشْ" والكاف في اللهجات التي من هذا القبيل.

وبخلاف ذلك فإن تغيير الكاف في مجموعة اللهجات الضخمة التي سميتها "لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية" قد انتشر انتشارا كبيرا فتبدل الكاف في هذه اللهجات كلما كانت بجوار الكسرة (i) أو الفتحة الممالة امالة شديدة (e) أو خفيفة (ä) بدون حدوث تاثيرات صرفية قياسية ترمم بناء الكلمات الصوتي. من ذلك قولهم في "كرش" (وهي معدة الحيوان المجتر) "تْشَرْش" (čärš) الا انها تجمع على "كْراش" (kṛāš) (بتفخيم الراء) أو "كْروش" (kṛūš) (بتفخيم الراء أيضا) وقولهم في ركب "رِتْشَبْ" (rečeb) الا ان مضارعها "يِرْكَبْ" (yirkab) وهكذا فان "تْشْ" هي مجرد عوض تعاملي (variante combinatoire) من الكاف وتكون مع الكاف صوتا واحدا.

وأما دخول الزائدة الرخوة على الكاف فيتولد عنه عند بني عنز وبني شمر حرف "تْسْ" وفي سائر اللهجات حرف "تْشْ" نحو "تْسَفْ" (ćäff) و"تْشَفّ" (čäff) أي كف ولكن جمعها كفوف (kfūf)بالكاف ونحو "تْسِيسْ" (ćīs) و "تْشِيشْ" (čīš) أي كِيسٌ ونحو "تْستفْ" (ćetᵉf) وتْشتفْ (četef) اي كَتِفٌ. ولكن جمعها كْتُوف (ktūf) بالكاف ونحو "رِتْسبْ" (rećeb) و"رتْشبْ" (rečeb) اي ركب ولكن مضارعها "يِركب" (yirkab) بالكاف ونحو "دِيتْسْ" (dīć)

---

(1) أي phonèmes

و "ديتْش" (dīč) أي ديك ولكنها تجمع على "ديوك" (dyūk) بالكاف ... الخ (انظر "كانتينو" دراسات في بعض اللهجات العربية عند البدو، : I ، ص 27—30 و II ، 23—28).

وقد تكون الكاف المتحركة في بعض اللهجات العربية متبوعة بزائدة شفوية أي بواو خفيفة من ذلك ما أشار اليه و. مارسي في كتابه "أولاد ابراهيم في مدينة صيدا" ص.14 وذلك قولهم "لُوكْوَان" (lūkʷan) (بواو خفيفة بعد الكاف) إلى جانب لُوكَانْ (lūkan) أي "إذا" أو "لَوْ" وقولهم "شْكَاوْرَه" (škāʷṛa) (بواو خفيفة بعد الكاف) إلى جانب شْكَارَة (škāṛa) أي كِيسْ. وقد لاحظت بنفسي بمدينة تدمر انهم يقولون "كْوُرّ" (kʷurr) أي حمار صغير الى جانب "كُرّ" (kurr) (انظر كانتينو" لهجة تدمر : I ،ص. 61. وتوجد أمثلة من هذا القبيل بالمغرب الاقصى : انظر بروكلمان "المختصر ؛ : I ، ص 208)

والأمثلة التي تدغم فيها الكاف في حرف مجاور قليلة العدد نسبيا فقد تدغم الكاف في القاف (g) هكذا (ك ڨ ← ڨّ) وقد تدغم الكاف في القاف هكذا أيضا (ك ق ← قّ) وقد تدغم القاف في الكاف (ق ك ← قّ) : انظر و. مارسي "تلمسان" ص. 25 وشتمه (Stumme) "العربية التونسية" (Tunisische Arabisch) ص. 2. وقد يبدل الكاف ڨافا (g) فيصير مجهورا إذا كان متبوعا بحرف مجهور نحو يِكْدِبْ (yikdeb) ← "يِڨْدِبْ" (yigdeb) (أي يَكْذُبُ).

وقد تبدل الكاف بعد الراء ڨافا (g) (ر ك ← رڨ) في بعض الكلمات القليلة المنعزلة : انظر م. كوهين "يهود الجزائر العاصمة" ص. 72 و 81.

2 — القاف الشديدة اللهوية المفخمة

لقد عرف سيبويه (II ، ص 453) مخرج القاف هكذا : "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى" أي أن أصل اللسان ينطبق على غشاء الحنك. ولما كان هذا الغشاء رخوا نتج عن ذلك أن شدة هذا

الحرف ليست كاملة ولذلك كان نطق القاف مصحوبا بصوت خاص وقد رتب سيبويه والزمخشري القاف في عداد الحروف المجهورة : فيظهر إذن أنهما كانا يعتبرانه مجهوراً بمعنى سُنُور (sonore) (انظر ما جاء في هذا صفحة 38) ولكن نطق القاف التقليدي في العربية الفصحى اليوم هو نطقه مهموسا بمعنى "سُورد" (sourde) .

وبما أن قسما كبيرا من الألسن الدارجة العربية كما سنرى ذلك فيما بعد، ينطق أصحابها بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف كان فعلا حرفا مجهورا في العربية القديمة. ويمكن أن يكون نطقه مهموسا في العربية الفصحى اليوم ناتجا عن كونه أصبح مهموسا في اللهجات الحضرية المدنية لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني .

وكثيرا ما يذهب النحاة الأوروبيون إلى أن في نطق القاف شدّة ثانية (مصاحبة للشدّة الاولى) تحصل بغلق رأس قصبة الرئة (من ذلك قول و. مارسي في "أولاد ابراهيم" ص. 12).

وقولهم هذا محتمل وان لم يقيموا عليه البرهان القاطع وبه يمكن تفسير انتقال هذا الحرف من الجهر إلى الهمس إذ أن كل اغلاق لرأس القصبة يحول دون ارتعاش الأوتار الصوتية ويؤدي إلى نقيض الجهر.

وكثيرا ما يعتبر النحاة الاوروبيون القاف حرفا مفخما (emphatique) الا أن الملاحظ أن النحاة العرب لم يعتبروه حرفا "مطبقا" على أن سيبويه (II ، ص 285) يذكر هذا الحرف في زمرة الحروف المانعة لإمالة الألف أي الحروف المتسعلية أو المفخمة .

وان ما ذكره العرب من التغييرات المطلقة التي تطرأ على القاف قليل. وسنتحدث بعد هذا حين يأتي الكلام عن الألسن الدارجة العصرية عن نطق القاف وسطا بين القاف والكاف. وهنالك كلمة ترددوا فيها بين القاف والكاف وهي قولهم عربي "قُحّ" أو "كُحّ" (انظر هول النحو العربي، ١٧ ، 1195) .

ويدغم القاف في الكاف الساكنة أو المتحركة إذا وقعت بعده من ذلك قراءتهم "خلَكُّلَّدَابَّةٍ" (باسقاط الحركة) عوض "خلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ" قرآن : XXIV ، 44)

وأما الألسن الدارجة العربية العصرية فإن نطق القاف بها هام جدا فيما يتعلق بترتيبها ولنضع أولا مبدأ أولا (وهو مبدأ معترف بصحته منذ زمن طويل : انظر مثلا و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 12—13. و"تكرونة" ص. XX) وهو الآتي : إن اللهجات التي صار القاف القديم فيها حرفا مهموسا (أي القاف أو الكاف المفخمة أو الكاف أو الهمزة انظر أسفل هذا) لهجات حضرية .

وبخلاف ذلك فإن اللهجات التي صار القاف القديم فيها حرفا مجهورا (أي الغين أو القاف (g) أو "دْجْ" أو "دْزْ"... الخ. انظر أسفل هذا) هي لهجات بدوية. ولم يشذ عن هذا المبدإ شيء شذوذا حقيقيا. فلئن وجدنا عند البدو بشمال افريقيا بعض الكلمات التي جاء فيها قاف مهموس نحو "قْرَا" (qrā) (قرأ) وقُلْمْ (qulm) (قَلَم) وبْقَى (bqā) (أي بقي).. الخ فإن هذه الكلمات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقترضوها إما من اللغة الفصحى أو من لغة المدن (انظر و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 12—13) ولئن وجدنا كذلك في جميع اللهجات الحضرية بافريقيا الشمالية بعض المفردات القليلة التي تنطق بقاف مجهور (g) نحو قولهم "بَقْرَه" (bagra) (بقرة) "وقْنِينْ" (gnīn) (أي أرنب) وقُرْبَه (görba) (قِرْبَةٌ)... الخ فانما ذلك راجع إلى أن تلك المفردات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقترضوها من اللهجات الريفية) وانظر (و. مارسي "تلسمان" ص 17 و م. كوهين "يهود مدينة الجزائر" ص 46—50) فبان بهذا أن هذه الكلمات ليست من الشواذ الحقيقية .

1 — اللهجات التي القاف فيها حرف مهموس :

وهذه اللهجات كما سبقنا هي دائما لهجات حضرية (ونرمز اليها بـ : لهجات "ح") ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : أولها ينطق أصحابه القاف قافا وثانيها همزة وثالثها إما كافا مفخمة أو كافا عادية .

وتمتـد اللهجات التي القاف فيهـا حرف لهوى أي قافا (ونرمز اليها بلهجات "ح 1") تمتد على مساحـات لا بأس بكبرهـا وخاصـة بسوريـا وبشمـال افريقيـا : من ذلك الساحل التونسي ومدينتا تونس وقسنطينـة وقسم هام من المنطقـة الحضريـة بمقاطعـة قسنطينـة ويحد هذه المنطقـة خط ينطلق بعد رأس الحديد (Cap de Fer) بقليل ويمر بجماب (Jemmapes) وبكندى سمندو (Condé Smendou) وبيزو (Bizot) ورفاش (Rouffach) وميلا (Mila) وفج مزاله (Fedj Mzala) وشوفروى (Chevreuil) ويبلغ قريبـا من شوفروى هذه حدود اللغـة القبائليـة : وخاصـة القسم الاكبر من دائـرة سكيكدة ينطـق أهلـه هذا الحرف قافا (انظـر كانتينو "اللهجـات العربيـة بمقاطعـة قسنطينـة : الخريطـة) .

وأما في مقاطعة مدينـة الجزائر فإن نطق هذا الحرف قافا موجود عند السكان المسلميـن بمدينـة الجزائـر وعند أهل شرشل وتدليس والبليـدة ومليانة ومديـة وتنـس أي بأقدم مدن تلـك المقاطعـة .

وأما في مقاطعـة وهران فلا يكاد يوجد القاف إلا بمدينـة مستغانم. وأما بالمغرب الأقصى فإن نطق هذا الحرف قافا موجود في أغلبيـة اللهجـات الحضـريـة (انظـر فيمـا يتعلـق بانتشـار مدى هذه اللهجات جغرافيـا الخريطـة اللغـوية" الموجـودة بـ "أطلـس المغرب الاقصى" لـ : ج. س. كـولين (G. S. Colin).

وأمـا اللهجـات التي صارت القاف فيهـا إلى مجرد همزة تنطـق بغلق رأس قصبـة الرئـة فلهجـات مدنيـة في أكثرهـا : وخاصـة لهجات حلب واللاذقيـة وحمـاه وحمص ودمشـق وطرابلـس وبيروت وصيدا وصفـد وحيفا ويافـا وبيت المقدس وحبـرون وغزة والاسكندريـة والقاهـرة والقسم اليهودي من مدينـة الجزائر والقسم المسلم من تلمسان وفاس. ولـكن هذه اللهجات مدنيـة فقط. ذلك أن أكثر سكان الجبال بلبنـان تنطـق القاف عندهم همزة (انظـر برقشتـراسـر : "الاطلـس اللغـوى" الخريطـة رقم 4) وقد أطلقنا على هـذه اللهجات "لهجات ح 1"

وأخيرا فإن اللهجات التي تنطـق القاف فيهـا كافا أقصى حنـكية (أي

لهجات ح 2) هي نفس اللهجات التي يتغير الكاف فيها بصفة مطلقة غير مقيدة : فكما أن الكاف الاقصى حنكية قد صارت أدنى حنكية عندهم كذلك نرى القاف اللهوية قد صارت كافا حنكية حسب تطور مماثل للتطور الأول أي تقدم المخرج إلى الأمام. من دلك قولهم كَـلْبْ (kalb) في قَلْب وكَال (kāl) في قَالَ وركْبه (rakba) ورَكَبَه (rakaba) في رَقَبة... الخ.

وهذه اللهجات هي لهجات الحضر بفلسطين (انظر برقشتراسر "الاطلس اللغوي" - الخريطة رقم 4) ولهجات قريتي تشناتشر (Canacer) وزاتشيه (Zacye) وواحة سُخْنة بسوريا والقبائل الصغرى والمسيردة والطرارة بشمال تلمسان .

ب) اللهجات التي القاف فيها مجهورة اي كالقاف (g) وهي كما سبتنا لهجات بدوية.

ونجد عند قسم أول من هذه اللهجات ڤافا خلفية جدا قريبة من اللهوية إلاَّ انَّها لاتظهر في جميع المواقع الصوتية وهذه اللهجات قليلة نوعا ما. نجد البعض منها بشمال الجزيرة العربية وبالجنوب التونسي : انظر و. مارسي "نصوص من حامة قابس" ص. 199. وانظر كانتينو "لهجات البدو" II ص. 23 .

وهناك قسم ثان من هذه اللهجات نجد فيه ڤافا أقصى حنكية في جميع المواقع الصوتية. وهي بدون شك اللهجات التي أشار اليها السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه عند كلامه عن القاف التي بين القاف والڤاف. انظر كذلك ما يقوله ابن خلدون في هذا السياق في "المقدمة" طبعه كاترومار (Quatremère) III ص. 302-305 في فقرة شهيرة يتحدث فيها عن نطق القاف نطقا خاصا عند العرب الرحل من قبيلة مضر وكيف أنهم امتازوا بهذا النطق دون سائر سكان الحضر. ويشمل هذا القسم من اللهجات بالشرق فلاحي حوران والاردن وهم من البدو الرحل في السابق وكذلك بدون شك قسما هاما من سكان اليمن وعمان وبالمغرب جميع اللهجات البدوية بالجزائر والمغرب الاقصى .

وهنالك قسم ثالث من هذه اللهجات وهو لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وقد طرأت على نطق القاف في هذه اللهجات عملية صوتية موازية تماما لما طرأ على الكاف فيها من عمليات صوتية. أي أن القاف يبقى قافا بجوار الحركات الخلفية أي الضمة (u) والضمة نصف المنغلقة (o) والفتحة الخلفية (a) وتطرأ عليه تغييرات مقيدة إذا كان بجوار الحركات الأمامية أي الكسرة والفتحة الممالة إمالة شديدة (e) وخفيفة (ä) فيبدل بزيادة زائدة رخوة أي انه يصير "دْجْ" وذلك عند صغار البدو الرحل (Petits Nomades) بسوريا وما بين النهرين ويبدل "دْزْ" عند كبار القبائل العربية كبني عنز وشمر. ويشعر الناطقون بهذين الحرفين الشديدين ذوي الزائدتين الرخوتين بانهما مجرد عوضين تعامليين من القاف (g) وانهما يكونان معه صوتا (1) واحدا فيقولون في هذه اللهجات مثلا "بْرِيدْجْ" (brīǧ) و"بريدز" (brīǵ) (أي اِبْرِيق) ويجمعونه على بـرقان (borgān) (بالقاف) و"عَدْجِبْ" (ᶜaǧeb) وعَدْزِبْ (ᶜaǵeb) (اى عَقِبٌ) ولكنهم يجمعونه على اَعْقَابْ(aᶜgāb) وعقُوبْ(ᶜögūb) (بالقاف) و"دْجِدِرْ"(ǧeder) و "دْزِدِرْ " (ǵeder) (اى قَدَرَ) ولكن المضارع عندهم يَقْدر (yögdar) (بالقاف) ... الخ انظر فيما يتعلق بهذه المسألة كانتينو "لهجات البدو" I ص. 29—39 و II ، ص 25—28)
وقد يبدل الحرف القديم كافا تباينا إذا كان متبوعا بتاء مثل ذلك قتل في كثير من اللهجات الشرقية أو المغربية فقد صار في الشرق كَتَل (katal) وفي المغرب العربي كْتَلْ (ktäl) ومن ذلك أيضا "قتَبْ" وهو الرحل فقد صارت كَتَبْ (katab) في لهجات حوران وتْستَبْ (ćätab) وتْشْتَبْ (čätab) في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية. ومنه أيضا كلمة "وَقْتْ" فقد صارت "وَكِتْ" (wakⁱt) (أي بكسرة خفيفة بعد الكاف الساكنة) في بعض لهجات العراق (انظر بروكلمان "المختصر" ص 163) ومن ذلك أيضا المفردات المختلفة التي بمعنى "الآن" والتي نجدها بالمغرب العربي نحو قولهم "دُرُوكْ" (dörwok) في مدينة الجزائر و"ظَرْكْ" (ḏark) و"ظَرْوكْ" (ḏarwok) بالاربعاء (Arbāᶜ) ونحو قول أولاد ابراهيم "ذَاكِلُوكْتْ"(ḏākelwokt) و"ضَرْوُكْ" (ḏarwok) ... الخ.

(1) أى phonème

ونجد في لهجات المغرب العربي الحضرية منها والبدوية إلى جانب القاف الفصيح صوتين مختلفين قاف لهوى مهموس وقاف (g) أقصى حنكي. وصوت واحد من هذين الصوتين (القاف عند الحضر والقاف عند البدو يمثل طبعا في اللهجات المذكورة التطور الصوتي العادي للقاف القديم. ولا يظهر الصوت الثاني إلا في الكلمات الدخيلة. فنتج عن هذا تواجد صيغ مزدوجة وأزواج من المفردات يكون في احداها قاف وفي أخراها ڨاف (g) ويختلف معناهما. من ذلك "بُڨْرَه" (bögra) أي الحيوان المعروف و"بَقْرَه" (baqra) في السورة القرآنية عدد 2، ومنه أيضا ڨُبَّهْ (gubba) (أي قبة) وقُبَّه (qobba) (أي مقصورة) ونحو "شَرْڨْ" (šerg) (أي شَرْق) (و"شَرْق" (šörq) (أي الحج) ... الخ (1)انظر (و. مارسي "تلمسان" ص. 17.) ومنه قولهم "ڨْلَبْ" (gleb) (أي تقيأ) و"قْلَبْ" (qleb) (أي قلَبَ) و"بْڨَى" (bgā) (اي أنهكه التعب) و"بْقَى" (bqā) (اي بقي) وڨْدِرْ (gder) (أي قوي وسمن) و"قْدِرْ" (qdör) (أي قدر) و"وُرْڨَه" (worga) (أي ورقة الشجرة) و"وُرْقَه" (worqa) (أي ورقة من الكاغذ)... الخ (2) انظر(و. مارسي "أولاد ابراهيم ص 13.) وخلافا لذلك فإنه يظهر أن حدوث مثل هذه المزدوجات لا وجود له في اللهجات الشرقية : وكل ما يوجد في هذه اللهجات هو إما القاف وحدها (q) أو القاف وحدها (g) وذلك بحسب كون اللهجة المعنية حضرية أو بدوية.

وسنرى فيما سيأتي بعد هذا عند التعرض للغين أمثلة أبدلت فيها القاف غينا. ونكتفي هنا بذكر مثال واحد من هذه الأمثلة وهو فعل قَدرَ : "يقْدَر" في الفصحى فكثيرا ما يصير في سوريا "غْدِرْ" (ğeder) بيَغْدرْ (byiğdär) بإبدال القاف غينا (انظر مثلا كانتينو "لهجات حوران العربية" ــ الاطلس الحريطة عدد 38)

(I) لقد سبق لنا أن رأينا (صفحة 95) أن بعض القافات قد تكون متولدة عن الجيم أيضا •

(2) ومن الملاحظ أن أصل بعض القافات في بعض لهجات بدو الصحراء الجزائرية والموريطانية هو حرف الغين • انظر أسفله ص : 115

الحروف الرخوة اللهوية

من المحتمل جدا فيما يبدو أن تكون السامية قد احتوت على حرفين رخوين لهويين أحدهما مهموس والثاني مجهور وهما : خ — غ

وقد احتوت العربية القديمة على هذين الحرفين بالضبط وهما حرفي السامية المذكورين أعلاه تماما إلا أن عالما من علماء الاصوات وهو رُوجِتْشْكَا (Růžička) قد ذهب (وذلك خاصة في فصل له بعنوان "تناوب العين والغين في العربية" : « L'alternance de "ع — غ" en arabe » اصدره في الجريدة الاسيوية (Journal asiatique) 1932، II ، ص. 67) قد ذهب قلنا إلى أن حرف الغين لم يكن موجودا في السامية وأنه قد نشأ في العربية منقلبا عن العين. أي أن عددا ما من العينات قد صارت غينات أو أن الغين لم تكن الانطقا خاصا نطقوا به العين. وقد ذكر هذا العالم تدعيما لفكرته بعض الصيغ المزدوجة مثل "عَبَثَ" أي مزج وخلط و "غَبَثَ" أي مزج جُبْنًا طريا بالزبدة ومثل "عَسَرَ" أي ألحّ على مَدِينِه و "غَسَر" بنفس المعنى. ومثل "عَمِيقٌ" في الفصحى : بعيد القعر و "غَمِيقٌ" في الدارجة بنفس المعنى... الخ الا أن وجود مثل هذه الصيغ المزدوجة لا يكفي عندنا لاقامة البرهان على أن الغين كان حرفا ثانويا.

ويقول سيبويه (II ، ص. 453) إن مخرج الخاء والغين هو "الجزء الحلقي الادنى الى الفم" ويعبر الزمخشرى وابن يعيش عن ذلك بنفس العبارة الا أنهما يضيفان أن مخرج الخاء أدنى إلى الفم من مخرج الغين. وفي الحقيقة فان هذين الصوتين يقرعان بدعك الهواء الصاعد من الصدر بين غشاء الحنك وأقصى اللسان والخاء مهموسة بينما الغين مجهورة.

والتغييرات المطلقة التي ذكرها النحاة العرب بخصوص الخاء والغين قليلة العدد. منها إبدال الخاء غينا والغين خاء في بعض الكلمات المنعزلة نحو "أَخَنّ" فيمن يتكلّم بأنفه وهي صيغة قد تكون صيغة ثانوية لـ : "أَغَنّ" بنفس المعنى. ونحو عبارة : "مرّ يَغْطُر بيديه" اى يحرك يديه فقد يكون هذا الفعل فيها أي غطر صيغة ثانوية لـ : "خَطَر" بنفس

المعنى ومنها ايضا جواز إبدال الخاء حاء أحيانا في الشعر لضرورة القافية: انظر هول (Howell) النحو العربي، ١٧ ، ص. 1194 — 1195. ومنها كذلك ابدال الخاء والغين همزة فيما يبدو في كلمتي "صَرَأ" أي استنجد وهي صيغة ثانوية لـ "صَرَخَ" بنفس المعنى. و "رَأَنَه" أي تمتّع بالاستماع اليه وهي موضوعة موضع "رَغَنه" : انظر هول "النحو العربي"، ١٧ ، ص. 1236.

وأما التغييرات المقيدة فقليلة ايضا نذكر منها فقط ادغام الخاء في الغين (خ غ ← غّ) وادغام الغين في الخاء (غ خ ← خّ) من ذلك ما أجازوه من قراءة "أدْمَخ خَلَفًا" عوض (ادمغْ خَلفا) و "اسْلَغْ غنمَك" عوض (اسْلَخْ غنمَك).

وقد بقيت الخاء والغين سالمتين عادة في الالسن الدارجة العربية العصرية الا أن الغين في بعضها قد يطرأ عليها تغيير ذوبال فقد يصير هذا الحرف الرخو اللهوي المجهور حرفا شديدا لهويا مهموسا اى قافا وذلك بصفة غير مقيدة، ويحدث هذا الابدال من جهة في بعض لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية كلهجة رُقّه (Rögga) الواقعة على الفرات الاوسط وكلهجة قبيلة الموالي (انظر كانتينو : اللهجات البدوية، ١ ، ص. 39—40 و ١١ ، ص 28) ومن جهة أخرى يحدث هذا الابدال في أغلبية لهجات الصحراء الجزائرية أي في منطقة شاسعة يحدها شرقا واد "رِيغ" وشمالا خط يجانب جبل الهدنه (Le Hodna) جنوبا ثم يتصعد نحو الشمال حتى بُويرَة (Bouïra) ثم ينحرف نحو الجنوب الغربي فيمر بين بِرُّوَغِيَه (Berrouaghia) وبُغاري (Boghari) ثم يتبع المنحدرات الجنوبية من جبال الوَرْ سنيس (L'Ouarsenis) ثم منخفض شط الشرقي ثم يتوجه نحو الجنوب فيساير تقريبا حدود اقليمي جريپيل (Géryville) ومشرية (Mécheria) ثم يعبر الاطلس الصحراوي بجهة عين صفراء ثم ينفذ الى الصحراء متجها نحو الجنوب الغربي ففي هذه المنطقة تنزع جميع الغينات القديمة الى الانقلاب قافات : من ذلك قولهم هنالك "قْلَمْ" (qläm) عوض "غْلَمْ" (أي غَنَم) و "صْقِيرْ" (sqēr) (أي صغير) و "قَابَه" (qāba) (أي غابة)

و "قَالِي" (qāli) (أي غالي) و "قَزْوْ" (qazw) (أي غزو) و "قْرَاب" (qrāb) (أي غـراب) ... الـخ.

ويبدو أن هذه المنطقة التي تصير الغين فيها قافا آخذة في الامتداد غربي الصحراء الجزائرية وفي ضم الصحراء الجنوبية من المغرب الاقصى وموريطانيا. (قارن بما جاء في فصل ج. س كولين (G. S. Colin) بعنوان "موريـتانكا" (« Mauritanica ») الصادر بمجلة هسبيريس (Hespéris)، XI (1930) ص. 133 و 138).

وأما القافات القديمة التي بقيت في هذه اللهجات فتنزع بالعكس إلى الانقلاب غينات وكأن هذا الأبدال ظاهرة لاعادة التوازن في اللغة وربما كانت ناتجة عن عمليات ارجاع حديثة العهد ارجعت بها الغين الى اللغة فكثيرا ما سمعناهم يقولـون "الغائـد" عوض القائـد" و "عبد الغادر" عوض "عبد القادر" وغْليل" (glīl) عوض "قْليـل" أي قليلاً وفي النَّدَرِ و "غفْـل" (ġfel) عوض "قْفَل" أي قَفَـل .

وأما في اللهجة المالطية فقد أبدلت الخاء القديمة حاء والغين القديمة عينا وذلك بتأثير الطبقة اللغوية البونيقية السفلى فيما يظهر : نحو "حَدَمْ" (ḥadem, yaḥdem) (في خدم يخدم) و "حَمِس" (ḥames) (في خمسة) و "حُك" (ḥuk) (في أخوك)... الخ ونحو "بَعَل" (baᶜal) (في بغل) و "عَدَ" (ᶜada) (في غدا) و "عَانِ" (ᶜāni) (في غني)...

وقد عثر على عمليات من نفس القبيل، ولكن فيما يتعلق بابدال الغين عينا فقط في لهجات دثينة (بجنوب الجزيرة العربية) ولا يطرأ على الخاء والغين في الالسن الدارجة العربية من التغييرات المقيدة إلا شيء قليل. وتتمثل هذه التغييرات خاصة في الادغام نحو قولهم بتلمسان "فَرَّخْ خُسْتْسُو" (ferreḫ ḫösstˢu) عوض "فَرَّغْ خُصْتْسُو" (أي افرغ اناء وضوئه) وقولهم "فَرَخَّا" (ferreḫḫa) عوض فرّغها (أي أفرغها) وقولهم "فرْخْ خزَالْهَا" (ferḫḫzalha) عوض "فرْخْ غزَالْها" (أي ولد غزالها) : انظر و. مارسي "تلمسان ص. 26. ومما ينبغي الاشارة اليه أيضا جواز انتقال الغين إلى الهمس اذا كانت قبل حرف مهموس :

نحو قولهم في تونس العاصمة "يَخْسْلُو" (yaḫslu) في "يَغْسلُو" (yaġslu) (اي يغسله) وقولهم كذلك في اللهجة المالطية "تَحْسِلْ" (taḥsil) (أي الغَسِيل) وبتلمسان "خْسِلْ" (ḫsel) (اي غسلَ) : انظر بروكلمان "المختصر" I ، ص 162.

الحروف الرخوة التي من وسط الحلق

كان في السامية حرفان رخوان من وسط الحلق أحدهما مهموس والثاني مجهور وهما : ح — ع وهذا نالصوتان نادران في المجموعات اللغوية غير السامية فهما إذن من الخصائص الصوتية البارزة التي كان نظام حروف اللغة السامية يمتاز بها .

وقد احتوت العربية القديمة على نفس هذين الحرفين الرخوين اللذين من وسط الحلق بالضبط وهما يمثلان فيها حرفي السامية المذكورين.

ويذكر سيبويه (II ، ص 453) والزمخشري، ابن يعيش (X ، ص 123—124) أن مخرج هذين الصوتين هو "وسط الحلق" وفعلا فإن هذين الصوتين يقرعان بدعك الهواء الصاعد من الصدر بين جوانب وسط الحلق (pharynx) منقبضة انقباضا شديدا : فهما إذن وفعلا "حرفان رخوان يقرعان من وسط الحلق" (spirantes pharyngales) في عرفنا. والحاء مهموسة (sourde) بينما العين مجهورة (sonore)

ولم يشر النحاة القدامى إلا إلى عدد قليل من التغييرات المطلقة التي تطرأ على الحاء والعين من ذلك — فيما يبدو — أن العين قد أبدلت حاء في المثالين التاليين : "رُبَح" عوض "رُبَع" وهو الفصيل ينتج في الربيع (أو في الخريف) و "ذَبَحَ" عوض "ذَبَعَ" تقال في الفرس إذا لهث وهو يجري. وكذلك أبدلت العين همزة في قولهم "أُباب" عوض "عُباب" وهو الموج المتضخّم (وهو من بيت ذكره الزمخشري، ابن يعيش، X ، ص 15—16) وأبدلت العين غينا في "لَغَن" عوض "لعَن" من بيت للفرزدق (انظر هول "النحو العربي"، IV ، ص 1390) : ويحسن مقارنة هذا

المثال بامثلة الصيغ المزدوجة التي أبدلت فيها الغين عينا والمذكورة أعلاه.

وثمة عدة أمثلة يظهر أن الحاء قد أبدلت فيها هاء نحو "طَهَرَ" في "طَحَرَ" أي أبعد ونحّى. ونحو "مَدَهَ" في "مَدَحَ" (انظر هول "النحو العربي"، ١٧ . ص 1366) .

وأمّا التغييرات المقيدة الطارئة على الهاء والعين فليست أكثر بكثير من التغييرات المطلقة. وتنحصر في بعض عمليات الادغام من ذلك :

ع ح ← حّ : نحو "ارفحّاتما" في ارفعْ حاتما"
ونحو قراءة ابن العلاء "فَمَنْ زُحْزِعَّنِ النَارِ" في "فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ" (قرآن III : 182) باسقاط حركة الحاء وادغامها في العين (الزمخشري ابن يعيش X : ص 136)

ح ع ← حّ : نحو "اذبحّتُدًا" في "اذبَحْ عَتُدا" وهو التيس الصغير (الزمخشري ابن يعيش : نفس المرجع)

ع ه ← حّ : نحو "مَحُّمْ" في "مَعَهُمْ" و "محّاؤلاء" في "مَعَ هؤلاء" ويكثر هذا الادغام بالخصوص في لهجات بني تميم (الزمخشري ابن يعيش، X : ص. 136—137)

ومن المسائل الهامة في الألسن الدارجة العربية العصرية في هذا السياق مسالة تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما. فهذان الحرفان لم يكونا في العربية الفصحى مفخمين ولا من الحروف التي تمنع إمالة الفتحة المجاورة لها (انظر سيبويه : II ، 285) وأما في العربية الدارجة فيجب التمييز بين اللهجات التي الحاء والعين فيها مفخمان في الاصل وتمنعان الامالة (كلهجات سكان المدن بسوريا وفلسطين مثلا) وبين اللهجات التي يجوز فيها تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما وذلك حسب الجوار الصوتي مثل لهجة حوران (بجنوب سوريا) فيقولون في هذه اللهجة "صَالْحه" (ṣālḥe) (بترقيق الحاء وإمالة الفتحة) ولكنهم يقولون "فْلاَحَه"

(flāḥa) (بتفخيم الحاء وعدم إمالة الفتحة) وكذلك يقولون "مُلِيحَه" (molihe) (بالترقيق والإمالة) ولكن "مَفْتُوحَه" (maftūḥa) (بالتفخيم وبدون امالة) ... الخ وكذلك "صَبْعَه" (ṣabᶜa) (اى سبعة و "أرْبْعَه" (arḅaᶜa) (بتفخيم العين وبدون إمالة) ولكنهم يقولون "تِسْعَه (tesᶜe) (بترقيق العين وبالإمالة) و "وسيعة" (wasīᶜe) (بالترقيق وبالامالة) إلا أنهم يقولون أيضا: "مَصْنُوعَه (maṣnūᶜa) (بالتفخيم وبدون إمالة)... الخ ويبدو أن انقباض عضلات وسط الحلق أدخل في الحلق عند التفخيم منه عند الترقيق (انظر كانتينو : "لهجات حوران العربية" : الاطلس الخرائط رقم 25 26 و48) .

ولا يطرأ على الحاء والعين الا عدد قليل من التغييرات المقيدة في اللهجات العربية منها بعض عمليات الادغام المباشر نحو قولهم : "خَدْحْ حْبَابَه" (ḥdöᶜ hōbabah) في "خَدَعْ حْبَابَه" (ḥdöḥ ḥōbābāh) (اى خدع احبابه) و "صْبَحْ حْلِيمَه" (ṣbaḥ ḥᵃlīma) في "صْبَعْ حْلِيمَه" (ṣbaᶜ ḥᵃlīma) (أي اِصْبَعُ حَلِيمَةٍ و "فْرَحْ حْلِيَي" (fraḥ ḥᵃliya) في فْرَحْ عْلِيَي " (fraḥ ᶜalīya) (أي فَرِحَ لِي) و "يِرُوعْ عِنْدْنَا (irōᶜ ᶜandna) في "يِرُوحْ عِنْدْنَا" (iroh ᶜandna)(أي يذهب الينا) ومنها أيضا انتقال العين من الجهر الى الهمس أي إبدالها حاء ويقع هذا الابدال في حالة الاتصال مباشرة أو في حالة الانفصال داخل كلمة واحدة نحو قولهم: "مَحْفُونْ (maḥfūn) في "مَعْفُونْ" (maᶜfūn) أي غير منظم ولا مرتب و "يَحْفَس"(yaḥfes) في "يَعْفَسْ" (yaᶜfes) أي يدوس و "حُشْبْ" (ḥōšeb) في "عُشْبْ" (ᶜōšeb) أي عُشْبٌ و "حَسِلْ" (ḥᵃsel) في "عَسِلْ" (ᶜᵃsel) اي عَسَلٌ ومنها أيضا عمليات القلب نحو قولهم : "مْعِيلْقَه" (mᶜèlqa) في "مْلِيعْقَه" (mlīᶜqa) (أي ملعقة) ونحو قولهم بالخصوص : "عْمَا" (ᶜmā) في "مْعَا" (mᶜā) (أي مَعَ) وذلك في كثير من لهجات "الانجاد العالية" (Hauts - Plateaux) وصحراء الجزائر (انظر و. مارسي "تلمسان" ص 25—26 و "أولاد ابراهيم" ص 10—11 وانظر م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 72 و99) .

الهـاء الرخـوة الحلقية

كان في السامية حرف حلقي هو الهـاء

ويوجد نفس هذا الحرف في العربية القديمـة ويمثل بهـا عادة امتدادا للحرف السامي ويذكر النحاة العرب أن مخرج الهـاء هو "أقصى الحلـق" (انظر سيبـويـه II ، ص 453 والزمخشري ابن يعيش، X ، ص 123–124) وهو حرف رخو يقرع بأن تدفع الهواء من رئتيك دفعا قويـا فيدعك جوانب أقصى الحلـق .

ويعتبر النحاة العرب الهـاء حرفـا مهموسا فيبدو إذن أن هذا الحرف هو من حيث علـم الاصوات حرف مهموس في معنى كلمة "سُورْدْ" (sourde) بالفرنسيـة إلا أنه من حيث علم وظائف الاصوات حرف حيادي بالنسبـة إلى الجهـر وذلك لأنـّـه لا يوجد في اللغـة حرف مجهـور يقـابلـه.

يكاد لا يطرأ على الهـاء من التغييرات المطلقـة شيء على أنه ينبغي الإشارة الى العمليـة الصوتيـة المسمـاة "فَحْفَحَـة" أي إبدال الهـاء عينـا وقد ذكرهـا السيوطي في كتابه "اقتراح"... ص 99. سطـر : 12 (انظر برافمان: "مـواد"... ص 42) والفحفحـة من لغـة بني هذيـل وقد يبرز حرف الهاء في آخر بعض الـكلمات وذلك عند الوقف وهو ما سماه النحاة العرب "هاء السكت" وسننظـر في هذه المسألـة في ما بعد عند تعرضنا لدراسة مشـكلة "الوقف" وتنحصـر التغييرات المقيدة التي تطرأ على الهاء في بعض عمليات الادغام : فتدغم الهـاء في الحاء وقعت بعدها أم قبلهـا فيجوز قراءة "اذبحّاذه" في "اذبَحْ هـَذ ه"و "اِجْبَـحّـاتـما"في "اِجْبَـهْ حَـاتـِمًا"(أي اِضْرِبْهُ على جَبْهَتِهِ). وكذلك يجوز ادغام الهاء في العين قبلهـا أو بعدها وينتج عن هذا الادغام كما سبق لنا أن قلناه أعلاه حاء مضعفة. فيجوز ان نقول "مَحّـُمْ" في "مَعَـهُـمْ"و"اِجْبَحـتّْبَـة"في "اِجْبَـهْ عـُتْبَـة"ويكثر هذا الادغام الأخير بالخصوص في لهجـة بني تميم (انظر الزمخشري ابن يعيش، X ، ص 136–137).

وقد بقي عادة حرف الهـاء القديم سالمـا من التغييـر في الالسن الدارجة العربيـة العصرية إلا أنه تجدر الإشارة إلى :

أ) وجود هاء مجهورة إلى جانب الهاء المهموسة فقد أشار إلى وجود هذه الهاء المجهورة م. كوهين في لهجة "يهود مدينة الجزائر" ص 32 ولاحظتُ بنفسي وجودها في لهجات مختلفة ويبدو في هذا الصدد أن الهاء تكون مجهورة إذا وقعت بعد حرف مجهور وتكون مهموسة إذا وقعت بعد حرف مهموس : فقد تمكنت من التحقّق عن طريق التجربة من أنهم يقولون "بِيتْهَا" (bītha)بهاء مهموسة" و"دَارْهَا"(dārha) بهاء مجهورة وليس لهذه المقابلة بين الهاء المجهورة والهاء المهموسة أية قيمة من حيث تمييز معاني الالفاظ بل لا يشعر المتكلمون بوجودها عادة (مثلها في ذلك مثل المقابلة بين اللام المهموسة واللام المجهورة في اللغة الفرنسية).

ب) جواز تفخيم الهاء في بعض اللهجات إذا وقعت في جوار أصوات تقتضي التفخيم. فقد لاحظ و. مارسي بحامة قابس (انظر الجريدة الاسيوية) (Journal Asiatique) : جويلية-سبتمبر 1933 ص 65) أن جرس الحركة الموجودة في ضمير الغائبة المفردة "ها" يتأثر بِنَوع الصوت السابق لذلك الضمير فقد سمعت في اللهجات الشرقية كلهجات حوران مثلا تفخيما حقيقيا يقع بإشباع انقباض عضلات أقصى الحلق إشباعا أشد نحو قولهم "أبُوهَا" (abūḥa) بتفخيم الهاء و"نَسِيهِه" (nesīhe) بدون تفخيم وبإمالة الفتحة التي بعد الهاء.

ج) جواز ضعف الهاء أحيانا إلى درجة السقوط والإضمحلال تماما وذلك ما يحدث في ضمير المفرد الغائب فأصل ضمير اللهجات وهو مجرد ضمة (u) أو ضمة منفتحة قليلا (o) هوــهُ (ahu-) بسقوط الهاء، وتسقط الهاء أيضا من ضمير المفردة الغائبة "ها" (hā) والجماعة الغائبين "هُمْ" (بالضمة المنفتحة قليلا) (hom-) وذلك في بعض لهجات الحضر بشمال افريقيا كلهجة يهود مدينة الجزائر مثلا إذ يقولون "شغلُمْ" (šeġlum) أي "شُغْلُهُمْ" : انظر م.كوهين ص 339—340. ويجدر كذلك الإشارة إلى سقوط الهاء بشمال افريقيا من العبارة الكثيرة الاستعمال "منّا" (mönna) أي مِنْ هُنا وسقوطها من بعض الكلمات الاخرى مثل قولهم "فوَاك" fwāki) أي فواكه و"صَارِيجْ" (ṣārīž) أي "صهريج" انظر و. مارسي "تلمسان" ص 19 .

ويطرأ على الهـاء في الألسـن الدارجة كما في العربيـة القديمـة عدد ما من التغييرات المقيدة وخاصـة عمليات الادغام. انظر في ما يتعلـق بلهجات المغرب العربي : و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 11 و "تلمسـان" ص 25—26. فقد ذكـر هذا المؤلف قولهم "جْرَحَّا" (ǆraḥḥa) في "جْرَحْهَا" (ǆraḥha) "يكْرَحْ حْبَابْنَا" (yekraḥ ḥbābna) في "يكْرَه حْبَابْنَا" (yekrah ḥbābna) و"قْلَحَّا" (glaḥḥa) في "قْلَعْهَا" (glacḥa) (أي قلعهـا) .

وجاء في اللهجات الشـرقـيـة قـولهم كـذلك "مَحَّ" (maḥḥa) أو "مَعَّ" (macca) "في مَعْهَا" (macha) أي "مَعَهَا" و "مَحُّم" (maḥḥom) أو "مَعُّم" (maccom) في "معْهم" (machom) أي "مَعَهُم" وقولهم "أصْبَحَّ" (ʾöṣbaḥḥa) و"أصْبَحُّم" (ʾöṣbaḥḥom) أو "اصْبَعَّ" (ʾöṣbacca) و"أصْبَعُّم" (ʾöṣbaccom) في "اصْبَعْهَا" (ʾöṣbacha) و "اصْبَعْهُم" (ʾöṣbachom) أي اصبعهـا واصبعـهم .

ويجوز في لهجات حوران (بجنوب سوريـا) ادغـام الهـاء في الفاء والتاء والسين والصاد والشيـن والخاء نحو قولهم : "خَرُوفَّا" (ḫarūffa) في خروفها (ḫarūfha) و"بِيتّ" (bētte) في "بِيتْهَا" (bēthe) "وبْسَاسّ" (bsāsse) في "بْسَاسْهَا" (bsāshe) أي قـططها "وقَرَصّ" (garaṣṣa) في "قَرَصْهَا" (garaṣha) أي قرصها و "فْرَاشّ" (frāšše) في "فْرَاشْهَا" (frāšhe) أي زرابيها و "فْرَاخّ" (frāḫḫa) في فْرَاخْهَا (frāḫha) أي فـراخـهـا .

الحرف الشديد الاقصى حلقي

كان في الساميـة حرف شديـد من أقصى الحلـق هو الهمـزة وكان هذا الحـرف يرسم عـادة بواسطة علامـة تدعى "أليف" (ʾalęp) بالعبريـة "وألاب" (ʾālap̄) بالآراميـة و"الـف" (ʾalf) بالحبشيـة.

وقد ضعف هذا الحرف في اللغـة الآراميـة (إلا إذا كـان في أول

الكلمة فيما يظهر) وفقد تقريبا كل قيمته الحرفية وخصوصا في آخر الكلمة حيث لم يستعمل الا للدلالة على الحركات وخلافا لذلك فإن العربية القديمة قد احتفظت احتفاظا كاملا أو يكاد بهذا الحرف الشديد الاقصى حلقي.

ولما استعمل الناس الخط الآرامي لكتابة العربية (أي ابتداء من القرن الثالث المسيحي) تساءلوا عن كيفية رسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي: فبان لهم أن الالف وهو ما يوافق الـ "آلاب" (ᵓālap) في الآرامية لا يفي بالحاجة في هذا الشأن إذ قد فَقَدَ تقريبا قيمته الحرفية كلها واذ كان استعماله اصلح لرسم الفتحة الممدودة. ولذلك فقد ابتكروا عندما حسنوا الخط العربي لكتابة القرآن ابتكروا علامة خاصة سموها الهمزة وأفردوها لرسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي.

الا أن هذه العلامة كانت مثل جميع علامات الرسم تكتب فوق الحروف. فتساءلوا إذن على أي حرف يجب رسم الهمزة : وهكذا قامت مشكلة دقيقة هي مشكلة الحرف الذي ترسم عليه الهمزة. وليس علينا هنا أن ندرس هذه المسألة إذ هي تتعلق بالكتابة ولذا نكتفي بالإشارة إلى بعض القواعد العامة في هذا المضمار بدون أن نتعرض إلى الدقائق والجزئيات.

فإذا وقعت الهمزة أولا رسمت على الألف مطلقا وإذا وقعت وسطا وكانت متبوعة أو مسبوقة بكسرة أو بضمة رسمت على الياء أو الواو. أما في الحالات الاخرى فترسم على الألف.

وإذا وقعت آخرا وكانت مسبوقة بكسرة أو بضمة رسمت على الياء أو على الواو. وأما في الحالات الاخرى فترسم على الألف وترسم الهمزة وسطا أو آخرا إذا كانت مسبوقة بحرف ساكن أو بحركة مزدوجة أو بحركة طويلة.

وينسب النحاة العرب (سيبويه : II ، ص 453 والزمخشري ابن يعيش X ، ص 123—124) إلى الهمزة نفس المخرج الذي نسبوه الى الهاء أي اقصى الحلق وعلاوة على ذلك فقد حشروا الهمزة في زمرة الحروف الشديدة أي في زمرة ما يسمى بالفرنسية "أكْلُوزِيف"

(Occlusives) وفعلا فان هذا الحرف حرف شديد أقصى حلقي (I) يقرع باطباق الاوتار الصوتية الواحد على الآخر ويحول هذا الاطباق طبعا دون ارتعاش الاوتار الصوتية ولذا كانت الهمزة مهموسة بالطبع وقد اتخذ بعضهم ترتيب سيبويه للهمزة ضمن الحروف المجهورة حجة لنفي توافق لفظتي مجهورة بالعربية و"سُنُورْ" (sonore) بالفرنسية، وقد سبق لنا (ص 35) أن بينّا رأينا في هذه المسألة.

وفيما يتعلق بإمكان تفخيم الهمزة يجب الرجوع الى فالين (Wallin) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية (Z D M G)، IX ص 45 والى "برافمان" "مواد" ص 39—40.

ويطرأ على الهمزة تغييرات مطلقة مختلفة (على الأقل بصفة جزئية) وأهمها هي ابدالها عينا وتخفيفها او سقوطها تماما ويسمى "نقلا"

فاما ابدالها عينا فخاصية تابعة للهجات تسمى "العنعنة" وتوجد بالخصوص عند بني تميم وقيس نحو قولهم : "ظننت عنّك ذاهب " أي "ظننت أنّك" وقولهم كذلك "عَسْلم" في "أسْلم" و"عُذْن" في "أُذن" ... الخ انظر السيوطي : "المزهر ا ، ص 109 .

وأكثر من ذلك تخفيف الهمزة وسقوطها تماما، وينبغي الرجوع فيما يتعلق بهذه المسألة الهامة الى فولرس (Vollers) "لغة الشعب"... ص 83—97 و ج. فايل (G. Weil) : "علاج الهمزة — الالف في العربية وخاصة حسب تعليم الزمخشري وابن الانباري (مونيخ 1905) " Die Behandlung des Hamza–Alif im Arabischen besonders nach der Lehre von az-Zamaḫšari und ᵓIbn al ᵓAnbāri." (Munich 1905) والى أ. شَادِهْ (A. Schaade) "علم الاصوات عند سيبويه" (Sibawaihis Lautlehre) ص 32—34 والى أ. بريتزل (O. Pretzl)

(I) ينبغي اجتناب تعريف الهمزة باستعمال عبارات مثل صدمة حركة صلبة (attaque vocalique dure)أو انطلاقة حركية قوية (détente vocalique forte) فهذه العبارات وان لم تكن غالطة قد تؤدى الى الالتباس ، وينبغى التعود على فكرة أن الهمزة هو حرف شديد كغيره من الحروف •

"علـم التجويـد" (Die Wissenschaft der Koranlesung) في مجلة : اسلاميكا (Islamica)، VI ، ص 303—316. وأما في ما يخص النحـاة العرب فينبغِي الرجوع في هذا الشأن الى سيبويه : II ، ص 168—176 والى الزمخشـري، ابن يعيش : IX ، ص 107—120 وإلى أكثر التصانيف في القراءات (وخصوصا كتاب التيسير للداني) وكذلك الى أكثر كتب التجويد.

ويميـز النحـــاة العرب بين :

أ) إضعاف الهمـزة ويسمى "تخفيفـا" أو "تسهيـــلا" أو "تليينـا" وتنطـق الهمـزة في هذه الحال وسطـا بين نطقهـا الشديد أو الصحيح ويدعى تخفيفـا وبين نطـق الحركـة : ولذا أسموهـا "همـزة بين بيـن" أي وسطية.

ب) وبين إبدال الهمـزة إما حركـة طويلـة أي فتحـة طويلـة أو كسرة طويلـة أو ضمـة طويلـة وإما نصف حركـة أي يـاء أو واو. ويدخـل هذا العـلاج للهمـزة في طائفـة عمليات صوتية عند العرب باسم "البـدل" أو "الابـدال" أو "القلـب".

ج) وبين سقوط الهمـزة تماما ويسمى "نقـلا" وقد اختلفت طبعا مختلف مدارس القـراءات القرآنيـة في عـلاج الهمزة اختلافـا ذا بـــال.

فكان القـراء الذين أصلهم من ما بين النهريـن (أي العراق اليـوم) ومن شرقي الجزيرة العربية كابن العلاء من البصرة والكسائي من الكوفة وحمزة من الكوفة مولى بني تميم وعاصم من الكوفـة وحفص تلميذه الشهيـر (وقراءة حفص من اشد القراءات انتشارا في الاسـلام) كانوا يخففون نطق الهمـزة تخفيفـا، وخلافا لذلك فان القراء الغربيي الأصل أي قـراء الحجاز مثل ابن كثيـر من مكـة ونافع وتلميذه الشهير ورش (وقراءة ورش قراءة ذائعـة جدا كذلك) كانوا قد تأثّـروا باللهجات المحليـة فأقرّوا عـددا كبيرا من عمليات تخفيف الهمـزة أو سقـوطهـا.

وسندرس على التـوالي

1 — الهمـزة إذا كـانت أولا

2 — الهمـزة إذا كانت وسطـا

3 — الهمـزة إذا كانت آخـرا وخصـوصا عنـد الـوقـف

1 – إذا وقعت الهمزة أولا حققت عادة تحقيقا كاملا الا أن الهمزة الأولى حسب قراءة ورش التقليدية تسقط اذا وقعت بعد كلمة تنتهي بحرف (ويدخل في ذلك الواو والياء وهما حرفان عندهم والتنوين ولام "ال") فيجب مثلا قراءة "قَالَتُخْرَاهُمْ" في "قالتْ أُخْراهم" (قرآن: VII 36) و"قُلَعُوذُ" في "قُلْ أعوذُ" (قرآن : CXIII ، 1 و CXIV ، 1) (حسب البيضاوي) و "اَلَرْضُ" و "اَلاخِرَةُ" و "اَلُولَى" في "اَلْأَرْض" و "اَلْآخرة" و "اَلْأُولَى"... الخ (انظر الداني التيسير" ص 35–36 و أ. بريتزل "علم التجويد" ص 312–313.

ويذكر فولرس في "لغة الشعب" ص 90 أمثلة سقطت فيها الهمزة وحركتها. الا أنه يظهر في الحقيقة ان سقوط الحركة هو الذي سبب سقوط الهمزة : ولذا فسندرس هذه المسألة في باب "دراسة نظام الحركات"

واما فيما يتعلق بترددهم في اول بعض المواد الصرفية بين استعمال الهمزة او الواو او الياء فانظر نولدكه (Noldeke) "مساهمات جديدة... (Neue Beitrage) ص 202–206 .

2 – وفيما يتعلق بالهمزة الواقعة وسطا يجب التمييز بين :

أ) الهمزة الواقعة بين حركتين

ب) الهمزة الواقعة بين حركة وحرف

ج) الهمزة الواقعة بين حرف وحركة

أ) فاذا وقعت الهمزة بين حركتين جاز تصور 9 مجموعات هي : "ـَأَ" (aᵓa) و"ـَئِ" (aᵓi) و"ـَؤُ" (aᵓu) و"ـِأَ" (iᵓa) و"ـِئِ" (iᵓi) و"ـِؤُ" (iᵓu) و"ـُأَ" (uᵓa) و"ـُئِ" (uᵓi) و"ـُؤُ" (uᵓu)

تخفيفها مطرد في المجموعات الآتية :

ـَئِ وـِئِ وـِؤُ (نحو سَيِّئُه : قرآن XVII ، 40) وـُئِ و ـُؤُ

وأما في المجموعة : "ـَـأ" فقد ذكر الازرق أن ورشا يحقق الهمزة وأنّـه يقرأ مثلا "مـآبْ" : قرآن ، XIII ، 28 و36 الخ ... و "مـآرب" : قرآن XX ، 19 و"تأخـرَ" قرآن II ، 199 و XLVIII ، 2، و "فـأذنَ" : قرآن VII ، 42 ... الخ وخـلافا لـذلك فقد روى الاصبهـاني أن ورشا يقسر التخفيف في بعض حـالات وقـوع الهمـزة ذلك المـوقـع : نحو "كانّـه" في "كأنّه" قـرآن VII ، 170 و XXVII ، 42 ... الخ و "رايت (ارايتـه) في رأيت قـرآن XII ، 4 الخ ...

وكذلك حسب حمـزة وهشام السُلَمِي وهو أحد تلامذة ابن عامـر قـراءة "مـآآ" في "ماءا" (في الوقف عند النكرة المنصوبة) الا أن قلـب همـزة بعض الافعـال المهمـوزة العين والمهمـوزة الـلام حرف علـة سببه القياس في نظرنـا وسنرى ذلك بعـد حيـن.

وأما فيمـا يتعلـق بالمجمـوعـة ـَـؤُ فعـن الأزرق ان ورشًا كان يحقـق الهمـزة ويقـرأ "لا يـؤوده" قـرآن : II ، 256 و "تـؤُزُّهـمْ" (أي تدفعهم الى الشـر) قرآن : XIX ، 86.

وخلافا لذلك فإن حمـزة (وهو ممن يحققـون الهمـزة عادة) كان يقرأ بتخفيفهـا إذا وقعت ذلك الموقع فيقرا بالخصوص "آباوُكم" : قرآن IV ، 12... الخ (إلا أنـه يجوز في هذا المثال تفسيـر هذا التخفيف بحدوث عمليـة تبـايـن نـاتجـة عن تأثير الهمـزة الأولى. انظـر مـا سيأتي في هـذا فيمـا بعـد).

وأما بخصوص مجموعة "ـِـيءَ" فقد اجمـع النحاة (مثل سيبويـه II ، ص 169) والقـراء (مثـل ورش عن الاصبهـاني وحمـزة) علي قلـب الهمـزة ياء فقرأوا مثـلا "بِيَـيّ" و "فَبِيَـيِّ" في "بِأَيّ" و "فَبِأَيّ" وكـذلك "بيَنّ" و "بِيَنّهم" في "بِأَنّ" وبِأنّهم" وَ "مُلِيَت" في "مُلِئَت" قرآن : LXXII ، 8 و "ناشِيَة" في "نَاشِئَة" (أي أول الليل) قرآن : LXXIII 6. وهـكذا نفسـر ترددهم بين قراءة "بَـادِيَ" و "بَادِىءَ (قـرآن XI ، 29) (ذكره البيضاوي عن ابن العـلاء)

وقد أجمـع النحاة والقراء كذلك على قلـب الهمـزة في مجمـوعـة

"ؤَ" واوا فقرأوا مثلا "فُوَاد" في "فؤَاد" قرآن XXVIII ، 9 ... الخ وقالوا كذلك : غلامُ وَبيك : ذكره سيبويه II ، ص 169 .

ب) واذا وقعت الهمزة بين حركة وحرف فعن النحاة (كسيبويه: نفس المرجع) وعن القراء (كورش وحمزة) أنها تخفف بل وقد تسقط أيضا وتمد الحركة التي قبلها .

فورش وحمزة يقرآن "يَاخُذ" في "يَأْخُذ" و"يُومِنون" في "يؤْمنون" وعن الأزرق أن ورشا يقرأ بالخصوص تخفيف الهمزة في الكلمات التالية : "بِئْسَ" و"بِئْسَمَا" و"البِئْر" و"الذِئْب" ولِئَلاَّ".

وروى الاصبهاني أن ورش يُقِرُّ بصفة أعم تخفيف كل همزة متبوعة بحرف أو اسقاطها ولم يشذ عن هذه القاعدة حسبهم الا الهمزة الوسطى في "لؤلؤ" و "جِئْت" و "بَأْس" و "كَأْس" و "رَأْس" و "رِئْياً" (أي ومنظرا جميلا) قرآن : XIX ، 75 وهمزة مختلف الصيغ المشتقة من مادة "ن ب ء" و"ق ر ء" و"هـ ي ء"و "ع و ي"ويجوز ادغام همزة "ؤي" هذه في الواو اذا اتصل الحرفان اتصالا مباشرا نحو"تُوِّي" في "تؤْوِي" (قرآن XXXIII، 51) و"تُوِّيهِ" في "تُؤْوِيهِ" قرآن LXX 13 (وهي قراءة حمزة)

ج) إذا وقعت الهمزة بين حرف وحركة كان تخفيفها وإسقاطها (بمد الحركة التي بعدها أوبدونه) مطردين وذلك حسب النحاة وحسب القراء على السواء فقد ذكر سيبويه في هذا المضمار II ، 170قولهم"المَرَةُ" و"المَرَاةُ" في "المرأة" و "الكَمَةُ" و"الكَمَاة"في "الكَمْأَة"وهو نبات يوجد في الربيع تحت الأرض يقال له : "تْرُوفْ" (truffe) بالفرنسية.

ويذكر سيبويه ايضا أن عيسى (1) كان يقرأ " ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخَبَ (أي الخَبْأَ) في السموات والارض "قرآن XXVII ،25.

---

(1) ويجوز أن يكون عيسى هذا اما أبا الحارث عيسى بن وردان المتوفى سنة 160 هـ. وتلميذ أبى جعفر من قراء المدينة واما أبا عمر عيسى بن عمر الثقفى من مدرسة البصرة والمتوفى سنة 149 هـ. واما أبا عمر بن عيسى بن عمر الهمدانى الأعمى من مدرسة الكوفة والمتوفى سنة 156 هـ.

وعن حمزة نفسه انه يجوز إسقاط الهمزة تماما اذا وقعت بين حرف وحركة في نحو قولهم "السَّمرُ" في "المَرْأُ" و"شَيْ" في "شيء" و"قُرَان" في قرآن" و"يَسَلُ" في "يسأل ... الخ وبذلك نفسر قولهم في مضارع رأى "يرَى" عوض" يَرْأَى". وسقوط الهمزة اذا وقعت أولا وكانت مسبوقة بكلمة تنتهي بحرف أو مسبوقة بال التعريف سقوط تابع لنفس هذه النزعة انظر بهذا الخصوص ما ورد أعلاه ص 125 وكذلك سيبويه II ، 170

3 — إذا وقعت الهمزة آخرا ووقف عليها وجب التمييز بين أ) الهمزة المسبوقة بحركة ب) وبين الهمزة المسبوقة بحرف (انظر سيبويه II ، ص 311—313 والزمخشري — ابن يعيش IX ص : 73—74).

أ) فإذا كانت مسبوقة بحركة جاز علاجها بثلاث كيفيات وذلك بحسب نزعات لهجات النحاة والقراء فإما أن تحقق الهمزة تحقيقا لا أكثر ولا أقل نحو "أَكْمُؤْ" جمع "كَمْأَة" و"خَطَأْ" وأَهْنِئْ" (اي أعْطِي) واما أن تكون مسبوقة بفتحة فتقلب نصف حركة من جنس حركة الاعراب التي تليها اذا كانت هذه الحركة ضمة أو كسرة نحو قولهم "هذا الكَلَوْ" في" هذا الكَلأُ" و"مررت بالكَلَيْ" اي بالكلإ الا انهم يقولون "رايت الكَلاَ" أي"الكَلأَ" بسقوط الهمزة ومد الفتحة السابقة وذلك لأن حركة الاعراب هي نفسها فتحة في هذه الحال واما أن تسقط وتمد الحركة السابقة لها نحو "أَكْمُو" و"خَطَا" و"أهْنِي" ويبدو أن هذا العلاج هو من خصائص لغة الحجاز ونجده كذلك في قراءة حمزة وهشام (رغم أن حمزة من أصل شرقي) انظر الداني : "تيسير" ص 37—38 وأ. بريتزل "علمالتجويد" ص 314 .

ب) وإذا كانت الهمزة مسبوقة بحرف جاز علاجها بأربع كيفيات مختلفة :

1) فاما أن تحقق وأن تدخل بينها وبين الحرف الذي قبلها—تسهيلا للنطق بها — حركة فصل يكون جرسها إما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت للوقف نحو "هذا الوَثُؤْ" في "هذا الوَثْأُ" (أي الوصم

يصيب اللحم ولا يبلغ العظم) (Lésion) و"من الوَثيِء" في "من الوَثْء" و "رأيت الوَثأ" في "رأيت الوَثْءَ" — أو من جنس جرس الحركة الأصلية السابقة للهمزة نحو قولهم: "بُطُءْ" في "بُطْءٌ" و "رِدءْ" في "رِدْءٌ" (أي الاعانة) و "وَثَأْ" في "وَثْءٌ" وذلك في جميع حالات الاعراب.

2) واما أن تقلب الهمزة نصف حركة أي واوا إذا كانت حركة الاعراب ضمة أو ياء اذا كانت حركة الاعراب كسرة أو تقلب فتحة طويلة إذا كانت حركة الاعراب فتحة فنقول في الأمثلة السابقة ذاتها : "هذا الوَثو" و "هذا الرِّدُو" و "هذا البُطو" في حالة الرفع ونقول "من الوَثِي" "ومن الرِّدِي" و "من البُطِي" في حالة الجر ونقول "رأيت الوطَا" و "الرِّدا" و "البُطَا" في حالة النصب .

3) واما أن تقلب الهمزة حركة طويلة يكون جرسها إما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت (للوقف) نحو "هذا الوَثو" و "الرِّدُو" و "البُطُو" في حالة الرفع و "من الوَثِي" و "الرِّدِي" و "البُطِي" في حالة الجر و "رأيت الوَثا" و "الرِّدَا" و "البُطَا" في حالة النصب (أي كما في الحالة السابقة) أو من جنس جرس حركة المقطع السابق نحو "بُطُو" و "رِدِي" و "وَثَا" في جميع حالات الإعراب .

4) وأما اخيرا، أن تسقط الهمزة بدون أن يبقى لها أثر : نحو "وَثْ" و "رِدْ" و "بُطْ" ولا نجد في آخر هذه الكلمات حركة الا في حالة النصب اذا كانت الكلمة نكرة فنقول بفتحة طويلة "وَثَا" و "رِدَا" و "بُطَا" ويبدو أن قراء القرآن وخاصة حمزة وهشام قد تبنوا هذا العلاج الرابع للهمزة : انظر الداني "تيسير ص 37—39 (و أ. بريتزل : علم التجويد" ص 314—315.)

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الضعف في الهمزة في مواقع مختلفة تأثير في الصرف وخاصة فيما يتعلق بتصريف الأفعال من ذلك قولهم "سَالَ" إلى جانب "سأل" وبمعناه وينبغي البحث عن أصل هذه الصيغة أي "سال" في صيغتي الأمر والمضارع المجزوم من نحو "سَلْ" (قرآن II ، 207) و "سَلْهُمْ" (قرآن LXVIII ، 40) : وأصل "سَلْ" فيما يبدو "إسْأَلْ".

وقد بَنَوْا من هاتين الصيغتين صيغة "سال َ" في الماضي (وهي قراءة نافع وابن عامر في "قرآن LXX ،1" : قارن بما جاء في كتاب سيبويه II ،123.

ومن ذلك أيضا وقد سبق ذكره - صيغة المضارع "يرى" الأمر منه "رَ" أو "رَهْ" وكلهما من رأى. وينبغي كذلك في هذا الصدد المناظرة بين بعض الصيغ المزدوجة مثل "جَأَشَ" اي تكدر واضطرب و"جَاشَ" اي اضطرب اضطرابا شديدا ومثل "نَأَشَ" أي أخذ وقبض بشدة، و"نَاشَ" أي أخذ وتناول بيده. ومثل "لأمَ" أي اعتبره لئيما ووبّخه و"لام" أي وبخ... الخ .

ونجد مثل ذلك في الافعال التي وقعت الهمزة فيها موقع اللام من ذلك ما جاء في بعض القراءات القرآنية من إسقاط همزة "خَطِيءَ" أو تعويضها بياء في بعض الصيغ المشتقة من هذا الفعل نحو "خَاطِيُون" و"خَاطُونَ" عوض "خاطئُون" (قرآن LXIX، 37) ونحو "خَطِيئَتُهُ" (قرآن II 75) و"خَطَاً" عوض "خَطَأً" (قرآن ١٧ ، 94) و "خطاً" عوض "خِطْأً" ومن ذلك أيضا قوله "والصَّابُونَ" عوض "والصَّابِئُونَ" (قرآن ٧ ، 73 : حسب البيضاوي) ... الخ

وبذلك نفسر وجود عدد كبير من الصيغ المزدوجة مثل "كفأ" و"كفى" بنفس المعنى و"اجزأ" و"اجزى" بنفس المعنى ايضا و"غبأ" وغبى" بمعنى: هيّأ ورتب ... الخ .

ويمكن أن نعتبر أن نقطة الانطلاق في هذا التطور المتعلق بالهمزة في الأمثلة الفعلية المذكورة هو المضارع المجزوم إذ تسقط الهمزة في آخره وتمد الحركة التي قبلها نحو : يُكَافِيءُ ← يُكَافِي

وهناك أيضا أمثلة من هذا النوع نجدها في صيغ اسمية بحتة فيجوز ابدال الهمزة ياء أو واوا إذا وقعت عينا في بعض الاسماء نحو قولهم "سوَال" في "سؤَال" و"رَاس" في "رَأْس" ومن ثمة قولهم في الجمع "رُوسْ" عوض "رُؤُوس" و"أرْؤُس" ونحو قولهم أيضا "مِسَاد" في "مِسْأَد" وهو الزق توضع فيه الزبدة أو العسل .

وقد تتغير الصيغة الأصلية في بعض الاسماء تغيرا بليغا في نحو "مَلَك" وأصله "مَلْأَك" ... الخ . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالاسماء التي الهمزة فيها لام نحو: "مَرْأة" تصير عندهم "مَرَاة" أو "مَرَة" ونحو "كَمْأة" تصير "كَمَاة" "وكَمَة" ونحو "قَرْآن" تصير "قُرَان" ... الخ وينبغي الرجوع في هذا الغرض إلى الامثلة العديدة الواردة في كتاب "فولرس" "لغة الشعب" ... ص 83–97. ويجد الباحث في نفس هذا الموضع من الكتاب كلاما يتعلق بـ "ارجاع الهمزة بعد أن سقطت ارجاعا زائفا".

ويطرأ على الهمزة علاوة على عمليات التخفيف أو السقوط العديدة والتي نظرنا فيها أعلاه يطرأ عليها تغييرات مقيدة مختلفة أهمها عمليات الادغام وعمليات التباين.

وعن تعليم النحاة العرب مبدئيا أن الهمزة لا تدغم ولا يدغم فيها (انظر الزمخشري – ابن يعيش X ص 134–135، و"هول" "النحو العربي" ١٧ ، 1757–1759) إلا أن ثمة بعض الامثلة لا يمكن تفسيرها الا بافتراض ادغام الهمزة من ذلك ما ذهبوا اليه من وجوب قراءة "المَرّ" عوض "المَرْء" (قرآن : VIII ، 24) و"جُزّ" عوض "جُزْء" (قرآن XV 44 حسب البيضاوي) فقد أدغمت الهمزة إذن في المثالين السابقين في الراء والزاي الواقعين قبلها. انظر أمثلة أخرى كثيرة عند "فولرس" "لغة الشعب" ص 92–93، وقد سبق لنا ان ذكرنا مثال "تُؤْوِي" (قرآن XXXIII ، 51) التي يجوز أن تصير "تُوِّي" بادغام الهمزة في الواو (ءو ⟵ وّ) وكذلك مثال "وَرِيًّا" بادغام الهمزة في الياء (ءي ⟵ يّ) انظر : أ. بريتزل "علم التجويد" ص 314–315 حيث نجد بعض الأمثلة الأخرى.

ومثل هذا تماما ادغام الهمزة في تاء صيغ المطاوعة في الفعل نحو قولهم "اتّخذ" في "اءْتَخَذَ" و"اتّزر" في "اءْتَزَرَ" و"اتّكل" في "اءْتَكَلَ"(ومعناه اشتعل غيظا) و"إتّمَرَ"في "اءْتَمَرَ" (انظر فولرس : ص89) بيدأن قراءة "تُمِنَ" عوض "أتُمِنَ" (قرآن II، 283)قراءة غالطة حسب البيضاوي .

واذا تتابعت همزتان في كلمة واحدة نزعتا الى التباين فتخفف إحداهما وقد تسقط تماما من ذلك أن مجموعة "أء"+ حرف تصير في أول الكلمة

" آ " مطلقا وذلك ما يحدث في صيغة أفعل للتعدية من الافعال المهموزة الفاء نحو قولهم "آمن" في "أأمَنَ" و"آثر" في "أأثَرَ" وفي هذه الحال يشيرون عادة الى الفتحة الطويلة برسم مدة فوق الألف. فتختلط الصيغة الرابعة الدالة على التعدية أي أَفْعَلَ (causatif) بالصيغة الثالثة الدالة على الاجتهاد أي فَاعَلَ (conatif) وأما عن المجموعة " أ أَ " كما في "أَأَنْذَرْتَهُم" (قرآن II ، 5) فانه يجوز فيها :

أ) تخفيف الهمزة الثانية وسلامة الحركتين.

ب) تخفيف الهمزة الثانية ومد إحدى الحركتين

ج) سقوط الهمزة الثانية وادغام الحركتين فتصيران حركة طويلة أي فتحة طويلة "ـا" فيقرأ المثال السابق "آنْذَرْتَهُمْ"

وأما المجموعة "أَإِ" كما في "أإذا" فانه يجوز فيها تخفيف الهمزة الثانية بمد الحركة الأولى أو بدونه وتعالج المجموعة "أأُ" بنفس العلاج ويبدو ان جميع المجموعات الممكنة الاخرى تخضع ايضا لنفس العلاج.

وقد تخفف الهمزة تباينا حتى إذا لم تقع الهمزتان في مقطعين متتاليين أي حتى اذا وقعتا بعيدتين الواحدة عن الاخرى نحو قولهم و"أفَأَنْتَ" و"أفَأَنْتُمْ" و"أفَأَمِنُوا" (قرآن VII 97 و XII ، 107) فان الهمزة الثانية تخفف في كل ذلك. وكذلك في قولهم "أفأَصْفاكُمْ" (قرآن XVII ، 42) و"لأمْلأَنَّ" (قرآن VII ، 17) ... الخ .

وأخيرا فقد تحدث نفس عمليات التباين هذه في كلمتين منفصلتين ويميز القراء في هذا الصدد ثماني حالات ممكنة هي :

1) حالة : ءَ ءَ نحو "جاءَ أَجلهم" (قرآن VII ، 32 ... الخ : فاما ورش وقنبل (تلميذ ابن كثير) فيسقطان الهمزة الثانية ويدغمان الحركتين الواحدة في الأخرى فتصيران فتحة طويلة فيقرآن "جَاءَ اجَلُهُمْ"

وأما قالون (تلميذ نافع) والبزّي (تلميذ ابن كثير) وابن العلاء فانهم يسقطون بالعكس الهمزة الاولى فيقرأون "جَا أجَلُهم" .

2) حالة : ءِء نحو "هؤلاءِ إنْ كنتم" (قرآن II ، 29 الخ.) فاما قُنْبُل ووَرْش فيَسقطان الهمزةَ الثانية ويدغمان الحركتين فتصيران كسرة طويلة "ـي" فيقرآن هؤلاَئِينْكُنْتُمْ" في "هؤلاء ان كنتم" (ولكنهما يقرآن أيضا" هؤلاَءِ يِنْ كنتم" : قرآن II ، 29 و"البغاءِ يِنْ" قرآن XXIV ، 33 أي بابدال الهمزة الثانية ياء) وأما قالون والبزّي فيبدلان الهمزة الاولى ياء ويقرآن "هؤلايِ إنْ كنتم" واما ابن العلاء فيسقط الهمزة الاولى وحركتها ويقرأ "هؤلاَ إن كَنتم".

3) حالة : "ءُءُ" كما في المثال الوحيد من نوعه "اولياءُ أُولاَئكَ" قرآن XLVI ، 31، فاما ورش وقنبل فيقرآن "اولياءُ وُلائك" بابدالَ الهمزة الثانية واوا واما قالون والبزى فيقرآن "أوليا وُأولائك" بابدال الهمزة الاولى واوا واما ابن العلاء فيقرأ "أوليَا أُولائك" فيسقط احد المقطعين

4 و 5) حالتا "ءَءُ" "ءَءِ" : قرأوا ذلك بتخفيف الهمزة الثانية

6) حالة "ءُءَ" قرأوها بابدال الهمزة الثانية واوا.

7) حالة "ءِءَ" قرأوها بابدال الهمزة الثانية يـاء

8) حالة "ءَءُ" قرأها أغلب القراء بابدال الهمزة الثانية واوا وأما بقية القراء والنحويان الخليل وسيبويه فيقرأون بتخفيف الهمزة الثانية فقط.

وارجع في جميع ما يتعلق بتباين الهمزة إلى : سيبويه II ، ص 172—174 وشاده "علم الاصوات" ... ص 53—54، والزمخشري — ابن يعيش IX ، ص 116—120، والداني : كتاب التيسير : ص 31—35 ، و أ. بريتزل "علم التجويد" ص 305—312 .

وأما الالسن الدارجة العربية العصرية فنجد نزعتين متغلبتين في علاج الهمزة وهما :

إما تخفيفها حتى درجة الاسقاط أحيانا
واما ابدالها واوا أو ياء

فاما في اللهجات الشرقية فقد بقيت الهمزة وان ضعيفة تمثل "صَوْتَماً" (phonème) في معنى هذه الكلمة الوظائفي وبقيت تمثل عنصرا مكونا هاما من عناصر النظام الحرفي في هذه اللهجات.

واذا وقعت الهمزة اولا حققت عادة نحو قولهم "أَرْنَب" (ʾarnabe) و"أُصْبَع" (ʾöṣbaᶜ) "أَرَانب" (ʾarāneb) و"اصَابِع"و(ʾaṣābeᶜ) في الجمع فيظهر من هذه الامثلة ان الهمزة إذا وقعت أولا احتفظت بقيمتها بصفتها حرفا أصليا.

وقد تبدل الهمزة الأولى وان في الندر نصف حركة أي واوا أو ياء نحو قولهم "ولّف" (wallăf) أي جمع أدباشه وأصله في الفصحى "ألّف" وقولهم "وَدَّب" (waddăb) من "أدّب" في الفصحى وقولهم "وَاخذ" (wāẖad) من آخذ في الفصحى وقولهم "يَمّ" (yamᵐ) أي من جهة ... وأصلها "أمّ"

واذا وقعت الهمزة وسطا كان الأمر بخلاف وقوعها أولا أي انها قلما تحقق (فلا تحقق تحقيقا برهانيا إلا في مثال وحيد هو فعل "سأل" وأما الامثلة الاخرى التي تحقق فيها فيبدو ان سبب التحقيق فيها هو حملها على غيرها قياسا أو افتراضها من العربية الفصحى) . وكثيرا ما تسقط الهمزة الوسطى نحو قولهم "رَاس" (rās) (من الفصحى "رأس") و"بِيرْ" (bĪr) (من الفصحى بئر) و"مْرَ" (من الفصحى مَرْأة) و"كَامَه" (Kame) (من الفصحى كَمْأَة)

ويكثر كذلك ابدالها واوا أوياء في ذلك الموقع نحو "أتّاوَب" (öttāwab) (من تثاءَب) و"لاَيَم" (Lāyam) (من لأَمَ أي ناسب) و"مَلْيَان" (mälyān) (من ملآن) و"مِيّه" (mīye) (من مِئة).

واذا وقعت الهمزة آخرا سقطت كذلك بدون أن يبقى لها أي أثر أحيانا نحو قولهم "غَدَا" (ġadā) (من غَذاء) و"سَمَا" (samā) (من سَماء) وقد تبدل أحيانا نصف حركة : من ذلك أن الافعال المهموزة اللام قد صارت كلها أفعالا يائية اللام وقد تدغم هذه الياء أحيانا في الحرف الذي قبلها نحو قولهم "ضَوّ" (ḍawʷ) (من ضَوْء) و"فَيّ"

(fayʸ) (من فيء) وارجع فيما يتعلق بتفاصيل هذه الامثلة الى: فغالي : كفر عبيدة ص 1—14 والى كانتينو "لهجة تدمر العربية" ۱ ، ص 66—69 وكذلك "لهجات حوران العربية، الفصل المتعلق بعلم الاصوات.

وأما في لهجات المغرب العربي فإن تطور الهمزة هذا قد بلغ حدا ابعد مما بلغه في الشرق ذلك أن الهمزة لم تعد تمثل "صوْتماً" (phonème) وكادت تضمحل تماما من اللغة فقد أشار و. مارسي في كتابه "أولاد ابراهيم" ... ص 5—6 الى أن الحروف الشديدة الأقصى حلقية التي تسمع عندهم لا تظهر الا في الكلمات التي أخذوها عن العربية الفصحى وأما في اللغة الشعبية فإن الهمزة إما تسقط تماما وإما تعوض بنصف حركة أي بواو أو بياء كما في اللهجات الشرقية. وإليك بعض الأمثلة التي وقعت فيها الهمزة مواقع مختلفة .

أمثلة وقعت فيها أولا :

"ضَايَه" (ḏāya) : وهو الغدير (من أَضَاةٌ) وبلّ (bell) (من إبل) و"بْرَا" (bṛa) براء مفخمة (من إبرة) و"ارض" (arḏ) بدون همزة (من أرض) و"اهْلْ"(āhel) بدون همزة (من أَهْل) و"يُجْرَ" (yužra) (من أجرة) و"يَامِسْ" (yāmes) (من أَمْس) و"وَخْذَ(ه) (waḫḏa) (من أخذة)

امثلة وقعت فيها وسطا

"ذِيبْ" (ḏīb) (من ذئب) و"بِيرْ" (bīr) (من بئر) "وْبيَارْ" (byār) (من بئار) و"رَاسْ" (rāṣ) (من راس) و"رُوسْ" (rōṣ) (من رُؤُوس) و"سَال" (sāl) (من سأل) و"مْسَالَـ(ـه) (msāla) من مَسْأَلَة) و"تْـوَامْ" (twām) (من تُؤَام) و"مْلاَنْ (mlān) أو "مَلْيَان" (mālyān) (من ملآن) و"فْوَادْ" (ffawād) (من فؤاد) و"ثَّاوب" (ṯṯāweb) (من تثاءب) و"لايم" (lāyem) (و"لاَيِـْم". (lāim) بمجرد كسرة بين اللام والميم) (من لاءم)

أمثلـة وقعت فيهـا آخـــرا

بْـَرا (brā) (مـن بريء) و"قْـرَا" (qṛā) (من قـرأ) و"سْـمَـا" (smā) (من سماء) و"ضَوّ" (ḍawʷ) (من ضوء) و"شَـيّ" (šäy) (من شـيء)

ارحع فيمـا يتعلـق بجميع هذه الأمثلـة إلى و. مارسي : "أولاد ابراهيم" ص 5—9 و"تلمســان" ص 19—21 والى م. كـوهين "لهجـة يهود مدينـة الجزائـر" ص 35 — 43 .

أنصاف الحركات

كان في السامية صوتان هما الواو الرخوة التي تقرع من بين الشفتين والياء الرخوة الأدنى حنكية ويسمى هذان الصوتان في الفرنسية حرفين مصوتين (sonantes) أو نصفي حركتين (semi-voyelles) وذلك لقرابتهما من الحركتين المنغلقتين الضمة والكسرة .

وكان واحد من هذين الصوتين يستعمل تارة حرفا وتارة ثاني عنصر من عنصري الحركات المزدوجة وكلاهما قد يصير في بعض الحالات المعينة إلى الحركة التي من جنسه .

وأما العربية القديمة فقد كانت الحالة فيها بخصوص هذين الصوتين نفس تلك الحالة تقريبا وسننظر الآن في أهم التغييرات التي طرأت عليها.

فهناك بعض الحالات سقطت فيها الواو والياء فيما يبدو. ويعتقد المؤلفون عادة أن الواو والياء تسقطان إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين (باستثناء مجموعتي "ـُـوَ" (uwa) و"ـِـيَ" (iya) حيث تثبت الواو والياء).

من ذلك أن "قَامَ" أصلها "قَوَمَ" و"سَارَ" أصلها "سَيَرَ" و"خَافَ" أصلها "خَوِفَ" و"طَالَ" أصلها "طَوُلَ" و"يَغْزُو" أصلها "يَغْزُوُ" و"قِيلَ" اصلها "قُوِلَ" و"يَرْمِي" أصلها "يَرْمِيُ" و"الْقَاضِي" أصلها "للقَاضِيُ" (انظر سوسين : النحو العربي ص 20-21، وبروكلمان "المختصر" ا ، 57 و 138) .

وبخلاف ذلك فإن المضارع المنصوب نحو "يَغْزُوَ" و"يَرْمِيَ" والأسماء المنصوبة نحو "رأيت القاضيَ" تسلم فيها الواو والياء.

وقد ينبغي إعادة النظر في بعض حالات تطبيق هذه القاعدة إلا أنها تعبر عن شعور المتكلمين الصرفي وكذلك تسقط حسبهم الواو والياء إذا وقعتا بين حركة قصيرة وحركة طويلة (باستثناء المجموعات الآتية :

ـــوَا (awā) ـــَيَا (ayā) — ـــُوَا (uwā) ـــِيَا (iyā) — حيث تثبتان) من ذلك أن "غـَزَوْا" أصلها عندهم "غَزَوُوا" و "رَمَـوْا" من "رَمَيُوا" وكذلك "تَرْضَيْنَ" أصلها "تَرْضَـيِنَ" (tarḍaīna) التي أصلها "تَرْضَوِينَ" و "تَنْسَيْنَ" أصلها" "تَنْسَـيِنَ" (tansaīna) التي أصلها تَنْسَيِين ومن ذلك "يَرْمُونَ" أصلها يَرْمِـــوُنَ (yarmiūna) التي أصلها "يَرْمِيُونَ" ومنه "رَضُوا" فأصلها "رَضِـوُا" (raḍiū) التي أصلها رَضِوُوا، ومنه "تَرْمِين" من "تَرْمِـيِـين" (tarmiīna) التي من تَرْمِيِيـــنَ.

ومنه "رَاضِينَ" من "رَاضِيِنَ" (raḍiīna) التي من "رَاضِوِينَ"
ومنه "يَغْزُونَ" من "يَغْزُوُنَ" (yaġzuūna) التي من يَغْـزُوُونَ"
ومنه "تَغْزِينَ" من "تَغْزُينَ" (tagzuīna) التي من "تَغْزُوِينَ"
(انظر سوسين : نفس المرجع، وبروكلمـان نفس المرجـــع)

وكثيرا ما يتعارض القياس الصرفي وتطبيق المباديء المذكورة أعلاه. ومن الغريب ان ما شذ عن هذه القـواعد أكثر في الاسم منه في الفعل إذ من المعلوم أن صرف الاسماء أقل ضبطا ودقـة من صرف الأفعال. ونذكر من هذه الشواذ قولهم "بُيُوتٌ" (وجميع الجموع التي على هذا الوزن والتي الياء فيها عين الكلمة وقولهم كذلك "قويم" (وجميع الصفات التي على هذا الوزن والتي عينهـا واوا).

ولا يخلو هذا الشذوذ من بعث بعض الشـك في النفس فيمـا يتعلق بالقواعـد المنصوص عنهـا أعلاه.

وتدغـم الواو في اليـاء الواقعـة بعدهـا أو قبلهـا نحو "أيَّـام" جمع يوم وأصلها "أيْوَام" أدغمت فيهـا الواو في الياء (ي و ← يّ) وكذلك قـولهم "شَيٌّ" مصدر شَوَى وأصله "شَوْيٌ" أدغمت فيه الواو في الياء (وي ← يّ).

وقد تنضاف نصفا الحركتين الواو والياء الى الحركتين المناسبتين لهما فيكوّنـان معهمـا حركتين طويلتين من ذلك "ـــُوْ" تصيـر الى "ـــُو" إذا

كان بعدها حرف نحو "يُوقِنُ" اصلها "يُوْقِنُ" ونحو "كُوعٌ" اصلها "كُوْعٌ" وكذلك "ـيِ" تصير "ـيِ" إذا كانت متبوعة بحرف نحو "ميقان" من "ميْقان" ونحو "دِيك" من "دِيْك" . وسنرى بعد هذا اى عند التعرض إلى الحركات الطويلة أن شعور المتكلمين ينزع بهم إلى اعتبار أن هذه الكلمات تحتوي على المجموعتين الاصليتين اى "ـُوْ" و"ـِيْ" اكثر مما ينزع بهم الى اعتبارها تحتوي على حركتين طويلتين هما الضمة والكسرة. وهذا الشعور متحد ورسم هذه الكلمات تقريبا .

وإذا وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هي : "ـِيْ" تصير كسرة طويلة أي "ـِي" إذا كان بعدها حرف وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : — مِوْلاد ← — مِيْلاد ← مِيلاد .

— دِوَار ← دِيَار —
— عَالِوْ ← عَالِي
أنظر سوسين "النحو العربي" ص 21

وأيضا إذا كانت الضمة متبوعة بياء جاز قلبها كسرة تقريبا وسنرجع الى هذا فيما بعد نحو :

— بُيْض ← بِيْض ← بِيض
— مَرْمُوْي ← مَرْمِي
أنظر سوسين : نفس المرجع .

واذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة: نحو "قَاوِل ← قَائِل" و"بَايِع ← بَائِع" و"عَجَاوِز ← عَجَائِز" و"جَزَايِر ← جزائر" وإرْضَايٌ ← إرْضَاءٌ" و"وفَايٌ ← وَفَاءٌ" : انظر سوسين : نفس المرجع وبروكلمان "المختصر" ا ، ص 138.

وبالعكس إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو "قَاوَل" و"سَايَر" وأما قولهم في النصب "إرْضَاءً" و"وَفَاءً" فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر.

وإليك الآن بعض التغييرات التي تطرأ على الواو والياء وهي تغييرات اعتبروها منذ القدم تابعة للهجات الدارجة :

أ) كانت الياء إذا ضعّفت تنزع الى الانقلاب جيما وذلك إما وسطا: من ذلك ما رواه ابن الأعرابي من أن أبا نجم قال في أحد أبياته : أجّل عوض أيِّل (وهو الغزال) — وإما آخرا أحيانا من ذلك ما ذكره أبو عمرو بن العلاء النحوى من أنه سأل رجلا من بني حنظلة : ممّن أنت؟ فأجابه أنا فُقَيْمِجٌ (أي فُقَيْمِيٌ من بني فُقَيْم) فالح النحوى في السؤال قائلا: ومِنْ أيِّهِمْ ؟ فأجابه : أنا مُرِّجٌ (أي مُرِيٌّ من بني مُرَّة)

وكانت هذه الخاصية في نطق الياء وتسمى "العجعجة" موجودة ايضا عند بني تميم وبني سعد وقضاعة : انظر سيبويه I ، ص 361 والزمخشري — ابن يعيش : X ، 50—51 وهول : النحو العربي : IV ، ص 1374—1378 وبروكلمان "المختصر" : I ، ص 139 و 280. ويبدو أن تضعيف الياء في هذه اللهجات قد أدى إلى حدوث شدة جزئية في هذا المضمار اثناء زمن النطق به .

ب) ويبدو أنه يجب رد إتباع كاف المخاطبة عند الوقف بشين عند مضر وربيعة وعند بني بكر إلى هذه الخاصية ومن المحتمل أنه ينبغي تفسير ذلك بتخيل صيغة أولى لهذه الكاف أي "كِي" بكسرة طويلة ثم تصير الى "كِيْ" ثم إلى "كِجْ" وأخيرا إلى "كِشْ" أو "كِسْ" بانتقال الجيم من الجهر إلى الهمس. وقد خلط العرب هذه الظاهرة الغريبة بظاهرة أخرى هي إبدال كاف المخاطبة شينا أو سينا مكسورتين وأطلقوا على الظاهرتين اسم "الكشكشة" و "الكسكسة" : انظر الزمخشري — ابن يعيش IX ، ص48 وبروكلمان : المختصر I ، ص 280

ج) واخيرا فان وَاوا قلبت ياء في لهجة كنانة وذلك قولهم "يَازِع" في "وَازِع" ولا يمكن مع الأسف أن نعرف هل أن هذه الظاهرة كانت منحصرة في هذه الكلمة وحدها أم هل كانت عامة كما في اللغات السامية بالشمال الغربي (أي الكنعانية والآرامية والأوقارِتيّة : انظر بروكلمان: المختصر : I ص 138— 139) .

وأما في الألسن الدارجة العربية العصرية فان الواو والياء بقيتا سالمتين عادة. الا أنه ينبغي أن نذكر الأمور التالية :

قد تفخم الواو في اللهجات الشرقية اما من جراء موقعها نحو قولهم بتدمر: "خوال" (ḫwāḷ) و"صفو(ه)" (ṣafwa) أي رماد و"دلو(ه)" (dlawa) بتفخيم الواو وقولهم "داو(ى)" (dêwa) و"دو(ى)" (ᵓödwe) و"شوى" (sāwe) وسروال (sirwēl) الخ بترقيقها .

وإما بالطبع نحو قولهم في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وبحوارن : عبو(ه) (ᶜabwa) (وهي مطثة أي صفيحة مستديرة من حديد بأسفل المهمز تنظف بها سكة المحراث) وقولهم دو(ا) (dāwa) و"شو (ا)" (šawa) الخ كل ذلك بالتفخيم. انظر كانتينو : "لهجة تدمر العربية" : I ، 46—47، ودراسات في بعض لهجات البدو الرحل : I ، ص 12—16 و II ، ص 13—14، و : لهجات حوران العربية ص 98—99.

وأيضا سقطت الواو في أغلب الأحيان في اللهجات الشرقية من عبارة "بودي" أو "بودك" الخ فتصير عندهم "بدي" (böddi) أو "بدك" (böddak) الخ .

وتدغم الواو في الصاد بلبنان في قولهم "بصه" (baṣṣa) (أي شرارة) وهو من الفصحى "بصوة" (baṣwat).

وسقطت الياء كذلك في قولهم "سندان" (sendān) من الفصحى سنديان وهو شجر البلوط : انظر فغالي : كفر عبيدة ص 74 .

وسقطت الواو في قولهم في حوران "بسط" (böṣᵊṭ) أي بوسط ...

وكذلك سقطت ياء المضارعة بعد باء المضارع عند أهل تدمر وحوران وذلك قولهم "بكتب" (boktob) "بكتبوا" (bokötbu) (أي "بيكتب" "وبيكتبوا" (أي "يكتب" ويكتبون) .

وقد أبدلوا من الياء جيما في أكثر لهجاتهم في اسم اليربوع فيقال

في السريانية "يَرْبُوعَة" (yarbuᶜà) وفي العربية الفصحى "يربوع" وفي اغلب اللهجات العربية" جَرْبُوع (ǧarbuᶜ) انظر دوزي ملحق ... ا ، ص 181.

وقد تجيء الواو مكان الياء والياء مكان الواو ويكثر ذلك نوعا ما في لهجات المغرب العربي كما في لهجات الشرق على حد سواء نحو قولهم بلبنان : "أيّام"(ᵓayyem) وقولهم في لهجة بني سعيد "قَيّم"(qöyyem) أي قيِّم أي أنهض (من الفصحى قَوَّمَ) وقولهم "عُيَاد" (ᶜöyād) جمع عَوْد (ᶜawd) وهو الحصان (من قولهم في الفصحى "عَوْد" وهو المسن من الابل والشاء) وقولهم "اتْوَارِس" (twāres) جمع تِيرِس (tīres) وهي الارض السوداء ونحو قولهم بلبنان "أزْوِد" (ᵓazwäd) (أي "أزْيَد" في الفصحى) و"اتْوَيْنِـ(ى) (twayne) تصغير "تِين" ونحو قولهم في لهجة بني سعيد "عوين(ـه) (ᶜöwīⁱna) تصغير "عَيْن". ارجع فيما يتعلق بجميع هذه الامثلة الى و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 29—30، وفغالي "كفر عبيدة" ص 75.

وكثيرا ما يذهب النحاة العصريون الى أن الواو والياء تنقلبان حركتين أي ضمة وكسرة في بعض مواقعهما فيكتبون مثلا "يَمُوت" بالأحرف اللاتينيّة هكذا (imūt) (أي بكسرة عوض الياء التي في أول الكلمة) وكذلك يرسمون "وَكِيل" هكذا : (ukīl) (اي بضمة عوض الواو) ويرسمون "دلو" هكذا : dalu (اي بضمة عوض الواو) ويرسمون "جَدْي" هكذا : (žedi) (أي بكسرة عوض الياء).

إلا أن هذا الرأي لا يوافق شعور المتكلمين بالعربية اذ يعتبرون أن الواو والياء تحتفظان في هذه المواقع بقيمتهما الحرفية. فينبغي إذن ان نرسم هذه الكلمات من حيث علم وظائف الاصوات على الصورة التالية:
يموت = ymūt — وكيل = wkīl — دلو = dalw — جدي = žedy

نـظـام الحـركـات

1) عـمـوميـات

1 ـ عمــوميــات صوتيــة

تختص الحركات ـ كما سبق لنا ان رأينا ذلك صفحة: 20 ـ بانعدام قيام الحاجز في جهاز التصويت فيمر النفس المجهور (1) حرّا طليقا عند النطق بهـا.

ويمكن ترتيب الحركات حسب مواقع الأعضاء عند النطق بها وتسمى أصناف المواضع (classes de localisation) وحسب مدى انفتاح جهاز التصويت (وتسمى درجات الانفتاح) وحسب ما يختص به نطقهما من خصائص (وتسمى صفات النطق) ويكون اجتماع جميع هذه العناصر ما يسمى بجرس الحركة .

أ) اصناف المواضـع

يجب اعتبار عاملين اساسيين في هذا المضمار : موقع اللسان من الفم وصورة الشفتين.

ـ فقد يتجمع اللسان في مقدم الفم تحت الحنك الادنى فيحدث اذ ذاك حركات أدنى حنكية أو أمامية وقد يكون تجمعه في مؤخر الفم تحت الحنك فننطق إذن بحركات أقصى حنكية أو خلفية وقد يكون موضع تجمع اللسان وسطا فننطق إذ ذاك بحركات وسط حنكية أو وسطية .

ـ وقد تصور الشفتان فرجة مستديرة تختلف ضيقا واتساعا فتخرج

(I) ليس ثمة حركات مهموسة اذ أن جميع الحركات تكون مصحوبة بنزيز الأوتار الصوتية فهي اذا دائما مجهورة .

إذ ذاك الحركات حركات مستديرة وبالعكس قد تصور الشفتان شقًّا أفقيا يختلف مدى طوله فتكون عندها الحركات منفرجة .

واذا جمعت هذين العاملين أمكنك تقسيم الحركات حسب الأنواع التالية :

حركات امامية منفرجة : وهي الكسرة (i) و e (1) (é في الفرنسية)

حركات أمامية مستديرة : وهي ü و ö (2) (اي u و eu في الفرنسية)

حركات وسطية منفرجة ؛ وهي أنواع مختلفة من الفتحة (a)
حركات وسطية مستديرة :

حركات خلفية منفرجة : وهي الـ: (كسرة) التي بدون نقطة في التركية

حركات خلفية مستديرة : وهي الـ : o والـ u (3) (اي ou في الفرنسية)

أما في ميدان التطبيق فليس ثمة لغة تستعمل أصناف المواضع الستة هذه استعمالا وظائفيا أو تمييزيا .

ومن اللغات (كاللغة التركية مثلا) ما يستعمل فيها أربعة أصناف

---

(1) يمكن اعتبار هذه الحركات شبيهة جدا بالفتحة الممالة امالة شديدة دون بلوغ درجة الكسرة : (المعرب) .

(2) الـ ü حركة لا مقابل لها في العربية تحدث بأن تمطط شفتيك وتجعلهما على صورة الدائرة عند النطق به . والـ ö منعدم كذلك وهو أقل تمطيطا واستدارة من سابقه .

(3) أما الـ u فالضمة وأما الـ o فضمة منفتحة بعض الشيء .(تعليق المُعَرِّب) .

من أصناف المواضع الستة ويبدو هذا العدد حدا أقصى. ومنها ما يستعمل فيها ثلاثة مثل اللغة الفرنسية وبعض اللغات لا يستعمل أهلها إلا صنفين من ذلك فقط ومن بين هذه اللغات اللغة العربية كما سنرى ذلك .

ب) درجات الإنفتاح : قد يختلف مدى انفتاح جهاز التصويت عند النطق بالحركات فيكبر ويصغر ولذلك وجب أن نميز بين الحركات المنغلقة والحركات المنفتحة : من ذلك اللغة الفرنسية تميز بين ǫ منفتحة كما في كلمة (pomme) (أي تفاحة) مثلا وبين ọ منغلقة كما في كلمة (paume) (اي كف اليد) مثلا وكذلك تميز بين ę منفتحة كما في كلمة (épais) (أي غليظ) وبين ẹ منغلقة كما في كلمة(épée) (أي سيف).

ومن اللغات (كاللغة الفرنسية) ما نجد فيها اربع درجات انفتاح مختلفة مثال ذلك الحركات الخلفية u — ọ — ǫ — a والحركات الامامية i — ẹ — ę — a

ومن اللغات ما نجد فيه ثلاث درجات انفتاح مثل اللاتينية القديمة. ومنها ما فيه الا درجتا انفتاح وهي الحال في اللغة العربية .

ومما يجدر ملاحظته أن الحركات التي من نوع " a " (أي الفتحة) تمثل أكبر درجة من انفتاح بينما تمثل الحركات التي من نوع " u " (أي الضمة) أو " i " اي الكسرة أصغر درجة منه واما الحركات التي من نوع " o " و " e " فتمثل متى وجدت في اللغة درجة أو درجات وسطى من الانفتاح .

ج) صفات النطق : وإلى جانب أصناف مواضع النطق ودرجات الانفتاح ينبغي التمييز بين خاصيات مختلفة أخرى يختص بها نطق الحركات أهمها الخاصيات التالية :

— المدى : يطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتدادا يصير معه مدى النطق بها مساويا لمدى النطق

بحركتين بسيطتين بل وقد يتعدى ذلك. وترسم هذه الحركات الطويلة بواسطة خط قصير أو بواسطة العلامة (^) المسماة بالفرنسية "accent circonflexe" (أي نبرة معقنة). ويكتب هذان الرمزان فوق الحركة البسيطة المناسبة على النحو التالي : â a — ê e — û u الخ.

وليس يقابل الحركات الطويلة الحركات العادية أو القصيرة فقط بل ويقابلها أيضا الحركات القصيرة للغاية وهي حركات يكون مداها قصيرا قصرا غير معهود : فيدوم النطق بها نصف الفترة التي يدوم نطق الحركة البسيطة أو حتى أقل من ذلك وكثيرا ما تخلو هذه الحركات القصيرة للغاية من كل قيمة وظائفية إذ أن المتكلم لا يشعر بوجودها وترسم هذه الحركات بواسطة علامة الحركات البسيطة المناسبة ولكن بخط أصغر حجما وفوق السطر على النحو التالي : u, e, a

– الخيشومية : يطلق لفظ "خيشومية" على الحركات التي ينخفض غشاء الحنك عند النطق بها فيمر جزء من الهواء من الأنف : نحو قولهم في الفرنسية un - on - ain - an ويقابل الحركات الخيشومية الحركات الفموية وهي التي يستعلي غشاء الحنك عند النطق بها فيمر جميع النفس من الفم فقط.

وترسم هذه الحركات بواسطة العلامة (~) وتسمى (tilde) (تيلْدْ) مكتوبة فوق علامة الحركة الفموية المناسبة : فترسم الكلمات الفرنسية المذكورة أعلاه مثلا هكذ : ã - ẽ - õ - ẽ

الظواهر التعاملية

قد تؤثر الحروف أو الحركات في نطق الحركات المجاورة لها فينتج عن ذلك تغييرات مختلفة تلحق هذا النطق. فقد يطرأ على الحركات ما يطرا على الحروف من عمليات صوتية مثل التماثل والتباين والقلب نحو ما وقع في العربية من تأثير حركة في حركة أخرى على سبيل التجانس في قولهم "في رِجْلِهِ" عوض قولهم" في رِجْلِهُ". وكذلك من المحتمل

كثيرا أن سبب قولهم في العربيـة "إبراهيم" بكسـر الهمـزة في حين أن هذا الاسم هـو في العبـريـة "أبـرهيـم" (ᵓAbrāhām) بفتح الهمـزة هو حـدوث عملـية تباين بين حركتيـن وأما القلـب فمثـال من أمثلتـه الجيـدة قولهم "المَرْأة" و"امْرَأة" بتبادل الفتحـة والـراء مكانيهمـا من كلمـة الى كلمـــة.

2 — نظام الحركات في السامية. — في حدود ما يمكننا الآن الاعتماد عليه في حكمنـا يـبـدو ان السـامية كـان فيهـا نظام حركي بسيط جدا ينحصـر في ثلاث حـركـــات تجيء كل واحدة منهـا اما طويلـة واما قصيرة ويمكن تصويـر هذا النظـام هكذا .

ā   a

ū   ī   u   i

3 — نظـــام الحركـات في العربيـة القديمـة

لقد احتفظت العربية القديمـة بهذا النظـام الحركي البسيط للغاية احتفاظا كامـلا تقريبـا : فينحصـر نظامهـا في ثلاثـة أجراس ويكون لـكل جرس منها صورتان اما قصيرة أو طويلـة . ولذا يمكن أن نصوره كما صورنـا نظام السامية تماما اي هـكذا :

ــَـا   ــَـ

ـِي   ــُـو   ــِـ   ــُـ

فقـد كان في العربيـة الفصحى صنفان من أصناف المـواضع أي حركات خلفيـة مستديـرة هي الضمة والضمـة الطويلـة وحركـــات أماميـة منفرجـة هي الـكسرة والـكسرة الطويلـة وأمـا الفتحـة والفتحـة الطويلـة فهمـا وسيطتان من حيث علم الاصوات وخارجتان عن أصناف المواضع من حيث علم وظائف الأصوات وذلك لانّــه لا وجود لحركـــات أخرى من نفس درجات انفتاحهما.

وكان في العربية أيضا درجتان من درجات الانفتاح فالـكسرة والـكسرة الطويلة والضمـة والضمـة الطويلة حركات منغلقـة بينما الفتحـة والفتحـة الطويلـة حركتان منفتحتـان .

ولم يكن في العربية حركات خيشومية – على الأقل من الناحية النظرية فاجتماع أصناف المواضع ودرجات الانفتاح كاف لاحداث ذلك النظام المثلث المتكون من ثلاثة أجراس المذكور أعلاه وعلاوة على ذلك فقد كان في العربية القديمة مداءان حركيان هما الحركات القصيرة أي الضمة والفتحة والكسرة ويقابلها الحركات الطويلة وهي الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة. وكان لهذه المقابلة بين مدى قصير ومدى طويل في الحركات أعظم دور في إيقاع اللغة.

ولننظر الآن في نظرية النحاة العرب فيما يتعلق بنظامهم الحركي. ويطلق هؤلاء النحاة على ما يسمى في الفرنسية " voyelle brève " اسم : حركة وتجمع على "حركات". ومعنى ذلك أنها "حركة الحرف" ويدل هذا اللفظ دلالة واضحة على أنهم كانوا يعتبرون الحركة القصيرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحرف السابق لها فالحركة القصيرة هي إذن عندهم مجرد ذيل للحرف : وقد أفضى هذا الاعتبار شيئا من الغموض على كامل نظريتهم الصوتية .

ويميز النحاة العرب تمييزا صحيحا بين ثلاثة أجراس حركية أساسية الفتح أي (a) والكسر أي (i) والضم أي (u) بل ويذكرون عند الاقتضاء أضربا ثانوية أخرى من الأجراس كالإمالة والتفخيم والإشمام وسنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد .

ويعتبر هؤلاء النحاة الحركات الطويلة ناتجة عن اجتماع حركة قصيرة وواحدة من أنصاف الحركات أي الواو أو الياء او الألف ولذلك تسمى انصاف الحركات هذه عندهم : حروف المد اى حروف مد الحركات السابقة. وبعبارة اخرى كانو يعتبرون الحركات الطويلة حركات مزدوجة على النحو التالي : بالاحرف اللاتينية ū = uw و ī = iy و ā = a والألف. وسنرى فيما بعد أن لهذه النظرية ما يبررها جزئيا من الناحية الوظائفية. والحركات الطويلة عرضة لمختلف الاعتلالات في الجرس مثل الإمالة والتفخيم والإشمام اكثر من الحركات القصيرة .

وقد تصير الحركات الطويلة في بعض الظروف المعينة عند تلاوة

القرآن حركات طويلة للغاية فيبلغ مداها احيانا عدة ثوان.

ونجد من ناحية اخرى في بعض المواقع منذ العربية القديمة بعض الحركات القصيرة للغاية سماها النحاة رَوْمًا او اختلاسا بل وحتى إشماما.

ولذا فسندرس نظام الحركات في العربية في ثلاثة ابواب اساسية هي الحركات الطويلة والحركات المزدوجة ثم الحركات القصيرة ثم الحركات القصيرة للغاية.

وقد اكتفى النحاة العرب بملاحظة طروء الظواهر التعاملية على الحركات ولم ينظموا تلك الظواهر في نظرية عامة شبيهة بنظريتهم في "الادغام" المتعلق بالحروف وسندرس هذه الظواهر التعاملية الطارئة على الحركات داخل كل باب من الأبواب الأساسية الثلاثة المذ دورة اعلاه كما فعلنا ذلك بالنسبة إلى الحروف.

4 — انظمة الحركات في مختلف الألسن الدارجة العربية

لقد طرأت في الألسن الدارجة العربية تغبيرات مختلفة على نظام الحركات العربي القديم منها — اولا — التغيرات الطارئة على الأجراس إذ ان التغييرات الجرسية المعروفة في العربية القديمة قد تطورت وزاد عددها إلا انّه ليس لها في الأغلب اية قيمة وظائفية

وثانيا: التغييرات الطارئة على "المدى" فلئن ثبتت الحركات الطويلة في العادة ثبوتا يكاد يكون كاملا فإن كثيرا من الحركات القصيرة إما اصبحت حركات قصيرة للغاية وإما سقطت بينما نشأ عدد من حركات الفصل القصيرة للغاية او القصيرة في مواقع مختلفة. فنتج عن ذلك ان اعتل تركيب المقاطع في كثير من الألفاظ اعتلالا ذا بال وان حوّر ايقاع اللغة الكمي نفسه تحورا جزئيا.

الحركـات الطويـلة

كان في السامية كما سبق لنا ان راينا ثلاث حركـــات طويلـة هي : ـــُو — ـــَا — ـــِي وقد احتفظت العربيـة القديمـة بهذا النظـام الحركي الثلاثي احتفاظـا كاليـا. وسندرسـه من اربع حيثيـــات هي : الرسم والـكمية والأجـراس والقيمـة الوظـائفيـة .

أ) الرســم : ينحدر الخط العربي عن إحدى الخطوط الآراميـة هو الخط النبطي (ا) . وكانت الـــواو واليـاء في الخط النبطـي (كفـي سائـــر الخطوط الآراميـة) تستعمـلان لرسم الضمـة الطويلـة "ـُو" والـكسرة الطويلة "ـِي" سواء في آخـر الكلمات او في وسطهـا ولذلك تسمى الواو واليـاء باللاتـينيـــة "امـي الـقـراءة" (matres lectionis) الا انـهـم كـانوا لا يرسمـون الفتحـة الطويلـة "ـَـا" بهذا الخط الا إذا وقعت آخرا فيرسمونهـا بواسطـة علامـة الحرف الشديـد الأقصي حلقي (اى الهمـزة) (وقد ضعف ذلك الحرف عندهم ضعفـا بالغـا) ويسمـى "الألـب" (leʾālap)

وقد طور الخط العربي الخط النبطي في هذا السياق فأحدث نظامـا منطقيـا لرسم الحركات الطويلـة وذلك باستعمـال الـــواو واليـاء لرسم الـضمـة الطـويـلـة والـكسرة الطـويـلـة وباستعمـال الألـف لـرسم

(ا) النبط قوم أغلبهم عربى الأصل كونوا من القرن الأول قبل المسيـــح الى القرن الأول بعده دولة من أصحاب القوافل والتجار وامتدت هذه الدولة على تخوم سوريا وفلسطين بما فى ذلك حوران والأردن وقسم كبير من الحجاز • ويبدو أن **لغـة تخـاطبهم** كانت العربية الا أنهم كانوا يستعملون فى كتابتهم لغـة حرفـائهم من سوريـا وفلسطيـن أى **الآراميـة** • لكن النصوص الآرامية التى كتبوها قد احتوت على عدة تعابير خاصة بالعربية بل ويمكن اعتبار لغة بعض هذه النصوص عربية • وفعـلا فان أول نص معروف هو مرقومة « النمارة » (شرقى جبل الدروز) المـؤرخة فى سنة 328 (بعد المسيح) وهى نصب تذكارى عن مـوت امـرىء القيس « ملك جميع العرب » وهى محررة بالخط النبطى ولكن باللغة العربية (عدا بعض الجزئيات) •

الفتحة الطويلة اذا وقعت آخرا وكذلك اذا وقعت وسطا : وهكذا تكون نظام ما سموه "حروف المد".

الا ان هذا النظام لم يتكون من اول وهلة فلم نرهم استعملوا الالف لرسم الفتحة الطويلة داخل الكلمات في نصوصهم الاولى : ومثال ذلك انعدام هذه الالف الوسطى من مرقومة "النمارة" ومن اقدم مخطوطات القرآن.بل واهمال الالف الوسطى من كتابة بعض الكلمات الكثيرة الاستعمال امر جائز حتى الآن في رسم الفصحى من ذلك " الله" و"اله" و"رحمن" "وهذا" و"ذلك" و" لكن" و"قيامة" ... الخ .

على انه يجوز رسم الالف في هذه الحال فوق هذه الكلمات في صورة خط عمودي صغير.

وكذلك اهملوا رسم الكسرة الطويلة في آخر كلمة "هذه" وكذلك رسموا ضمة طويلة قديمة في صورة واو ممدودة في اسم الاشارة للجمع "الأولى" ومشتقاته وذلك رغم ان الضمة فيه قصيرة وسنرى بعد هذا عدة امثلة قصرت الحركات الطويلة فيها تقصيرا ومع هذا فقد استمروا في رسمها طويلة .

ب) الكمّية :

جاء في نص هام للقارىء ذكره "برافمان" في "مواد... ص 13 مايلي : "الألف" (اى الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين والواو من ضمتين والياء من كسرتين" وفي هذا النص دليل اساسي على ان الناطقين بالعربية يشعرون بان الحركة الطويلة تضاهي حركتين قصيرتين وذلك كما يفعل الناطقون بلغات اخرى يلعب الإيقاع الكمي فيها دورا اساسيا.

وقد ثبتت كمية الحركات الطويلة السامية القديمة عادة في العربية القديمة ومرد ذلك الى كون هذه الحركات الطويلة القديمة تمثل مبدئيا اقوى قسم من اقسام نظام الحركات .

بيد ان هذه الحركات الطويلة تنزع إلى القصر إذا وقعت في المقاطع المنغلقة (1). من ذلك قولهم في الأجوف في صيغ الأمر وصيغ المضارع المجزوم التي لا تنتهي بزوائد خلفية عنصرها الأول حركة "نَمْ" و"يَنَمْ"(من المضارع "يَنَامُ") و"قُمْ"و"يَقُمْ"(من المضارع المرفوع "يَقُومُ") و"سِرْ" و"يَسِرْ" (من المضارع المرفوع يَسِيرُ) فقد صيروا الحركة الطويلة في كل ذلك الى حركة قصيرة.

ويقع مثل ذلك في الحركة الطويلة إذا كانت في كلمة مضاف اليها او حرف جر وكان المضاف او المجرور يبتدىء بحرفين نحو قولهم "ذُو الحِمَارِ"تنطق "ذُو لْحِمَارِ" وقولهم "في البَيْتِ"تنطق "فِلْبَيْتِ".

إلا ان تقصير الحركات الطويلة لا يقع إذا خشي به ان يؤدي الى الإلتباس من ذلك ان الفتحة الطويلة التي بعد التاء في قولهم "حلَقَتَا البِطَانِ" تبقى طويلة إذ لو صارت قصيرة لأدى ذلك إلى الإلتباس بـ"حَلَقَةَ البِطَانِ" من قولهم "رايت حلقَةَ البطان"

وكذلك ثبتت الحركات الطويلة إذا وقعت قبل حرف مضاعف من ذلك الصيغ التي عينها ولامها من جنس واحد كقولهم : "الدَابَّة" (واصله دابِبَة) و"مادّ" (واصله مَادِدَ) و"لا الضَّالِّين" (واصله ولا الضَّالِلِين).

وكذلك تثبت الحركة الطويلة في صيغة : "افْعَالّ" كقولهم : "اصْفَارّ". واخيرا فان الحركات الطويلة تثبت كذلك في المقاطع التي صارت منغلقة من جراء سقوط حركاتها النهائية عند الوقف نحو قوله "هُدًى لِلمُتَّقِينْ" (قرآن II ، 1) عوض هُدًى لِلمُتَّقِينَ (بروكلمان "المختصر" I ، ص 63).

وقد تقصر بعض الحركات الآخرة فيما يبدو وذلك في بعض الحالات الخاصة من ذلك ان الفتحة الطويلة في ضمير المتكلم المنفصل "انَا"

(1) لنذكر بأن لفظ « مقطع منغلق » يطلق على كل مقطع ينتهي بحرف وأن لفظ « مقطع منفتح » يطلق على كل مقطع ينتهي بحركة مثال ذلك قولك « قتلت » فالمقطع الأول فيه أي « ق » والمقطع الأخير أي « ت » مقطعان منفتحان بينما المقطع الثاني منه أي « تل » مقطع منغلق .

(وضمـان طولهـا في العربيـة القديمـة وجـود حركـة خلفيـة نصف منغلقة طويلـة (ō) في نفس الضميـر في العبرانيـة وهو : "أنوخي" (ᵓanōḫī) تقصـر عادة وخاصـة في الشعـر على ان سيبويـه يذكـر (حسب ابن يعيش IX ، ص 83) ان نافعـا كان يقرأ بفتحـة طويلة قولـه : "أَنَـا أُحْيِي وَأُمِيـتُ" (قـرآن II ، 260) وقـولـه : "انـا آتيك بـه" (قـرآن XXVII 39—40) وعن ابن يعيش في نفس المرجع ان سيبويـه ذكر ايضـا ابياتـا مختلفـة من الشعـر يكـون تقطيـع ضميـر المخاطب المنفصـل فيهـا هـكذا:(u —) (اي انـا بفتحـة طويلـة بعـد النـــون) .

وقد تقصر في الشعر احيانا الفتحة الطويلـة في ضميـر المتكلميـن المتصل "نَـا" وفي ضميـر المتكلمين في الماضي "نَـا" (انظر بروكلمـان : المختصر : I ، ص 74) وكـذلك يجـوز تـقصيـر الفتحـة الطويلـة في اسم الاشارة المبهم "ما" اذا كان مسبوقا بحرف من حـروف الجر نحو قولـهم : "بِـمَ" و"لِـمَ" و"حَتَّامَ" و"إلاَمَ" ... الخ .

وكذلك يجوز تقصيـر الـكسرة الطويلة إذا وقعت آخرا وذلك قولهم "للأَيْـدِ" في "للأَيْـدِي "(قرآن XXXVII ، 16) و"نَبْـغِ" في "نَبْغِـي" (قرآن XVIII ، 63) وقد ذكـر النحاة جـــواز قـراءة "القـاضِ" عوض "القـاضِي" و"الـرَّامِ" عـوض "الـرامِـي". وكان النافع وابن العلاء يقرآن "من يهـدِ اللهُ فـهو المهتـدِ" عوض "المهتدي" (قرآن XVIII 16) : انظـر الزمخشري — ابن يعيش IX ، ص 74—75 وبروكلمـان : المختصـر : I ص 75 حيث يذكـر بعض امثلـة اخرى مستقـاة من الشعـر خاصـــة .

وعن بروكلمـان ايضـا ان ضمائر الرفع المتحـرك في الماضي اي "تَ" و"تُ" و"تِ" كانت حركاتهـا طويلـة في البداية ثم قصرت فيمـا بعـد. وسننظـر فيمـا بعد اي في باب "المقطـع والنبـرة والإيقـاع" في بعض الحالات التي يبدو ان كمية الحركـة الاخيرة التابعـة للزوائـد الخلفيـة فيهـا مرتبطـة بكميـة المقطع السابق .

وقد يزاد في التجويـد على طول الحركـات الطويلـة فتنقلب حركات

طويلة للغاية بل وقد يتعدى مداها في مقاطع الوقف الثانية انظر فيما يتعلق بهذه الزيادة في طول الحركات وتسمّى مدّا — ما جاء عند أ. بريتزل علم التجويد في مجلة "اسلاميكا" (Islamica) VI ص : 300—303، وعند برافمان : مواد ... ص 76—81.

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فان الحركات الطويلة القديمة قد ثبتت عادة ثبوتا كاملا : فتكاد لا تسقط البتة. واما الصيغ التي مثل "وَادْ" (wād) (وهي "وادي" (wādī) في اللهجات الشرقية) و"بَازْ" (bāz) (وهي البازي في الفصحى) و"مَاشْ" (māš) في لهجة تونس (وهي ماشي (māšī) في لهجات اخرى) ... الخ فليست صيغا دارجة حديثة وانما مرجعها الى صيغ وقف كانت موجودة منذ العربية القديمة. انظر في هذا و. مارسي : اولاد ابراهيم ص 45.

وقد سقطت بعض الحركات الطويلة القديمة الأخرى من نهاية الكلمة وذلك لأسباب صرفية : فقولهم "مُوسْ" (mūs) في اكثر اللهجات عوض "مُوسَى" في الفصحى كانهم ارادوا به المذكر باعتبار موسى مؤنثا. وكذلك فيما نعتقد ينبغي تفسير قولهم "جُمَادْ" (žumād) عوض "جُمَادَى" واما "بِالسِّيَاسْ" (bes-syās) عوض بالسِّيَاسَة و"فِي سَاعْ" (fī-sāc) عوض "في ساعة" فكأنهم اعتبروها صيغا قصيرة إلى جانب صيغ مطولة بالفتحة ... الخ (و. مارسي نفس المرجع).

ولئن كان سقوط الحركات الطويلة القديمة امرا شاذا قل ما يكون لأسباب صوتية فإن تقصيرها كثير بالعكس في اللهجات المغربية : فكما تنزع الى إسقاط الحركات القصيرة في المقاطع المنغلقة (وسنرى ذلك فيما بعد) فكذلك تنزع الى تقصير الحركات الطويلة القديمة ويقع هذا التقصير خاصة :

أ) في آخر الكلمات مطلقا نحو قولهم : "انْسَ" (nsā) في "انْسَى" اي" نَسِيَ".

ب) في جوار بعض الحروف كوقوعها آخرا قبل العين او الحاء

نحو قولهم في كثير من اللهجات الحضرية "صْبَعْ" (ṣbaᶜ) و"ذْرَعْ" (draᶜ) و"كْرَعْ" (kraᶜ) و"جْنَحْ" (ǧnaḥ) في "صْبَاعْ" (ṣbāᶜ) (اي اصبع) و"ذْرَاعْ" (drāᶜ) (اي ذراع) و"كْرَاعْ" (krāᶜ) (اي كراع) و"جْنَاحْ" (ǧnāḥ) (اي جناح) ومن ثم قالوا "صُبْعِي" (ṣöbᶜi) و"ذِرْعِي" (derᶜi) و"كِرْعِي" (kerᶜi)و"جِنْحُ" (ǧenḥo) في "صْبَاعِي" (ṣbāᶜi) و"ذْرَاعِي" (drāᶜi)و"كْرَاعِي" (krāᶜi) و"جْنَاحُ" (ǧnāḥo) (اي جناحه) .

ج) واحيانا إذا وقعت اول عنصر من عنصري الحركات المزدوجة نحو قولهم "كَيِنْ" (käin) دون كَايِنْ (kāin) عادة

د) واحيانا إذا وقعت في مقطع منغلق نحو قولهم "انُقلّكْ" nqöllek (عوض "نْقُولْكْ" (nqōllek) (اي أقول لك).

هـ) وإذا وقعت كلمة تحتوي على حركة طويلة اخرى : نزعت الحركة الطويلة التي لا تقع عليها النبرة الى القصر نحو قولهم "كَنُونْ" (känūn) و"فِرَانْ" (firān) و"مُخُودْ" (muḫūd) في "كَانُونْ" (kānūn) و"فِيرَانْ" (fīrān) و"مُوخُودْ" (mūḫūd) (اي كانون وهو المجمرة وفيران وماخوذ).

واخيرا فإنه يبدو ان مدى الحركات الطويلة القديمة كثيرا ما يكون متعلقا بطول بقية الكلمة الواقعة بعدها : فكلما كانت الحركة الطويلة اقرب من نهاية الكلمة كانت اطول : انظر فيما يتعلق بهذه القواعد ما جاء عند م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 134—138، اذ ان هذه القواعد لا تنطبق على هذه اللهجة فقط بل وايضا على كثير من لهجات المغرب العربي الأخرى.

ج) الاجـــراس

يجتهد الخط العبري في رسم جميع الأجراس الحركية بدقة تشبه دقة كتابتنا الصوتية وبخلاف ذلك فإن الرسم العربي رسم وظائفي اي انه

لا يراعى فيه الا المقابلات الجرسية التي تميز بين الصيغ النحوية او الالفاظ. ولذلك اكتفوا بثلاثة اجراس اساسية من الحركات الطويلة اى "ـَا" و"ـِي" و"ـُو".

الا ان النحاة العرب قد شعروا شعورا كاملا بأن هذه الاجراس انما هي اجراس وظائفية وان في النطق بكل منها فُوَيْـرِقَاتْ صوتية.

وقد اهتدوا إلى ثلاثة انواع من هذه التغييرات في اجراس الحركات هي : الإمالة والتفخيم وتختصان بالفتحة الطويلة "ـَا" من جهة والإشمام ويختص بالكسرة الطويلة "ـِي" من جهة اخرى ويقول النحاة العرب ان الامالة هي جنوح بالألف إلى صوت الياء (وبالفتحة إلى صوت الكسرة). ونقول اليوم في اصطلاحاتنا الصوتية إن الامالة هي نطق الفتحة (ـَ) نطقا اماميا فيقترب مخرجها من مخرج الـ " e " في الفرنسية بل وحتى الـ " i ".

وينبغي الرجوع في ما يتعلق بهذه المسألة الهامة إلى : سيبويه II ، ص 279—294، والزمخشري — ابن يعيش : IX ، ص 53—66 والداني: "التيسير" ص 46—53 و م. ت. غرونرت (M. Th.Grünert) الامالة اي "الأوْملَوْطْ" (1) في العربية في "تقرير جلسات اكادمية فينة" — قسم الفيلولوجيا والتاريخ L XXXI ، ص 447—542 .
«Die Imàla, der Umlaut in Arabischen», in SbWA Phil. hist. Klasse
ي.كرباسك (J. Karabacek) "في معرفة الأُوْملَوْطْ" (اى الامالة) في العربية «Zur Kenntnis des Umlautes in Arabischen» in Mitteil a. d. Samml d. Pap. Erzh. Rainer . V. 62- 9 : ص وي . بارت (J. Barth) وأ. فيشر (A. Fischer) ال " e " في السامية الاصلية (Ursemitische«e») الصادر في مجلة جمعية الاستشراق الألمانية (ZDMG) LIX ص 633—671

— وشر. سَرَاوْ (Chr. Sarauw) : انقسام في الألسن الدارجة

---

(1) الأُوْمَلَوْطْ (der Umlaut) لفظة المانية تطلق على الحركات الممالة فى الالمانية — المترجم .

في العربية القديمة في "مجلة الدارسات الأشورية "
Die altarabische Dialektspaltung in ZA. XXI ص 31—49

— وك. فولرس : لغة الشعب K. Vollers, «Volkssprache" ص 15—18

— ح. ماتسون : لسان بيروت العربي الدارج العلمي ص 65—72
Dialecte arabe vulgaire de Beyrouth - H. Mattsson

— و. ماتسون : فصل "إمالة" في دائرة المعارف الاسلامية II ،
Encyclopédie de l'Islam - art. «Imala» - E. Mattsson. 502 ص.

— وأ. شاده : علم الاصوات عند سيبويه ص 35—45.
Sibawaihis Lautlehre A. Schaade

— وبروكلمان : المختصر ...، ص 141—142 Brockelmann Grundriss

— وبرافمان : مواد... ص 34—35 (Bravmann - Materialen p. 34—35)

— ونولدكه (برغشتراسر—براتزل) تاريخ القرآن: III ص 36ـ41—و197
Noldeke (Bergstrasser - Pretzl), Geschichte des Korans, III, : 198—

— وأ. برتزل : علم التجويد في اسلاميكا VI ص 318—326
O. Pretzl, « Die Wissenschaft der Koranlesung » - Islamica VI,

ويميز النحاة العرب بين الأمالة الشديدة او "المحضة" اى إمالة تبلغ الـ " e " (وهي حركة امامية نصف منغلقة) بل وحتى الـ" i " (اى الكسرة) وبين "إمالة بين بين" او "المتوسطة" يكون الصوت فيها بين الفتحة (a) والكسرة (i) اى (ä) في المرجح.

ولهم نظريات في اسباب الامالة فهم يعتبرونها ظاهرة مقيدة : فالذى ينحو بالألف نحو الكسرة عندهم هو وجود ياء اصلية في الكلمة او وجود ياء او كسرة في المقطع المجاور للالف. وعرض سيبويه لهذه المسألة عرض مبين : فقد زعم ان الالف تمال اولا اذا كان في المقطع الموالي لها كسرة نحو "عابِد" و"عالِم" و"مساجِد" و"مفاتِح"

و"عـذافِر" (تقال في الجمل القـوي) و"هابِيل" وثانيا – إذا كان في المقطع السابق لها كسرة نحو "عِمـاد" و"كِـلاب" و"سِـربـال" (وهو القميص او الدرع) و"شِمـلال" (وهي الناقة السريعة) – واخيرا إذا كان في اصل الكلمة ياء من ذلك نطقـهم بالامالة في ماضي الأفعال الناقصة اليائية نحو "بكَى" و"رمَى" و"مشَى" كذلك في الأسماء المقصـورة التي تنتهـي بألـف مقصورة اصلها ياء نحو "حبلَى" و"معزَى" وكذلك في ماضي الأجوف اليائي نحو "بَاد" (اي اضمحل) و"فَـال" (اي ضعف) و"نَـابَ" (اي ضربه على نابه) ... الخ .

ولنا ان نتردد في قبول هذا التفسير إذ هو لا يطابق الأمثلة الواردة في لغة التخاطب وإذ ان تطبيقهم له على كثير من الحالات الخاصة كان اقرب إلى البراعة منه الى إرضاء العقل والدليل على ذلك انهم اضطروا في تفسير إمالة "غـزَا" و"صفَا" و"دعَـا" وهي افعال ناقصة واوية إلى الركون إلى صيغة المبني المجهول نحو "غُـزِيَ" او إلى صيغ المزيد نحو "اغْزَى" (بالـف مقصورة اصلها ياء) وذلك لأن في هذه الصيغ ياء وكذلك اضطروا في تفسير إمالة "مَاتَ" واصله مَوَتَ بالواو إلى الالتجاء إلى صيغة المتكلم في الماضي وهي "مِتُّ" وذلك لاحتـواء هذه الصيغة على كسرة. ومن ذلك يظهر ما في مثل هذه التفسيرات من تكلف ولما لم يمكنهم الالتجاء إلى هذا النوع من التفسير في بعض الحالات الأخرى نحو حالة إمالة كلمة "الحَجَّاج" فقد اضطروا إلى الاكتفاء بقولهم ان امالة الحجاج راجع الى استعمال اكثر العرب (انظر سيبويه II : 285) وهو افضل.

وليس معنى ذلك ان السبب الذي ذكروه للامالة باطل محض (فهناك لغات تصير فيها الفتحة الى فتحة ممالة إمالة خفيفة (ä) او شديدة (e) وذلك بتأثير كسرة (i) موجودة في مقطع مجاور من ذلك عملية "الأوملوط" في اللغات الجرمانية مثلا).

الا ان هذا التفسير لا ينطبق على حالة اللغة العربية فيجب اعتبار الامالة ظاهرة مطلقة تصيب جميع الفتحات الطويلة (على انه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة والفتحات الطويلة الواقعة آخرها) ما لم يطرأ عليها مانع من موانع الامالة .

ولئن لم يوفق النحاة العرب في تفسيرهم لاسباب الامالة فإننا بالعكس نوافقهم تمام الموافقة في ضبطهم لموانع الامالة اى الحروف التي إذا جاورت الألف منعت امالتها وهي الحروف السبعة المستعلية الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والخاء والغين وكذلك الحرفان المفخمان في بعض مواقعهما اى الراء واللام. ومن الملاحظ ان الحاء والعين لم يذكرا عادة في قائمة موانع الامالة .

ولا يبطل مفعول هذه الحروف في منع الإمالة إلا القياس فقد جاء في تعليم سيبويه وجوب قراءة "قاعد" و"غائب" و"خامد" و"صاعد" وطائف" "وضامن" و"ظالِم" (II ص 285) وكذلك "راشِد" و"والله" بدون إمالة .

إلا ان سيبويه يقول (II ، ص 281) بأنه يجب قراءة "خَاف" بالامالة (رغم وجود الخاء) وذلك لأن في صيغة "خِفْتُ" كسرة وكذلك "طَاب" (للكسرة في طِبْتُ) و"سَار" (للكسرة في سِرْتُ) وفي ذلك ما فيه من الغرابة إذ لا يطابق النطق الحالي البتة .

ولئن كانت الإمالة ظاهرة قديمة (إذ هي تظهر في نقل اسماء الأعلام العربية بأحرف اللغة اليونانية : انظر بروكلمان : المختصر : I ، ص 141) فهي ليست عامة مطلقا فمنذ النصوص الأولى نجد بعض الفوارق بين اللهجات في هذا المضمار. فلم يتفق القراء البتة على الحالات التي تجب إمالة الألف فيها .

فإذا وقعت الألف وسط الكلمة راينا حمزة يقرأ بإمالتها إمالة شديدة وذلك في الأفعال الماضية التي عينها حرف علة نحو "جَاء" و"شَاء" و"زَاد" و"رَان" (ومعناها استولى على) و"خَاف" و"طَاب" و"خَاب" و"حَاق" (اي احاط بـ) و"ضَاق" و"زَاغ" .

واما الكسائي وعاصم (وهما من الكوفة) فلا يميلان إلاّ قوله "بل رَانَ" واما ابن عامر (وهو من دمشق) فلا يميل الا "جَاء" و"شَاء" الخ... (انظر الداني : "التيسير" ص 50—51) وسنرى بعد هذا الفروق في قراءاتهم الألف إذا وقعت آخر الكلمة .

ويذهب فولرس (Vollers) إلى ان الامالة كانت شديدة بصفة خاصة في لهجات شرقي الجزيرة العربية وإلى انّها كانت اخف بكثير في لهجات الحجاز.

وفي اللهجات العربية الحديثة حالات عديدة تمال فيها الفتحة الطويلة داخل الكلمات إلا ان إمالتها إمالة شديدة جدا اى نطقها كالكسرة ظاهرة نادرة على اننا نجد هذه الامالة الشديدة جدا بواحة سخنة شرقي مدينة تدمر نحو قولهم "حيتْسِبْ" (ḥīćeb) في حاجب "وتْسْعِيبْ" (ćᶜīb) في كعَاب (جمع كعب) و"شِيِربْ" (šīreb) في "شَارب" الخ... وقد تكون هذه الإمالة الشديدة جدا قد وجدت ايضا في لهجة غرناطة كما يدل على ذلك رسم بيدْرُودي ألْكَالاَ (Pedro de Alcala) نحو رسمه "لِسِينْ" (licín) في لسان و"بِيبْ" (bíb) في باب و"مَفِيتِحْ" (mafétih) في مفاتح و"سَلِيلِمْ" (çalílim) في "سلاليم" ... الخ .

وبخلاف ذلك فإن إمالة الفتحة الطويلة الى حد نطقها كالـ " e " (اى فتحة ممالة إمالة شديدة ولكن دون بلوغ حد الكسرة) منتشرة انتشارا كبيرا فتمتد في الشرق على منطقة تضم اكثر لبنان (انظر برقشتراسر "الاطلس اللغوي"... الخريطة رقم 6) وجبل الدروز وكذلك نجد الإمالة بواحة تدمر واما بشمال افريقيا فتمال الألف امالة تبلغ حد الـ " e " بجهة عنابة وقد يطرا على الفتحات الطويلة القديمة (ā) التي اميلت فاصبحت " e " طويلة أي (ē) في بعض الجهات عملية "الانفلاق" فتصبح حركة مزدوجة اي كسرة متبوعة بفتحة ممالة امالة شديدة (ie) وذلك اذا كانت النبرة واقعة عليها وذلك قولهم بجزيرة مالطة " تْمِينْ" (tmien) (اى ثمانية) ولكنهم يقولون "تْمِنِينْ" (tmenin) (ثمانين) وكذلك قولهم "تْلِيتْ" (tliet) (ثلاثة) ولكن "تْلِتِينْ" (tletin) (ثلاثين) .

واما الإمالة الضعيفة اي (ä) فكثيرة جدا الى درجة ان البحث عن اللهجات التي لا تقع فيها هذه الإمالة البتة اوْلى من البحث عن اللهجات التي تقع فيها.

ووجود هذا النوع من الامالة آخر الكلمات اكثر من وجودها وسطا وقد كانت تلك هي الحال منذ العربية الفصحى : فحمزة والكسائي (وكلاهما من قراء الكوفة) كانا يميلان جميع الفتحات الطويلة الآخرة التي ترسم بواسطة الألف المقصورة والواردة في الأسماء والأفعال في القرآن (باستثناء الحروف) بل ومن المحتمل ان هذا الرسم (اى الألف المقصورة) كان يستعمل للدلالة على الإمالة اذ ان الفتحات الطويلة الآخرة المرسومة بواسطة الألف الممدودة كانت قلما تسمع مع الفتحات الطويلة الآخرة المرسومة بواسطة الالف المقصورة ويذكر سيبويه (II ، ص 284) ان بعض القراء كانوا يقرأون بامالة الفتحة الطويلة الواردة في آخر الجملة قوله "يضربها" و"منها" و"منّا" و"بنا" وانهم كانوا يقرأون بدون امالة الفتحات الطويلة في نفس تلك الكلمات اذا وردت داخل الجملة نحو "يضربها" و"منا" و"منها" و"بنا".

وتكاثر الإمالة في آخر الكلمات واضح بصفة خاصة في اللهجات الحديثة فاذا قابلنا بين الخريطة رقم 6 والخريطة رقم 8 من "الاطلس اللغوى" لبرقشتراسر اتضح لنا ان انتشار الامالة بسوريا في آخر الكلمات اعظم بكثير من انتشارها بها في وسط الكلمات : مثال ذلك انهم يقولون في لهجات حوران "بِنْسِي" (bense) (اي ينسى) فيميلون فتحة السين ويقولون "بِنْسَاهِي" (bensā-he) (ينساها) فلا يميلون ذلك.

واما بالمغرب العربي فان امالة الفتحة الطويلة تميز بين بعض اللهجات مثل لهجات طرابلس والساحل التونسي وجنوب سكيكدة وصحراء الجزائر ففي مقاطعة مدينة الجزائر مثلا نرى اصحاب لهجات التل ينطقون بفتحة طويلة خالصة او بشيء من الغنة الخيشومية احيانا نحو قولهم "سْمَا" (sma) (سماء) و"قْفَا" (gfa) (قفا) و"نْسَا" (nsa) (نسي) ... الخ بينما نرى اصحاب اللهجات الصحراوية يميلون الفتحة الطويلة في كل ذلك نحو قولهم بالامالة : "سْمِي" (smä) و"قْفِي" (gfä) و"نْسِي" (nsä) الخ وقد يطرا في بعض الاحيان على الفتحات الطويلة القديمة اذا وقعت آخرا واميلت امالة شديدة (اى اصبحت " e ") مثلما يطرا عليها اذا وقعت وسطا من "انفلاق" ولا يكون ذلك الا اذا وقعت النبرة على تلك الفتحات من ذلك قولهم في بعض

لهجات البدو التونسيين (وهي اللهجات التي سميتها (mes «parlers E»)
"ميي ي"(mí^a) (اي ماء) و "مشيي ي"(mšî^a) (أي مشى) و"نسيي ي"(nsí^a)
(اي نسي) و"جري ي ي" (žri^a) (اي جرى) ... الخ.

واذا وقع قبل ذلك حرف من الحروف المفخمة منع تلك الظاهرة الصوتية من ان تحدث بالطبع نحو قولهم "مضى"(mḏā) (مَضَى) ولا يحدث هذا "الانفلاق" الا تحت النبرة ولذلك قالوا (بدون انفلاق) "سِمّي" (sámmā) (لأن النبرة على المقطع الاول) .

وكثيرا ما تطرأ الامالة ايضا على الفتحة السابقة لتاء التانيث (ـَـه) ونحن ندرس هذه الحركة في هذا السياق وان كانت قصيرة وذلك لأنها كثيرا ما تطول وتعتبر طويلة .

فاما في العربية القديمة فان تاء التانيث (ـَـة) كانت تصير الى (ـَـه) عند الوقف ويقول الكسائي انها تمال دائما في ذلك الوضع ويذهب اكثر القراء الاخرين الى ان الامالة لا تحدث اذ ذاك الا اذا كانت علامة التأنيث مسبوقة بحرف من الحروف التالية : الكاف او الهاء او الراء او الهمزة وبشرط ان يكون هذا الحرف منسبوقا بكسرة .

واما في الالسن الدارجة العصرية فان علامة التانيث في الكلمات المؤنثة غير المضافة تكون بصورة الوقف اي : (ـَـه) او مجرد فتحة متبوعة بهاء خفيفة بل بهاء كثيرا ما لا تسمع وذلك حتى داخل الجملة ويطرأ عندئذ على الحركة تطويل تعويضي فتدخلها الإمالة كما تدخل الفتحات الطويلة الآخرة بل وتكون الإمالة اشد منها في الفتحات الطويلة الآخرة .

من ذلك ان علامة التانيث بسوريا وفلسطين والعراق تصير الى فتحة ممالة امالة شديدة (e-) ما لم يسبقها حرف من حروف التفخيم.

وفي حين ان امالة الفتحات الطويلة القديمة امالة شديدة (اي نطقها(e-) اكثر انتشارا وان امالة الفتحات الطويلة في وسط الكلمات قليلة نسبيا.

واما بالمغرب فنجد في بعض الأماكن وفي نفس الظروف الصوتية امالة خفيفة للفتحة التي قبل تاء التانيث (اي $ā^h$- او ā-) كفي البلاد التونسية مثلا وفي لهجات الصحراء الجزائرية .

ويقول نحاة العربية القديمة ان تفخيم الالف هو نطق بعض الفتحات الطويلة كالـ ō (اي " eu " في الفرنسية) وكثيرا ما ترسم هذه الفتحات الطويلة بواسطة الواو من ذلك بالخصوص كلمة "صلاة" و"زكاة" و"حياة" فكانت تنطق "صلُوة" و"زكُوة" و"حيُوة" (ṣalōt , zakōt ḥayōt) انظر سيبويه : II ، ص 452 ، والزمخشري — ابن يعيش X ، 125 و 127 .

وهذا النطق هو عكس الإمالة يعتبره النحاة خاصية دارجة فسيبويه يقول انه من لغة الحجاز وقد تحدث نفس هذه الظاهرة بصفة مقيدة اي بعد الحروف المفخمة : انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : برافمان "مواد" ... ص 35—38 .

ويكثر في الالسن الدارجة العربية دخول جرس خلفي على الفتحة الطويلة القديمة فتصير الى å وذلك اذا كانت بجوار الحروف المفخمة فقد لاحظ و.مارسي عند "اولاد ابراهيم" بمدينة صيدا انهم يقولون "رَاسْ" (rå̄ṣ) و"خطَى" (ḫṭå̄) (اي خَطَأ) و"صَامْ" (ṣå̄m) و"غَاظْ" (ġå̄ḍ) (اي أَغَاظَ) ... الخ ص 37 .كل ذلك بفتحة طويلة خلفية تميل الى الواو وقد اثبتُّ بنفسي في الشرق بمدينة تدمر وجود امثلة مماثلة: انظر "لسان تدمر العربي الدارج " I ، ص 76 .

الا ان هذه الظاهرة هي ظاهرة مقيدة تقييدا شديدا وكثيرة الوجود نوعا ما وبخلاف ذلك فان انتقال جميع الفتحات الطويلة القديمة الى فتحات طويلة ذات جرس خلفي امر نادر الوقوع يظهر في لهجات الفلاحين بمالطة وكذلك في شمال لبنان ويرجع ذلك فيما يرجح الى تاثير الطبقات اللغوية السفلى بتلك الجهات : فمن المعلو م ان الفتحات الطويلة القديمة والتي تقع عليها النبرة تصير في العبرية وفي اللغة الفينيقية الى حركات خلفية نصف منغلقة طويلة (ō) والى ضمات طويلة (ū).

وذلك يفسر في الراجح الأمثلة الموجودة في لغة فلاحي جزيرة مالطة ومن المعلوم كذلك ان الفتحات الطويلة القديمة تنزع في اللغة الارامية "الغربية" القديمة في اللغة السريانية اليعقوبية (syriaque Jacobite) وفي اللهجة الآرامية العصرية بالمعلولة (Maᶜlūla) الى الانقلاب فتحات طويلة خلفية (ā̊) او حركات طويلة خلفية ونصف منغلقة (ō) : وذلك ما يفسر فيما يبدو نطقهم "لْسَان°" (lsān) و"شَاف°" (šāf) بفتحة طويلة خلفية ونجد هذا النطق في وادي قديشة (بشمال لبنان) مثلا .

ويطلق النحاة العرب لفظ "اشمام" (1) على نزعة الكسرة الطويلة احيانا الى الاقتراب من جرس الضمة الطويلة ويذكرون في هذا السياق امثلة مستقاة من الأجوف المبني للمجهول نحو "قِيلَ" و"بِيعَ" و"سِيقَ" ... الخ.

وقد يكون اعتلال جرس الكسرة الطويلة (ī) وانقلابها " ü " او " īᵘ " راجعا الى تذكرهم الصيغة العادية التي يكون عليها الفعل المبني للمجهول نحو قُتِلَ وهي صيغة تحتوي على ضمة في مقطعها الأول أو الى تأثير حرف مجاور مفخم او لهوي او من وسط الحلق انظر فيما يتعلق بهذه المسالة : هول : النحو العربي ص 1476—1484. وبرافمان : مواد ص 38—39، وبرتزل : "قراءة القرآن" ص 299—300 .

وقد وجدت عندهم فيما يظهر نزعة تتمثل في اعلال جرس ضمة طويلة قديمة بتاثير كسرة موجودة في مقطع مجاور. وقد ذكروا في ذلك

---

(1) « الاشمام » لفظ معناه اعارة حرف أو حركة « رائحة » ـ أى في الفرنسية « لون » (teinte) ـ حرف آخر أو حركة أخرى ولذا فان هذا اللفظ يستعمل استعمالات أخرى علاوة على الاستعمال الذى نتحدث عنه أعلاه . فابن يعيش مثلا (X ، ص 127) يتحدث عن « اشمام » الصاد رائحة الزاى : انظر بريتزل « علم التجويد » ص 299 — 300 .

امثلـة نحو(ابْنُ امٍّ) و(مَذْعُورٍ) و(ابْنُ بُورٍ): انظر هول "النحو العربي" ص 1723—1724 وبـرافمـان مـواد ص 39 .

واما فيمـا يتعلـق بالألسـن الدارجـة العصريـة فينبغي الاشارة الى انتقال الـكسرة الطويلـة والضمـة الطويلة القديمـة او المتولـدة عن تخفيف (الحركتين المزدوجتين "ـَيْ" و"ـَوْ") الى حركة امامية نصف منغلقـة طويلة (ē) وحركـة خلفيـة نصف منغلقـة (ō) ذلك اذا كانتـا بجوار الحروف المفخمة واللهـوية وحـروف وسط الحلـق ويقـل هذا الانتقـال في لهجات المغرب العربي. ويقـول و. مارسي في "اولاد ابراهيم" ص 39—41 مدققـا ان هذا الانتقـال يحدث قبل الحـروف المفخمـة واللهـويـة وبعدهـا ولـكنـه لا يحدث الا بعد حروف وسط الحلق وذلك قولهم "صُوفْ" (ṣōf)و"طُولْ" (ṭōl) و"مَسْلُوخْ" (meslōḫ) و"قْلُـوبْ" (gḷōb) و"عُودْ" (ᶜōd) و"يْحُولْ" (iḥōl) واصلها في الفصحى يَحُول و"صقان" (ṣēgān) واصلها في الفصحى سيقان و"رصَـان" (ṛēṣān) واصلهـا صيغـة وهميـة "رِيسَان" اي رؤوس و"حِيلَـه" (ḥēla) واصلهـا في الفصحى "حيلة" و"عِـدان" (ᶜēdān) اي عيدان جمع "عـود"... الخ .

وهناك امثلـة من هذا القبيـل في اكثـر لهجـات المغرب العربي: انظر: اشتمـه (Stumme) في قصص واشعـار مدينـة "طرابلـس الغرب" ص 214، وم. كوهيـن "لهجـة يهـود مدينـة الجزائـر" ص 118—128 ... الخ واما بالشرق فالحالـة في هذا الصـدد اقل وضوحـا فلئن صح ما اثبتـه ماتسون (Mattsson) في "العـربيـة العامية ببيـروت" ص 73 وبـرڤشتـراسـر (Bergstrasser) في لسـان دمشـق الدارج ص 28 من ان للـكسرة الطويلـة وللضمـة الطويلة بجوار الحـروف المفخمـة جرسـا خاصـا فان انتقال هاتين الحركتيـن الى الحركـة الاماميـة نصف المنغلقـة الطويلة (ē) والحركة الخلفيـة نصف المنغلقـة الطويلـة (ō) نـادر : انظر بـروكلمـان "المختصر" I ، ص 196

واما في بعض لهجـات الحضـر بجنوب المغرب العربي مثل لهجات "المسيردة" و"الطـرارة" بالأرياف المحيطـة بمدينـة ندرومـة او لهجـة يهـود فاس فان الضمـة الطويلـة القديمـة اذا جاءت في مقطـع وسطي اصبح

لها جرس خاص يرسم : (ö) وهو جرس وسط بين (eu) في الفرنسية وبين (ü) (وهي الـ u في الفرنسية)

ويذكر بـرونو (L. Brunot) في تعليقات على لهجة يهود فاس العربية («Notes sur le parler arabe des Juifs de Fès») في مجلة هسبيريس(Hespéris) 1936– ص 13، يذكر امثلة تدل على ذلك نحو يُوم (yōm) و"لِيهُود" (lihōd) و"دُولة" (dōla) ومعناه القطيع.. الخ ويبدو ان جوار الحروف المفخمة يمنع هذا الاعتلال في الجرس

د) القيمة الوظائفية

ان كثيرا من الحركات التي هي طويلة من حيث علم الأصوات ليست كذلك من حيث علم وظائف الأصوات من ذلك ان كثيرا من الفتحات الطويلة صوتيا يعتبرها الناطقون ممثلة لـ "ــَوَ" او "ــَيَ" نحو "مَاتَ" ففي شعورهم الباطني يمثل هذا الفعل صيغة مَوَتَ (قارن بلفظة مَوْت) وكذلك "بَاضَتْ" يمثل في شعورهم بَيَضَتْ (قارن بلفظة بَيْض) واذا قارنا بين عدة افعال ماضية على وزن "كتب" تحتم علينا القيام بتحليل من ذلك القبيل وكذلك "بَاب" يمثل في شعورهم "بَوَب" (قارن بالجمع "ابواب") و"نَاب" يمثل في شعورهم "نَيَب" (قارن بالجمع "انياب") .

ويبدو ان الفتحة الطويلة تمثل في تحليلهم النفساني – و–او– ي – وهو اقل من الاول من ذلك انه يبدو ان "ينام" تمثل عندهم صيغة "يَنْوَمُ" (قارن بلفظتي نَوْم ونُوَام) وذلك لان مقارنة تلك الصيغة بقولهم يَلْبَس مثلا او بصيغ المضارع الاخرى التي من نفس الوزن تحتم عليهم هذا التحليل .

ومن باب اولى واحرى ان الكسرة والضمة الطويلتين صوتيا لا تعتبران دائما من ناحية علم وظائف الاصوات ممثلتين لدرجة الكسرة والضمة الطويلة فشعورهم بهاتين الحركتين الطويلتين كانها تمثل كسرة وياء (ــِيْ) او ضمة وواو (ــُوْ) او ياء وكسرة (يِ) او واو وضمة (وُ)

كثير نوعا ما. من ذلك انه يبدو انهم يشعرون في تحليلهم بان كِيسْ (kīs) تمثل كِيْسْ (kiys) (قارن بالجمع اكياس) وبان سوق (sūq) تمثل سُوْقْ (suwq) (قارن بالجمع اسواق) ويبدو من جهة اخرى انهم يشعرون بان "يَمُوتُ" تمثل عندهم "يَمْوُتُ" وبان "تَبِيض" تمثل "تَبْيِضُ" : ومقارنة هاتين الصيغتين بصيغ المضارع التي على وزن "يكتُب" "ويكسِر" تحتم طبعا القيام بتحليل من هذا النوع.

وهذه التحاليل الوظائفية صحيحة ايضا بالنسبة الى اللهجات العربية العصرية.

III) الحركات المزدوجة

كان في السامية حركتان مزدوجتان وكان اول عنصر من عنصريهما قصيرا وهما "ـَيْ" و"ـَوْ" وقد بقيت هاتان الحركتان المزدوجتان في العربية القديمة وترسمان حسب مبادىء الخطوط الآرامية بواسطة الياء والواو مسبوقتين بفتحة وليس في العربية القديمة الا عدد قليل من امثلة اعتلال الحركات المزدوجة : نذكر من ذلك انه يبدو ان الحركة المزدوجة (ـَيْ) اذا كانت في آخر الحروف صارت الى مجرد فتحة طويلة نحو "الى" (اصله إليْ) و"على" (واصله عَليْ) وتظهر الحركة المزدوجة القديمة من جديد في حالة اضافة الحرف الى الضمائر نحو "عَلَيْكَ" الا ان بروكلمان يذهب في "المختصر" ١ ، ص 190 الى انه يجب الانطلاق في هذه المسالة من صيغ تنتهي بفتحة اي "اليَ" و"عَليَ" وذلك حملا على قولهم "فَوْقَ" و"تَحْتَ" ويرى اذن ان ما حدث هو مجرد سقوط الياء بين حركتين وبخلاف ذلك فان مثال "لسْتَ" الى جانب "ليس" يدل على ان ما وقع هو حقيقة انتقال الحركة المزدوجة (ـَيْ) الى مجرد فتحة .

وقليلا ما تسلم الحركات المزدوجة القديمة في الألسن العربية الدارجة .

واما بالشرق فنجدها سالمة بلبنان (انظر برقشتريسر "الاطلس اللغوي" – الخريطة عدد 11) ويذكر فغالي في "كفر عبيدة" ص 83، امثلة نحو قولهم "بَيْتْ" (bayt) "ولَيْلِه" (láyle) و"مَوْتْنَا" (mawtna) و"لَوْنْ" (lawn) ... الخ.

واما بالمغرب العربي فان بقاء الحركات المزدوجة القديمة سالمة سلامة تامة غير مقيدة امر نادر ان لم نقل غير موجود. ولكن وبخلاف ذلك فان هذه الحركات المزدوجة تثبت بعد حروف وسط الحلق اي الحاء والعين نحو قولهم "عَيْنْ" (ᶜayn) و"عَيْبْ" (ᶜayb) و"عَوْرَا" (ᶜawra) و "حَيْثْ" (ḥayṯ) و"حَوْلاَ" (ḥawla) (اي حولاء) الخ...

انظر بالخصوص و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 35 ويلاحظ م. كوهين في "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 119، ان الضمات والكسرات الطويلة القديمة اذا وقعت بعد العين صارت الى "ـَوْ" و"ـَيْ" (au - ai) بحيث لا يمكن التمييز بين "عَوْد" (ᶜawd) (من عَوْد اي حصان وبين عَوْد (ᶜawd) (من عُود (ᶜūd) اي خشب). واخيرا ينبغي الاشارة الى ان بعض الحركات المزدوجة قد تصاغ من جديد وتثبت وذلك لاسباب صرفية : من ذلك ما اثبته و. مارسي بتلمسان ص 36–37 من انهم يقولون : "قَهَوْتْسِي" (qahhautˢi) (من قَهْوَه (qahwa) في حالة عدم الاضافة) وكذلك قولهم "مشَيْتْسَكْ" (meššeitˢek) اي مشَيْتْكْ (mešytek) (من مشْيَه في حالة عدم الاضافة) وذلك قياسا على "بَقَرْتْسِي" (baggartˢi) (اي بقرتي) وكذلك صيغة "يوْصُلْ" (yeuṣol) قياسا على عدد عديد من صيغ المضارع التي من نوع يكْتْسِبْ (yektˢeb) والدليل على ذلك صيغة الجمع يوُوصْلُ (yeuwoṣlo) قياسا على يكّتْسْبُ (yekketˢbu).

ويكثر جدا بقاء الحركات المزدوجة بقاء جزئيا فقط اي ان العنصر الاول منها هو الفتحة يقترب من العنصر الثاني على سبيل التقريب فاذا كان قبل الياء صار حركة امامية نصف منغلقة اي (e) واذا كان قبل الواو صار حركة خلفية نصف منغلقة اي (o) ينزع العنصر الثاني

الى الانقلاب قصيرا للغاية بينما يطول العنصر الاول تطويلا تعويضيا فتصير "ـَيْ" الى (e^{y}) و"ـَوْ" الى (o^{w}) وذلك ما يحدث في بعض لهجات البدو بشمال الجزيرة العربية (انظر كانتينو : "دراسات في بعض لهجات البدو" : I ، ص 47 و II ؛ ص 151—152)

ونجد ذلك ايضا في لهجات البدو الصحراويين بشمال افريقيا من ذلك قولهم "بِيْضَا" (beiḍa) و"طْفَيْلْ" ($tf^{w}eil$) اي طفل صغير و"كْلَيْتْ" (kle'it) اي اكلت و"مُوْتْ" ($mo^{u}t$) اي موت و"نُوْمْ" ($no^{u}m$) اي نوم و"لَوْنْ" ($le^{u}n$) اي لون : انظر أ. دينا (A. Dhina) : تعليقات في صوتيات لهجة الأربـاع وصرفها ص. 317 Notes sur la phonétique et la Morphologie du parler des Arbâ^{c} وكذلك الامر في لهجات الانجاد " hauts-plateaux " وهران : انظر و. مارسي : "اولاد ابراهيم" ص 32—36 .

وهنالك ظاهرة اكثر وقوعا من ذلك وهي تخفيف الحركتين المزدوجتين "ـَيْ" و"ـَوْ" الى حركة امامية طويلة : من ذلك قولهم "بِيتْ" (bēt) وليلْ (lēl) و"يُومْ" (yōm) و"لُونْ" (lōn) ... الخ وهذا العلاج للحركات المزدوجة مطرد او يكاد بالشرق ونحن نجده كذلك بشمال افريقيا ونجد في اكثر اللهجات التي لا تبقى فيها الحركات المزدوجة الا بصفة جزئية بعض الصيغ المحدودة الى حركة امامية نصف منغلقة طويلة اي (ē) والى حركة خلفية نصف منغلقة طويلة اي (ō) وتظهر هذه الصيغ الى جانب الحركات المزدوجة ذات العنصر الثاني القصير للغاية اي $\bar{e}^{y}$ و $\bar{o}^{w}$ وقد اثبت ذلك في لهجات البدو بشمال الجزيرة العربية (انظر كانتينو : نفس المرجع) ونجده كذلك في لهجات البدو بشمال افريقيا وذلك بالانجاد العليا بمنطقة وهران : انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص32 و40 و41 فقد اثبت و. مارسي هناك قولهم "كْبَيِّشْ" ($k^{u}b\bar{e}^{y}\check{s}$) اي كبش صغير و"بِيْتْ" ($b\bar{e}yt$) "ومْشِيْتْ" ($ms\bar{e}^{y}t$) وكذلك اثبت قولهم "فُوقْ" (fōg) و"يُومْ" (yōm) و"شُوكْ" (šōk) عوض فُوْقْ ($f\bar{o}^{w}g$) ويُوْمْ ($y\bar{o}^{w}m$) وشُوْكْ ($\check{s}\bar{o}^{w}k$) وهي الصيغ العادية التي ننتظرها منهم .

وقد التقط "دينا" (نفس المرجع) امثلة مماثلة لذلك في لهجة من لهجات صحراء الجزائر.

وقد يذهبون في تخفيف الحركتين المزدوجتين "ـَيْ" و"ـَوْ" و"ـَوْ" الى ابعد من ذلك.

فكثيرا ما تصير هاتان الحركتان المزدوجتان الى مجرد كسرة طويلة(ī) وضمة طويلة (ū) وذلك بشمال افريقيا في لهجات الحضر وفي لهجات البدو التّلّيّين فتستويان هكذا في الحركتين الطويلتين الاصليتين اللتين لهما نفس الجرس من ذلك قولهم "لِيـل" (līl) في "لَيل" و"بِيت"(bīt) في "بَيْت" و"زيت" (zīt) في "زَيْت" وقولهم "يُوم" (yūm) في "يَوْم" و"لُون" (lūn) في "لَوْن" و"شُوك" (šūk) في "شَوْك" الخ.

ويوجد هذا التخفيف في جميع لهجات الحضر بالمغرب العربي من تونس العاصمة الى الساحل الاطلنطي بالمغرب الاقصى وذلك في لهجات البدو الذين تاثروا بالحضر.

وقد تعتل الحركتان المتولدتان عن الحركتين المزدوجتين القديمتين بدورهما فيدخلهما ظاهرة "الانفلاق" وهو ما يحدث خاصة بشأن الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة (ē) والحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة (ō) فتنفلق الاولى اي(ē) وهي المتولدة عن "ـَيْ" فتصير "يـِيْ" (ye) وذلك في بعض اللهجات العراقية (انظر فيسباخ (weissbach) مجلة الجمعية الاستشراقية L VIII ص 934 Z D M G وانظر كذلك بروكلمان : ا ص 191).

وقد اثبت بنفسي برُمَادي (Rumādi) صيغا كهذه "بْيَات" (byēt) اي "بَيْت" و"لْيَال" (lyēl) اي "لَيْل" و"زْيَان"(zyēn) اي "زَيْن" (اي جميل) و"بْيَاض" (byēḍ) اي "بَيْض" و"دْيَان" (dyēn) اي "دَيْن".

واما في لهجات البدو بالجنوب التونسي فان الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة اي (ē) المتولدة عن "ـَيْ" تنفلق الى "ـِيَ" (i^{a}) (مثلها في ذلك مثل اختها المتولدة عن الفتحة الطويلة انظر اعلاه ص 161) وكذلك تنفلق الحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة المتولدة عن (ـَوْ) فتصير (ـ (u^{a}) وذلك اذا وقعتا في مقطع آخر منبر من

ذلك قولهم: "يُوَمْ" (yuᵃm) في "يَوْمْ" على انهم يقولون "يُومْيِنْ" (yūmiän) اى "يَـوْمَـيْـن" و"يُـومِـي" (yōmi) اى "يَـوْمِيٌّ" وكذلك قـولهم "لِيَلْ" (liᵃl) اى لَيْلٌ على انهم يقولون الى جانب ذلك "لِيلْتِينْ" (liliᵃn) اى "لَيْلَتَيْنِ" و"لِيلَه" (lēläh) اى "ليلـة" : انظـر و. مارسي "حامـة قابس" : معجم الالفاظ.

وقد تـكون بصفـة ثانويـة في الالسن الدارجة العربيـة عـدد ما من الحركـات المزدوجـة يكون العنصـر الاول فيهـا طويـلا اي من نـوع "آي" (āi) و"آو" (āu) فيذكـر و. مارسي من لـهجـة "اولاد ابراهيـم بمدينـة صيـدا" ص 34–35، قـولـهـم "قَـايـدِه" (qāidäh) اى قائـده "و"زْوَايْلِـي" (zwāili) اى "دَوَابِيٌّ" و"جَـاي" (žēi)اي صيغـة اسم الفاعل من جَاءَ يَجِيءُ و"مَـايْدَه" (mēida) اى "مائـدة" الخ. وكذلك يـذكـر و. مـارسي قـولهم "بْقَـاو" (bqāu) اي "بَقُـوا" و"جْـرَاو" (žrāu) جمـع جَرْو (وهو بالفصحى جراء واجر والجمع اجرية) و"جَـاو" (žāu) اى "جاؤوا الخ. وقد ينزع هذا العنصـر الاول الطويل الى القصـر احيانـا فلفظـة حائط في الفصحى يوافقها بتلمسان قولهم "حَيْـط"(ḥaiṭ) وبطرابلس الغرب وتونس العاصمـة قولهم "حِيط" (ḥēṭ) بكسرة تمثل في الحقيقـة حـــركـة امـاميـة نصف منغلقـة طويلـة اى (ē) وكذلك نجد بتلمسان كلمة "بنَّي" (bennai) الى جانب "بنَّاي" (bennāi) اي بنَّاء" وكلمة "يقْرَو" (yeqrau) الى جانب "يقْرَاو" (yeqrāu) اي "يقـرؤون "وكَلمـة "شْـكَيْرِي" (škairi) عوض "شْـكَايْرِي" (škāiri) اى "أَكْيَاسِيٌّ" : انظر و. مـارسي تلمسـان" ص 36 .

ان الحركـات المزدوجـة هي من الناحيـة الصوتية حركات طويلـة يتحـور جرسهـا اثناء النطق بهـا. وبخلاف ذلك فانـه يبدو انـه ليس للحركات المزدوجـة في العربيـة اي وجود خاص من الناحيـة الوظائفيـة فيظهـر انهم يحللـونهـا دائمـا هـكذا : حركـة + نصف حـركـة تقوم مقام حـرف.

فاذا اخذنا لفظةَ كَـ "بَيْتٌ" او "مَشَيْتُ" راينـا أنَّ مجموعة (يْ) فيهمـا تقوم تـمامـا مقـام مجمـوعـة "ـرْ" في قولهم" بَرْق" او مجموعة

"تَل°" في قولهم "قَتَلْت" وكذلك مجموعة "ـَو°" في قولهم "لَوْز" او "غـزَوْت" توافق تماما مجموعة "ـَل°" في قولهم "كَلْب" او "ـَب°" في قولهم "طلَبْت".

ولا يمكن العثور على حركات مزدوجة حقيقة الا في حالات نادرة جدا مثل تناوب حركة طويلة وحركة مزدوجة في علامة المثنى آن ـ ـَيْن

وكذلك الامر في اللغات العربية : فالحركات المزدوجة بها سواء الكاملة او المخففة وسواء اكان عنصرها الاول قصيرا أو طويلا تمثل في شعورهم اللغوي كذلك مجموعات تتركب من : حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف وكذلك يحللون بدون شك علامة التانيث اى "ـ ن°" (ēn) او "ين" (ēYn) نفس ذلك التحليل حملا على بقية الحركات المزدوجة .

IV) الحركات القصيرة

كان في السامية كما سبق ان ذكرناه اعلاه ص 147 ـ ثلاث حركات قصيرة : الضمة والفتحة والكسرة.

وقد احتفظت العربية القديمة بنظام الحركات القصيرة هذه كما احتفظت بنظام الحركات الطويلة السامي احتفاظا ملحوظا. وسندرس الآن رسم هذه الحركات القصيرة وكميتها واجراسها وقيمتها الوظائفية.

1 ـ الرسم :

لم يكن في الخط العربي في اول عهده في القرن الاول للهجرة اية طريقة لرسم الحركات القصيرة ولم يكن يرسم فيه رسما مناسبا الا حركتان طويلتان هما الضمة الطويلة والكسرة الطويلة (واما الفتحة الطويلة فلم تكن ترسم الا في آخر الكلمات)

ولم يهتموا برسم الحركات القصيرة الا في القرن الثامن المسيحي

عندما ارادوا ضبط قراءة القرآن واثباتها اثباتا نهائيا فاقترضوا علامات رسم الحركات القصيرة من الآراميين كما فعلوا ذلك بالنسبة الى نظام خطهم نفسه.

وكان الآراميون يستعملون في رسم الحركات القصيرة طريقتين مختلفتين : فتارة كانوا يستعملون في داخل الكلمة الواو والياء (وهي طريقة اليهود الآراميين (Judéo-Araméens) او حتى الهمزة والعين (وهي طريقة المانديين (Mandéens) فيرسمون بواسطتها الحركات القصيرة منها والطويلة. ويبدو ان العرب لم يتخذوا هذه الطريقة في رسم الحركات القصيرة الا في كلمة واحدة وهي اسم الاشارة "اولى" فقد رسموا الضمة على قصرها في هذه الكلمة بواسطة الواو (انظر اعلاه ص 151) وفعلا فقد كان لهذه الطريقة عائق كبير ذلك انها كانت تضطرهم الى تحوير رسم الكلمات باقحام هذه الحروف ذات القيمة الحركية فيها. فكان من العسير اذن تطبيق هذه الطريقة على كتب مقدسة كانوا يعتبرون منذ البداية نص حروفها نصا مقدسا فيحرمون على انفسهم إضافة أية زائدة اليها فلا اليهود استعملوا هذه الطريقة في التوراة ولا المسلمون استعملوها في القرآن. ولذلك فقد آثروا الطريقة الثانية التي كانت تتمثل في وضع علامات صغيرة لرسم الحركات اما فوق نص الحروف او تحته وقد راينا اعلاه ص : 150 انهم قد استعملوا هذه الطريقة في البداية لرسم الفتحة الطويلة داخل الكلمات وقد اتخذوها ايضا لرسم الحركات القصيرة : فاستعملوا اولا النقط ثم الخطوط الصغيرة ثم آل بهم الامر في النهاية الى اتخاذ النظام الحالي المتركب من ثلاث علامات خاصة برسم ثلاثة اجراس وظائفية ويبدو انهم اخذوا هذه العلامات من الخط السرياني اليعقوبي (المسيحي) فقد تكون علامة الفتحة وهي (ـَـ) ماخوذة عن (ـ) وعلامة الكسرة (ـِـ) عن (ـ) وعلامة الضمة وهي (ـُـ) عن (ـ)

ورغم ما في هذا النظام من وضوح وسهولة فقد قل استعماله في ما عدا القرآن اللهم الا اذا ارادوا ضبط كلمة من الكلمات. فبقيت الكتابة العربية كأنها ضرب من الاختزال يجب فهمه اولا كي تتسنى قراءته. وذلك عيب من اكبر عيوب الخط العربي.

2 — الكميــــــة

علينـا ان ننظـر تحت هذا العنوان في مسالتين متباينتين مسالـة تطويل بعض الحركـــات القصيـرة ومسالـة تحقيـق الحركات القصيـرة او سقوطهـا اذا وقعت في مـواقـع معينـة .

فامـا تطويل بعض الحركـات القصيرة في الاصل فيظهـر بالخصوص في الالسن الدارجة العربيـة الحديثـة (1) وتاثيـر القياس الصرفي او المعجمي في هذا التطـويـل اكبـر من تاثيـر الاصوات فيـه. وبالخصـوص فقليـلا ما يكون تاثير نبرة الكلمـة في هذا السيـاق مفـروغـا منه وان اعتمـدوا عليـه كثيرا في تـفسيـر هذا التطـويـل (انظر بروكلمـان : المختصـر : I ، ص 91—93 وو. مارسي "اولاد ابراهيـم" ص 41 و69—73).

ويمكن اعزاء التطويـلات التي نشاهـدهـا الى الاسباب التاليـة :

أ) الحمل على صيغ اخرى من نفس المـادة : من ذلك انهم يقولون في اكثر لهجاتهم : "زِيدْ" (zīd) (اي زِدْ) و"قُولْ" (qūl) (اي قُلْ) وذلك حملا على قولهم في الجمع "زِيدُ" (zīdu) و"قُولُ" (qūlu) اي "زيـدوا" و"قولوا" .

ب) حاجتـهم الى جعل بعض الكلمات ثلاثيـة وقد كانت ثنائيـة في الاصـل : كـذلك نفسـر قولـهم بمدينـة صيدا "جِيهَـة" (žīha) اي جِهَـة) و"دِييَّـه" (dīya) (اي دية) و"رِييَّه" (rīya) (اي ريـة) و"لُوغَـة" (lōga) (اي لغة) و"كُورَه" (kōra) (اي كُرَه): فالحركة الطويلـة في كل ذلك تمثل في شعورهم اللغوي حرفـا اصليـا معتلا هو عـين الكلمة. ومن ذلك ايضا قولهم "كُولْ" (kūl) (اي كُـلْ) و"خُوذْ" (ḫōḏ) (اي خُـذْ).

ج) اضطرارهم الى اثبات حركـة قصيرة كانت تؤول الى السقوط لو

---

(1) على أن النحاة العرب قد اشاروا احيانـا الى تطويـل يطـرأ على الحركات القصيرة وكانوا يسمونه « اشباعا » : انظر سيبويه : II ، ص 324 .

لم يطيلوها وذلك لوقوعها قصيرة في مقطع منفتح وكان يؤدي سقوطها ذلك اما الى جعل الصيغة ثنائية بعد ان كانت ثلاثية واما الى طمس معالمها الصرفية او الى جعلها عسيرة على النطق.

من ذلك تطويل اهل المغرب العربي في الاكثر الحركة القصيرة الواقعة في مقطع منفتح بعد همزة في الكلمات المهموزة الواو وذلك تحاشيا لجعل الكلمة ثنائية بسقوط الهمزة والحركة المذكورة وكذلك نفسر الصيغ الآتية : "آنا" (ãna) (اي أَنَا) و"آسم" (ãsem) (وفصيحهُ إِسْم واصله : سِمْ) و"آمِس" (ãmes) و"آهِل" (ãhal) (اي أَهْل). ويرجع انفتاح المقطع في الامثلة الثلاثة الاخيرة الى اقحام حركة فاصلة بين الحرفين الآخرين واما الصيغ التي من نوع قول البدو الرحل بالبلاد التونسية "جَابَاتَه" (žãbãtah) (اي جَاءَتْ بِهِ) او قولهم في قسم كبير من شمال افريقيا "ضُرْبَاتُه" (dörbãto) او "ضُرْبَاتَه" (dörbãtah) (اي ضَرَبَتْهُ) ففيها فضل المحافظة محافظة تكاد تكون كاملة على هيئة الصيغة المجردة اي بدون ضمائر وهي هنا "جَابَتْ" (žãbãt) و"ضُرْبَتْ" (dörbat) وكذلك الضمائر المنفصلة ذات الفتحة الزائدة لتكثير الكلمة وهي : "هُووَ" (hũwa) و"هِيِيَ" (hĩya) و"هوما" (hũma) (ويوافقها في الفصحى "هُوَ" و"هِيَ" و"هُمْ") تكون حركتها الاولى طويلة وجوبا وذلك لانها لو بقيت قصيرة لسقطت ولاصبحت العلاقة بين هذه الضمائر المطولة وبين صيغ الضمائر المخففة اي "ـهُ" و"ـه" و"هُـمْ" غير واضحة وكذلك الامر في صيغة "هُمْ" فكثيرا ما تطول حركتها فتصبح "هُومْ" (hũm) وذلك بتاثير صيغة "هُومَا" (hũma) واخيرا فان قولهم بمصر "تَسْلِيَه" (taslĩya) (اي تسلية) و"تَسْوِيَه" (taswĩya) (اي تسويه) يرجع تطويل الكسرة فيه اولا الى انه لو سقطت الكسرة لادى ذلك الى ظهور مجموعتين عسيرتين على النطق لانعدام حركة فاصلة منها "س ل ي" و"س و ي" وثانيا الى كثرة الصيغ التي تنتهي بـ "يِيَه" في اللغة.

د) الرغبة في المحافظة قدر المستطاع على سلامة بعض الكلمات الفصحى التي فيها حركات قصيرة واقعة في مقطع منفتح : من ذلك قولهم "نَابِي" (nãbi) (وفصيحهُ نَبِي) و"مَالِكْ" (mãlek) (وفصيحهُ ملك) و"حِيزِبْ" (ḥezeb) (وفصيحة حِزْب) ومن ذلك بلا شك

قولهم ايضا : "عَاصُرْ" (ᶜāṣoṛ) (وفصيحةُ عصر اى الصلاة) و"مَاصُرْ" (māṣoṛ) (وفصيحة مَصْر – مصْر) و"عَادِلْ" (ᶜādel) (وفصيحةُ عدل وهو عون القاضي) و"عَاهُدْ" (ᶜāhŏd) (وفصيحةٌ عهد) الخ

ولعله يجب ايضا ان نفسر بنفس الكيفية صيغ الجمع التي من نوع "قُوتَالَه" (qūtāla) (وفصيحة قتلاء) و"فُوقَاهَه" (fūqāhā) (وفصيحةُ فقهاء) و"عُولاَمَه" (ᶜōlāma) (وفصيحةُ علماء) بل وحتى صيغة "رُوفَاقَه" (rūfāga) (اي رفاق) : انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 134—135 .

ان مسالة ثبوت الحركات القصيرة اذا وقعت مواقع معينة او سقوطها مسالة جد متشعبة فالامثلة مختلفة من لهجة الى لهجة ولسنا واثقين دائما من امكان تاويل هذه الامثلة تاويلا صحيحا.

أ) اذا وقعت الحركات القصيرة في مقطع منغلق (1) اثبتت عادة في اكثر اللهجات : مثال ذلك ثبوت الحركتين في قولهم "مَنْجِلْ" (mengĕl) (وفصيحه منْجَل) و"قُنْفُدْ" (gonfod) (وفصيحه قنفد) ويكاد يكون ثبوتها هناك مطردا في جميع اللهجات اللهم الا بالطبع اذا صار المقطع منفتحا اما بدخول زائدة خلفية على الكلمة او باقحام حركة فاصلة فيها (انظر ما سياتي في هذا فيما بعد)

الا ان الحركات القصيرة بشمال افريقيا وبالاخص بالمغرب الاقصى تصير بسهولة قصيرة للغاية وذلك اذا وقعت في مقطع منغلق وخاصة اذا لم تقع عليها النبرة : ويرجع ذلك فيما يظهر الى سرعة نطقهم الكبيرة في هذه اللهجات.وقد تسقط تماما وذلك اذا وقعت في مقطع منغلق وبين حرفين يكونان مجموعة يسيرة على النطق يسرا يجعل احدهما كانه يجذب الآخر اليه من ذلك كلمة "حَنَكْ" فقد تصير "حَنْكْ" (ḥank) وكلمة "قَلَم" فقد تصير "قَالْم" (qålm) (اي بفتحة بين الفتحة والضمة نصف المنغلقة اي : å) وليس نجد بالشرق امثلة من هذا القبيل الا لماما.

---

(1) انظر فيما يتعلق بتحديد هذه الاصطلاحات عدى « مقطع منغلق » و « مقطع منفتح » ما سياتى فى ذلك فى فصل الكلام عن « المقطع والنبرة » .

ب) لقد سقطت الحركات القصيرة من آخر الكلمات منذ عهد قديم جدا. فمنذ العربية الفصحى القديمة كانوا يسقطون هذه الحركات القصيرة عند الوقف اي بعبارة اخرى عند كل قسم من اقسام الجملة (انظر ما بعد.هذا في فصل "المقطع والنبرة") وكذلك تسقط الحركات القصيرة اذا ابتدات الكلمة الموالية بحرف من شانه الادغام في الحرف الأخير من الكلمة السابقة (ويسمى ذلك الادغام الأكبر) نحو "بيَّتَ طَائفة" (قرآن : IV ،83) فكثيرا ما كانوا يقرؤون ذلك هكذا : "بيّطَّائفة" اي باسقاط حركة التاء. ولم تسقط الحركات القصيرة الآخرة في الالسن الدارجة العربية الحديثة عند الوقف فقط بل وايضا في داخل الجملة. ومن العسير الجزم بان هذا الاسقاط قد طرأ على الحركات القصيرة الثلاث في آن واحد فمن الممكن ان تكون الفتحة قد ثبتت زمنا اطول من اختيها الكسرة والضمة.

ج) واذا وقعت الحركات القصيرة في مقطع منفتح وسط الكلمة كانت الامور اشد تعقدا فلا تسقط الحركات القصيرة في هذا الموقع من العربية الفصحى القديمة الا على سبيل الحذف اي اذا وقعت بين حرفين قابلين للادغام في حالة الادغام الكبير نحو "مَسَسَ"— "مَسَّ" و"رَادِدُ"— "رَادٌّ"...الخ.على انه يبدو ان الكسرة السامية القديمة قد سقطت من وسط بعض الكلمات مثل "(ا) بن"(قارن بقولهم في العبرية: "بِنْ" (bẹn) و"(ا) شم" (قارن بقولهم في العبرية : "شِمْ" (šẹm) وكذلك اسم العدد "(ا) ثنان" (قارن بقولهم في الأكادية : "شينا" (šinā) (1).

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فنجد بالعكس كثيرا من الامثلة التي سقطت فيها الحركات القصيرة الواقعة في مقطع منفتح : الا ان هيئة الامثلة في هذا الصدد تختلف من لهجة الى اخرى اختلافا كبيرا. فلنلاحظ اولا ان حظ الحركات القصيرة الثلاث من التعرض الى السقوط ليس واحدا : فكثيرا ما تكون الفتحة اشد ثباتا من الكسرة والضمة. وقد يكون ذلك ناتجا عن ان "الفتحة القصيرة او الطويلة اطول من الكسرة

(1) وعلاوة على ذلك فان النحاة العرب قد تفطنوا الى وجود حركات قصيرة مصغرة سموها « اختلاسا » : انظر ما بعد هنا •

والضمة القصيرتين او الطويلتين" (انظر أ. مايّي (A. Meillet) في فصله "في كمية الحركات المنغلقة" الصادر بـ "مذكرات الجمعية اللغوية بباريس"
«De la quantité des voyelles fermées» in MSL - XV p. 268—265 ص XV
وقد استشهد بذلك "فغالي" في "كفر عبيده" : ص120 Féghali - Kfar abida

فمن الممكن اذن ان نقسم اللهجات الحديثة الى طائفتين كبيرتين :
اولا — اللهجات غير الفارقة (non différentiels) التي تعالج فيها الحركات القصيرة الثلاث الفتحة والكسرة والضمة اذا وقعت في مقطع منفتح علاجا واحدا — وثانيا : اللهجات الفارقة (différentiels) اي التي تسقط فيها الكسرة القصيرة والضمة القصيرة اذا وقعتا في مقطع منفتح بينما تنزع الفتحة الى الثبوت اذا وقعت نفس ذلك الموقع. ويمكن ان نميز داخل كل واحدة من هاتين الطائفتين الكبيرتين بين اقسام فرعية وذلك بحسب دور "نبرة الكلمة" او دور "تتابع المقاطع القصيرة" وسننظر الآن في بعض الامثلة :

فيبدو ان اللهجات غير الفارقة قليلة بالشرق واللهجة الوحيدة التي وصفت وصفا جديا هي لهجة كفر عبيده (بلبنان) وتسقط الحركات القصيرة فيها اذا وقعت في مقطع منفتح الا اذا وقعت عليها نبرة الكلمة فتثبت وذلك قولهم "سْلاَمْ" (slām) (من سَلاَم في الفصحى) و "لْسَانْ" (lsān) (من لِسَان في الفصحى) و "غْرَاب" (ġrab) (من غُرَاب في الفصحى) ولكنهم يقولون "ألِمْ" (ᵓálem) (اي قلم في الفصحى) و "حِرَفْ" (ḥéraf) (وهو حَرْف في الفصحى) و "كُتُب" (kótob) (اي كتب في الفصحى) فتثبت الحركة القصيرة في المقطع المنفتح الاول لوقوعها تحت النبرة .

وبالعكس فان اللهجات الفارقة كثيرة مختلفة الانواع بالشرق وتثبت الفتحة في نوع من هذه الانواع وهو كثير الانتشار في لهجات الحضر ولهجات كبار المدن كبيت المقدس ودمشق وبيروت وحلب وذلك اذا جاءت في مقطع منفتح منبر او غير منبر اي في مقطع قبل النبرة او بعدها. من ذلك قولهم : "مبَارِدْ" (mabāred) (اي جمع مِبْرد) و "مَكْتَبه" (măktābe) (اي مكتبة) .

واذا تتابع مقطعان منفتحان في كل واحد منهما فتحة ثبتا ثبوتا كاملا نحو قولهم : "بَدَنُ" (badano) (اى بدنه) و"بَلَد" (baladi) (اى بلدي) و"بَصَلَه" (baṣale) (اي بَصْلَةٌ) و"بَكَرَ" (bakara) (اى بَكْرَة) (ويعتبرون علامة التانيث وهي الفتحة او الفتحة الممالة امالة شديدة اى (e) طويلة) ومنه ايضا قولهم : "بَقَارَة" (baqārat) (اي بقرات) "وخَشَابَة" (hašābat) (اي خشبات) الخ.

وبخلاف ذلك اذا تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة سقطت فتحة المقطع الثالث وخففت فتحة المقطع الثاني تخفيفا شديدا نحو : "رَقبْتُ" (raqᵉbto) (من رَقَبَة + ه) و"خَشُبْتين" (ḫašᵒbtēn) (من خشبتين). ومن جهة اخرى فان الفتحة القصيرة التي في علامة التانيث تسقط عادة اذا وقعت في مقطع منفتح بخلاف الفتحات الاخرى نحو قولهم : "رُكُبْتي" (rökᵒbti) في "ركبتي".

وبخلاف ذلك فان الكسرة والضمة لا تثبتان في المقاطع المنفتحة الا اذا وقعت عليهما النبرة فان لم تكونا كذلك سقطتا نحو قولهم بالاثبات "رُكَبْ" (rúkab) (اي "ركب" جمع ركبة) ولكنهم يسقطون الضمة في نحو "بْيُوتْ" (byūt) اى "بيوت" وكذلك قولهم بالاثبات "لِحَا" (leḥa)اي لحى جمع لحية) وبالاسقاط "كْلاَبْ" (klāb) (اي كلاب).

وهناك انواع عديدة اخرى من هذه اللهجات. فالكسرة والضمة الواقعتان في المقاطع المنفتحة تسقطان من لهجات الفلاحين بحوران بالمملكة الاردنية وبقسم من فلسطين وذلك حتى اذا كانتا في الظاهر منبرتين سابقا : وذلك قولهم "رْكَبْ" (rkab) (اي جمع ركبة) و"لْحَا" (lḥa) (او لْحِي) (lḥe) بامالة الفتحة امالة شديدة) وهو جمع لحية.

وبخلاف ذلك فان الفتحة تثبت عادة في المقاطع المنفتحة اللهم الا اذا تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة فاذا كان ذلك سقطت حركة المقطع الثاني (لا المقطع الثالث كما كانت الحال اعلاه) نحو "رَقْبَتُ" (ragbato) (اي رقبته) و"خَشْبَتِين" (ḫašbatēn) (اي خشبتين).

وبخلاف ذلك فان فلاحي مدينة تدمر يثبتون جميع الفتحات في حالة تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة يضم كل واحد منها فتحة نحو قولهم "رَقَبَتَهْ" (raqabateʰ) (بامالة فتحة التاء امالة شديدة) وقولهم "خَشَبَتَينْ" (ḫašabatēn) بكسر التاء كسرا ينطق كالفتحة الممالة امالة شديدة. وذلك رغم ان الحالة هناك فيما عدا هذه النقطة مماثلة للحالة بلهجات حوران. وتسقط الكسرة والضمة عادة من المقاطع المنفتحة في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وذلك حتى اذا كان المقطع فيما يظهر قد وقعت عليه النبرة سابقا ولكن هذه اللهجات لا تقبل الا مقطعا منفتحا واحدا فيه فتحة : فاذا تتابعت عدة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة ثبت المقطع الثاني فقط وسقطت سائر المقاطع الاخرى نحو قولهم : "جَمَلْ" (ǧamal) (اي جَمَلٌ) ولكن "جْمُلِي" (ǧmöli) (اي جَمَلي) وقولهم "رْقُبْتِي" (rgobti) (اي رقبتي) و"خْشُبْتِين" (ḫšöbtēn) (اي خشبتين) ... الخ انظر كانتينو "دراسات في بعض لهجات البدو الرحل" I ، ص 52—65 و II ، ص 40—50 .

وبخلاف ذلك فان الباحثين لم يشيروا الى حد الآن الى وجود اية لهجة فارقة بالمغرب العربي : فعلاج جميع الحركات القصيرة الواقعة في المقاطع المنفتحة واحد في جميع اللهجات التي وصفت الى الآن. وتحتفظ لهجة من هذه اللهجات وهي المالطية بالحركات القصيرة المنبرة الواقعة بمقطع منفتح نحو قولهم : "قَمَر" (qámar) و"طُرُق" (tóroq) وقولهم "فِدِ" (fíded) (اي فِضَض في الفصحى ومعناه قطع من فضة).

واما اللهجات الحالية بشمال افريقيا فتنزع الى اسقاط جميع الحركات القصيرة في الاصل اذا وقعت في مقاطع منفتحة نحو قولهم "فْرَسْ" (fras) (وفصيحة فَرَس) و"مْنَافَخْ" (mnāfaḫ) (وفصيحةُ مَنَافخ) و"جْدُدْ" (ždud) (وفصيحةُ "جُدُد") و"قْلُوب" (qlūb) (وفصيحةُ "قُلُوب") و"خْيَام" (ḫyām) (وفصيحةُ "خِيَم") وكْلاَب" (klāb) (وفصيحةُ "كِلاَب") ... الخ. ويظهر ان لهذه الامثلة المذكورة في اماكن مختلفة من كتاب "أُشْتُمَّه" "نحو العربية التونسية"

ما يوافقها في جميع لهجات المغرب العربي. ومن العسير ان نربط هذه الظاهرة عندهم بسرعة نطقهم المفرطة في هذه اللهجات ونلمس هذه السرعة عند الحضريين منهم اكثر مما نلمسها عند البدو الرحل فهل وقع اسقاط الحركات القصيرة داخل الكلمة منذ عهد قديم بالمغرب العربي؟ ان كثيرا من المعطيات تخول لنا ان نشك في ذلك اولاها ثبوت عدد كبير من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة في لهجة غرناطة العربية التي وصفها " بيدرو دي الكالا " (Pedro de Alcala) في اوائل القرن الرابع عشر المسيحي وثانيتها ثبوت تلك الحركات في نصوص مستقاة من لهجة المغرب الاقصى وهي نصوص اقرب عهدا من لهجة غرناطة المذكورة (انظر ج. س. كولين) وثالثتها في النهاية ثبوت عدد كبير من الحركات القصيرة الى يومنا هذا في صورة حركات قصيرة للغاية وذلك في لهجات البدو الرحل بصحراء ولاية الجزائر وخاصة عند اولاد نايل والارباع والشعامبة : فقد سمعت عندهم صيغا مثل "لِسَان" (l^{e}sān) باختلاس كسرة اللام و"كتب" (k^{e}teb) (اي كتب) تنطق كسرة الكاف مختلسة سمعت ذلك عند اناس اميين تماما استعملتهم كمخبرين : قارن ذلك بما جاء عند أ. "دينا" : "تعليقات في صوتيات لهجة الارباع وصرفها" ص 317—318، ولذلك فان سقوط الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة في اكثر لهجات المغرب العربي لا يرجع تاريخها في الارجح الا الى قرنين او ثلاثة قرون.

3 — الأجــــراس

ان اجراس الحركات القصيرة التي لها علامات في الخط العربي هي الاجراس الاساسية الثلاثة فحسب كما هو الشأن بالنسبة الى الحركات الطويلة : وهذه الاجراس الاساسية الثلاثة هي الفتحة والكسرة والضمة وهي في الحقيقة اجراس وظائفية تستعمل للتمييز بين الصيغ النحوية او المعجمية الا ان النحاة العرب قد لاحظوا انه يدخل على هذه الاجراس الوظائفية الثلاثة فريقات مختلفة عند الانجاز الصوتي : وقد ذكروا من ذلك امالة الفتحة اي امالتهم الفتحة نحو الكسرة ونطقهم بها اذن كـ (ä) والفتح الشديد اي الذي ينزع الى الضم اي نطقهم به كـ (å) وقد اعتبروه نطقا مستهجنا اعجميا انظر : برافمان "مواد..." ص 34 و 36.

واخيرا فان النحاة العرب قد ذكروا عدة حالات تقرب فيها الحركات بعضها من بعض واشهر حالات هذا النوع من التقريب هو ادغام ضمير الغائب المتصل : "ـه" وجمعه "هم" : فاذا وقع هذان الضميران بعد كلمة تنتهي بكسرة او بكسرة طويلة او بفتحة متبوعة بياء ساكنة اى بـ"ـيْ" صارت ضمتهما كسرة نحو قولهم : في "رجْلِه" و"قاضيهِم" و"عليْهِم" ... الخ. وقد فسروا عادة صيغتي فعل المَدح وفعل الذم الغريبتين وهما "نِعْمَ" (نَعِمَ ـ نِعِمَ) و"بِئْسَ" (بَئِسَ ـ بِئِسَ) بواسطة هذا النوع من التقريب وكذلك نفسر اعراب كلمة "امْرُؤٌ" "امْرِيءٍ" امْرَأً" بتقريب الحركة الاصلية في الكلمة من حركة الاعراب. وكذلك نفسر ايضا كلمة "ابْنُمُنٌ" "ابنِمِنٍ" "ابنَمَنَ" (انظر بروكلمان : المختصر : I ، ص 180—181 حيث نجد امثلة اخرى لتقريب الحركات وكثيرا ايضا ما تؤثر الحروف المجاورة على اجراس الحركات نذكر من ذلك مثالين فقط :

– اذا كانت عين الفعل او لامه حرفا من حروف وسط الحلق او اقصاه كانت عين المضارع مفتوحة وذلك بتاثير حروف الحلق المذكورة نحو قولهم "يفتَح" و"يفعَل" ... الخ.

– هناك بعض الكلمات في لغات سامية غير العربية حركتها الاصلية كسرة قديمة او فتحة قديمة ويوافقها في العربية كلمات حركتها الاصلية ضمة وذلك لتاثير حرف شفوي يقع بعد تلك الحركة من ذلك كلمة "امّ" (اذ يوافقها في العبرانية "امّ" (ᵓem) وفي الآرامية "امَّا" (ᵓemmā) وكلمة "لُبّ" (اذ يوافقها في العبرانية "لِب" (lẹb) وفي السريانية "لِبَّا" (lebbā) وكلمة "ظُفر" (اذ يوافقها في السريانية "طِبْرا" : (ṭeprā) الخ... انظر فيما يتعلق بتاثير الحروف المجاورة (على الحركات) بروكلمان : "نفس المرجع" ص 194—203.

واما الالسن الدارجة العربية الحديثة فانه يبدو عند اول وهلة ان الاجراس الحركية فيها متعددة ومتنوعة وقد ميز علماء اللهجات الفرنسيون من بين تلك الاجراس عددا عديدا (ويرجع هذا في الراجح الى تاثير لغتنا الفرنسية وهي لغة زاخرة بالاجراس الحركية الى حد بعيد) انظر و. مارسي

في "نصوص طانجة العربية " تعليق عدد 17 وفي "نصوص تكرونه العربية" تعليق عـدد 20 .

ولا شك في ان هذه التمييـزات الدقيقـة صحيحـة من الناحيـة الصوتية الا ان الامر ليس كذلك البتـة من الناحيـة الوظائفيـة فقد لاحظ و. مارسي: ("تـكـرونـة ص XI L XII ") ان "التـونسيـيـن يـقسمــون حــركاتـهم تقسيمـا مختصـرا وهو الفتحـة والضمـة والـكسرة وهم متفقـون عادة على هذا التقسيـم " وفعلا فان الناطقين بالعربية في اكبر قسم من العالم العربي لا يميـزون الآ ن كما لم يميزوا فيمـا مضى -- الا بين ثلاثـة اجراس وظائفية فيمـا يتعلق بالحركات القصيرة. ومن شان هذه الاجراس ان يختلف انجازها الصوتي باختلاف انواع الاصوات المجاورة. بل ويمـكن للمـرء ان يتساءل فيمـا يتعلـق بالجزائـر والمغرب الاقصى هل ان اهل هذيـن القطريـن لم يقصروا الاجراس الواظائفيـة على جرسين فقط اذ ان الـكسرة قد اضمحلت عندهم.

ويتعلـق الانجاز الصوتي لهذه الاجراس الاساسيـة الثلاثة بنوع الحروف المجاورة وباجراس حركات المقاطع المجاورة ولن نفصل القـول في جزئيات هذه الظواهـر الصوتية من تقريب وتبايـن وهي جزئيات تختلـف من لهجة الى اخرى ونكتفي بذكـر الخطوط الاساسيـة في هـذه المسالـة.

أ) ان حرفي وسط الحلـق وهما الحاء والعين — وكذلك احيانـا حرفا اللهـاة وهمـا الخاء والغيـن — ينحوان باجراس الحركات المجاورة نحو الفتحـة .

ب) ان الحروف المفخمـة واحيانـا الحروف اللهويـة وهي الخاء والغين والقاف تؤخر مخرج الحركات المجاورة فتصير هذه الحركات الى (å) و(o) و(u) اي فتحة خلفيـة وحركـة خلفيـة نصف منغلقـة وحركـة خلفيـة منغلقـة .

ج) انِ الحروف الشفويـة وخاصـة الباء والميـم تصيِّر الحركـات المجاورة مستديـرة وتقربهـا من الضمـة.

د) ويكثر نوعا ما العثور على نوع من "انسجام الحركات" اي ان الحركات التابعة لكلمة واحدة تنزع نحو اجراس متقاربة .

ارجع فيما يتعلق بكل هذه المسائل الى بروكلمان "المختصر" I ، ص 145 و181—183 و 194—203 ... الخ ويلخص بروكلمان تلخيصا لا باس به مجموع المسائل المعروفة بهذا الصدد .

V) الحركات القصيرة للغاية والحركات المحدثة

لا يمكن الفصل بين دراسة "الحركات المحدثة" (اي الحركات التي لم توجد في السامية والتي ظهرت في العربية في بعض المواقع من الكلمات او ايضا الحركات التي لم توجد في العربية القديمة والتي ظهرت في اللهجات الحديثة) وبين دراسة الحركات القصيرة للغاية وذلك لان الحركات المحدثة كادت تكون دائما في اول الأمر حركات قصيرة للغاية .

وسندرس الحركات المحدثة والحركات القصيرة للغاية في المواقع الاربعة التالية : في اول الكلمة (اي عادة قبل مجموعة متركبة من حرفين) وفي وسط الكلمة (اي عادة بين عناصر مجموعة متركبة من ثلاثة حروف) وفي المقطع الآخر من الكلمة اي بين الحرفين الاخرين من الكلمة. وفي آخر الكلمة مطلقا اي بين كلمتين متتابعتين .ففي اول الكلمة مطلقا لا تقبل العربية القديمة وجود مجموعة متركبة من حرفين فاذا ابتدات الكلمة بحرفين متتاليين نشأت قبلهما حركة اعتماد وذلك ما يحدث في الفعل اي في صيغة المخاطب من الامر الفعل المجرد نحو "أُكْتُبْ" و "اِفْعَل" وفي ماضي "اِنْفَعَل" وامره ومصدره نحو "اِنْقَتَلَ" "انقتِل" و "اِنْقِتَال" وكذلك ايضا في صيغة "اِفْتَعَل" نحو "اقتَتَل" و "اقتَتِل" و "اَقتِتَال" وصيغة "افعَالّ" نحو "اقتَالّ" و "اقتَالَلَ" و "اقتِلاَل" ... الخ.

وكذلك تنشا حركة الاعتماد المذكورة في عدد ما من الاسماء التي سقطت حركتها الاصلية (انظر صفحة 177) فصار في اولها حرفان متتاليان نحو "ابن" و"ابنم" و"ابنة" و"اسم" و"است" و"امرؤ" و"امرأة".

وتنشأ كذلك في اسم العدد "اثنان" نحو "اثنان" و"اثنتان"(1) ومما تنبغي ملاحظته ان جرس حركة الاعتماد يكاد يكون دائما كسرة ولا يكون ضمة الا في اول صيغ الامر من الفعل المجرد اذا كانت عينه مضمومة (وذلك راجع في الراجح الى "الانسجام بين الحركات") .

وتسقط حركة الاعتماد طبعا اذا لم تكن الكلمة في اول الكلام مطلقا وسبقتها كلمة اخرى وخاصة اذا انتهت الكلمة السابقة بحركة (وسنرى بعد هذا ما يحدث اذا انتهت هذه الكلمة بحرف).

واما من ناحية الرسم فانهم يكتبون حركة الاعتماد بواسطة علامة الالف وثبتت هذه الالف حتى داخل الجملة الا انه يرسم فوقها اذا كانت كذلك علامة خاصة تدعى "الوَصْلَةُ" عوض علامة الحركة.

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فان المجموعات ذات الحرفين قد تعددت في اول الكلمات وذلك من جراء سقوط كثير من الحركات القصيرة .

فاذا كان انغلاق حرفيّ تلك المجموعات متناقصا (اي اذا كان الحرف الاول شديدا والثاني رخوا او مائعا مثلا) ثبت الحرفان عادة لان الالسن الدارجة العربية خلافا للعربية الفصحى تقبل وجود مجموعات ثنائية ذات حرفين بشرط ان يكون نطقها يسيرا. واما اذا كان نطقها عسيرا (اي اذا كان انغلاق الحرف الاول منها مساويا لانغلاق الحرف الثاني او كان انغلاقهما متزايدا فان حركة الاعتماد تنزع اذ ذاك الى الظهور قبل تلك

---

(1) ان حركة « ال » التعريف ليست حركة اعتماد وذلك رغم أنها تعالج فى داخل الجملة علاج حركات الاعتماد ويبدو أن اداة التعريف كانت دائما « هل » و « ال » ثم انها خففت فصارت « ال » .

المجموعات وذلك ان لم تدخل حركة فصل بين عنصريها) (اي بين الحرف الاول والحرف الثاني من تلك المجموعات) من ذلك اننا كثيرا ما نسمعهم يقولون "احْمَار" (ᵒḥmāṛ) وكذلك "حُمار" (ḥᵒmāṛ و "اكْبَار" (ökbāṛ) (اي كبار) وكذلك "كُبَار" (kubāṛ). وامثلة حركات الاعتماد كثيرة جدا في جميع اللهجات : واذا اردت دليلا على هذه الكثرة فيما يتعلق بلهجة الجزائر مثلا فارجع الى الامثلة التي التقطها و. مارسي في كتابه "لهجة اولاد ابراهيم" ص 64–65. ولا تظهر حركة الاعتماد طبعا اذا انتهت الكلمة السابقة بحركة من ذلك انهم يقولون "ارْصَاص" (ᵒṛṣāṣ) اي رصاص ولكنهم يقولون "بَاعُ رْصَاص" (bāᶜuṛṣāṣ) اي باعوا رصاصا .

وقد تصير بعض الحركات التي كانت حركات اعتماد في الماضي قد تصير في احساسهم اللغوي حركات اصلية في الكلمة ففي كثير من اللهجات الشرقية نرى كلمتي "ابن" و"اسم" القديمتين قد آلتا الى "ابِن" (ᵓebᵉn) و"اسِم" (ᵓesᵉm) اي انهما صارتا ثلاثيتين بان الحقت باولهما همزة وبان اصبحت حركة الاعتماد القديمة حركة اصلية .

واما في داخل الكلمة فان حركات الفصل تبرز خاصة بين العنصرين الاولين من مجموعة ذات ثلاثة احرف.

ويكاد ذلك لا يحدث الا في الالسن الدارجة الحديثة لا متناع وجود مثل تلك المجموعات في العربية القديمة ولأنّها تتولد عن سقوط الحركات القصيرة الواقعة في المقاطع المنفتحة (1) ومثال ذلك انه اذا كانت كلمة من الكلمات على الصيغة التالية :

(حرف + حركة + حرف + حرف + حركة + حرف + حركة طويلة)

(1) لقد عرف النحاة العرب وجود الحركات القصيرة للغاية فى داخل الكلمات فهى عندهم حركات قصيرة فى الاصل طرأ عليها « الاختلاس » ويذكر سيبويه (II ص 234) مثالين لذلك هما : « يضربها » (yaḍribᵘha) أى اختلاس ضمة الباء • و « من مأمنك » (min maᵓmanⁱka) أى باختلاس كسرة النون •

صارت اولا على الصيغة الآتية (حرف + حركة + حرف + حرف + حرف + حركة طويلة) وذلك من جراء سقوط الحركة القصيرة الواقعة في مقطع منفتح. ثم انه اذا كانت المجموعة الجديدة المتركبة من ثلاثة احرف عسيرة على النطق برزت حركة فصل قصيرة للغاية في اول الامر — ولكن باحتمال مآلها الى حركة قصيرة عادية — ويكون مكان بروزها بين الحرفين الاولين من المجموعة ذات الثلاثة احرف المذكورة وينتهي بنا المطاف الى الصيغة التالية : (حرف + حركة + حرف + حركة + حرف + حرف + حركة طويلة) (1) مثال ذلك ان صيغة "نَدْرِسُو" (اي ندرس الحنطة) تصير اولا "نَدْرسُو" (nedrsu) ثم "نَدِرْسُ" (ned^ersu) وكذلك صيغة "مُسْلِمِين" تصير "مُسْلْمِين" (moslmīn) ثم "مُسُلْمِين" (mos^ölmīn)

وقد تحدث هذه الظاهرة في جميع اللهجات العربية الغربية منها او الشرقية وقد سماها اول من لاحظها من الاختصاصيين في لهجات المغرب "Aufsprengen" (اوفشبْرانْقَن) بالالمانية (اي تقفيز) و " ressaut " (رسُّو) بالفرنسية (اي قفز) انظر اشتمّه "نحو العربية التونسية" ص 5 وو. مارسي "اللسان الدارج العربي بتلمسان" ص 51 و 52 .

وقد لا تحدث هذه الظاهرة اذا كانت المجموعة المتركبة من ثلاثة أحرف يسيرة على النطق وخاصة اذا كان العنصر الاول منها حرفا مائعا نحو قولهم "نلْبْسُ" (nelbsu) اي نلبس وقولهم "منْجْلي" (menǧli) اي منجلي. الا ان ثمة بعض اللهجات يكون فيها هذا "القفز" مطردا في جميع المواقع فنجد فيها صيغا مثل "نلِبْسُ" (nel^ebsu) و "نْلبْسُ" (nlebsu) و "لّبْسُ" (llebsu) .

(I) وهذه الصيغة هى بنفسها ليست قارة فاذا كانت حركة الفصل حركة قصيرة عادية صارت الحركة الاولى موجودة فى مقطع منفتح فلا يخلو أمرها من اثنتين اما أن تسقط نحو قولهم « مسلمين » (msölmīn) و « ندرس » (ndersu) واما ان يبرز تشديد ثانوى فينغلق به المقطع وتثبت الحركة وذلك نحو قولهم : « مسلمين » (mössölmīn) و « ندرس » (neddersu).

واما اقحام حركة فصل بين الحرفين الآخرين من الكلمة في المقطع الآخر منها فظاهرة قديمة في اللغة وفعلا فان حركات الاعراب في العربية الفصحى تسقط عند الوقف حتى اذا كانت متبوعة بالتنوين (ما عدا في حالة النصب حيث تصير ـًا الى ـَا : انظر ما بعد هذا) .

واذا انتهت الكلمة عندئذ بحرفين حصل تناقض بينها وبين مبدا من مبادي علم الاصوات في العربية وهو عدم قبول هذه اللغة وجود حرفين غير متبوعين بحركة : ولذا تبرز حركة فصل بين ذينك الحرفين وتكون اما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت او من جنس الحركة الاصلية في الكلمة فكلمة "بَكْرٌ" (اي الفتي من الابل) تصير "بَكُر" عند الوقف واذا كانت مكسورة اي "بَكْرٍ" آلت الى "بَكِر" وكذلك "ضَرَبْتَهُ" و"مِنْهُ"...الخ تصيران الى "ضَرَبْتُهْ" و"مِنُهْ" عند الوقف. وخلافا لذلك فان كلمة مثل "عِدْلٌ" (اي مُسَاوٍ وشَبِيهٌ) تصير الى "عِدِلْ" عند الوقف اي ان جرس حركة الفصل فيها من جنس جرس الحَركة الاصلية في الكلمة

ويسمى النوع الاول من حركات الفصل هذه "نقلا" اي اذا كان جرس الحركة الجديدة متعلقا بجرس حركة الاعراب التي سقطت ويسمى النوع الثاني منها "اتباعا" اي اذا كان جرس حركة الفصل متعلقا بجرس الحركة الأصلية في الكلمة ارجع فيما يخص ذينك النوعين الى سيبويه ص 309 و313 والى ابن يعيش : IX ، ص 70–73 وقد آل بهم الامر طبعا الى استعمال صيغ الوقف داخل الجملة فتنافست هذه الصيغ والصيغ العادية فتولد عن ذلك عدد كبير من الصيغ المزدوجة مثل "مَهَل" و"مَهْل" (اي هدوء وبطء) و"شَعَر" و"شَعْر" " (اى ما ينبت على الراس) "وهَدَم" و"هَدْم" (وهو الدم الذي لم يُثْأَرْ له) وكذلك "غَلَب" (مصدر غلب) و"هَرَب" (مصدر هرب) و"طَلَب" (مصدر طَلَب) الى جانب "غَلْب" و"هَرْب" و "طَلْب" وكذلك "أذُن" و"أذْن" و"غُصُن" وغُصْن" وقد يجوز تفسير عدد لا باس به من المزدوجات التي من نوع "قَتَل وقَتْل" او "قُتُل وقُتْل" بنفس تلك الكيفية انظر بوركلمان : "المختصر" : I ، ص 209–210 .

واما في اللهجات الحديثة فان اقحام حركة فصل بين العنصرين الموجودين في مجموعة آخرة ذات حرفين كثير جدا لا سيما وان مثل هذه المجموعات قد تعددت في اللغة من جراء سقوط الحركات الآخرة ولا تثبت هذه المجموعات الا متى كان النطق بها يسيرا اي اذا كان انفتاح عناصرها انفتاحا متناقصا كما هي الحال في المجموعات التي تبتدىء بحرف مائع اوخيشومي او احيانا بحرف النون وهكذا فان "كَلْب" و"سَرْج"و"نَمْس" و"بِنْت" و"كَبْش" تثبت فيها عادة المجموعة الاخرة ذات الحرفين وتسلم. ولكن اذا لم يكن الامر كذلك (اي اذا كانت المجموعة المذكورة عسيرة على النطق) فانهم يقحمون عادة حركة فصل مثال ذلك قولهم في اللهجات الشرقية "جسر" (ǧesᵉr) وفصيحة "جِسْر" و"بَطُن" (baṭᵒn) وفصيحة "بَطْن" و"اذُن" (ᵓödᵒn) وفصيحة "أُذْن" الخ.

وتكون حركة الفصل في لهجات المغرب العربي في العادة حركة قصيرة عادية فتصير الحركة الاصلية واقعة في مقطع منفتح وتصبح عرضة للسقوط مثال ذلك :

"قَبْر" ← "قَبَر" ← "قْبَر"
"رِجْل" ← "رِجِل" ← "رْجِل"
"كُحْل" ← "كُحُل" ← "كْحُل"

وقد سمّوا هذه الظاهرة " Umspringen " (اومشبرنقن) بالالمانية اي طفرة و sursaut (سُرْسُو) بالفرنسية اي رجفةواهتزازة : انظر اشتمه : "نحو العربية التونسية" ص 5 وو. مارسي "اللسان العربي الدارج بتلمسان" ص 47، وتتمثل هذه الظاهرة في اساسها في كون كلمة صيغتها (حرف + حركة + حرف + حرف) تؤول اولا الى : (حرف + حركة + حرف + حركة+حرف) ثم في النهاية الى (حرف + حرف + حركة + حرف) فينبغي اذن عدم الخلط بين ظاهرة "الاهتزاز" هذه وبين ظواهر اخرى مثل انتقال كلمة "فَرَس" الى "فْرَس" اذ ان المرحلة الاولى من ظاهرة "الاهتزاز" معدومة من المثال الاخير.

واما الحركات الآخرة في الكلمة فان سقوطها سقوطا تاما لم يكن دائما مطردا في اللغة القديمة فقد تفطن النحاة العرب الى جانب السقوط

التام — ويسمى تسكينا — الى وجود كيفيات مختلفة في تقليل النطق بهذه الحركات وردها الى حركات قصيرة للغاية. من ذلك ما سموه "رَوْمًا" و"إِشْمَامًا" وهو قصر النطق بالحركة الى مجرد "نية" واشمامها "رائحة" عابرة : انظر فيما يتعلق بهذا سيبويه : II ، ص 308—309 والزمخشري ابن يعيش : IX ، ص 66—70 وشاده : "علم الاصوات عند سيبويه" ص 58—60 والى برافمان : "مواد" ... ص 82—90 .

واذا تتابع لفظان ينتهي اولهما بحرف ويبتدىء ثانيهما بحرفين (مسبوقين في الرسم بوصلة) تحتم ظهور حركة فاصلة طبعا فاذا كان اللفظ الاول ينتهي في الاصل بحركة قد سقطت فانها تظهر من جديد وذلك ما يحدث في ضمائر المخاطبين والغائبين اى : "انتُم" و"كُم" و"هُم" و"هُم" وقد كانت في الاصل: "انتُمُ" و "كُمُ" و"هُمُ" و"هُمُ" : قارن بضمائر اللغة الحبشية الموافقة لها وهي "انتمُو" (ᵓantamū) و"— كَمُو" (kamū) و"— هُمُو" (hōmū) ومثال ذلك قولهم: "انتُمُ الكاذبون" و"لعنهُمُ الله" الخ. وكذلك ترجع الضمة في آخر الكلمة "مُذ" وهي صيغة مقتضبة "لِمُنذُ" وذلك اذا وقعت قبل كلمة تبتدىء بحرفين. واذا لم يكن في آخر اللفظ الاول حركة قط تحتم ظهور حركة فصل بينه وبين اللفظ الثاني المبتدىء بحرفين ويكون جرس هذه الحركة عادة من جنس الكسرة وتكتسب في الرسم في آخر الكلمة الاولى نحو قولهم "قامَتِ الجارية" الا ان هذه الحركة قد تكون ضمة اذا كان في اللفظ الثاني ضمة اصلية نحو قولهم و"قالَتُ ٱخْرُجْ" (قرآن : XII ، 31) غير ان قراءة "قالَتِ ٱخْرُجْ" جائزة ايضا وهي الموجودة في اكثر طبعات القرآن. وقد تكون حركة الفصل هذه فتحة اذا كان الحرف الاول "مِن" وكان الثاني معرفا نحو قولهم "مِنَ الجنَّة" (قرآن C XIV ، 6) بل وقد تكون فتحة كذلك في بعض الاحيان حتى اذا كان اللفظ الاول حرفا آخر غير "مِن" نحو قوله "الف— لام ميمَ الله لا الاه إِلَّا هُوَ" (قرآن : III ، 1) انظر هول : "نحو اللغة العربية الفصحى" : IV ص 1024—1039.
Howel: A Grammar of the classical Arabic Language.

VI) المقطع والنبرة والايقاع

I) المقـطع

1 ـ عمـوميـات صـوتيـة

ان اصدار جملـة من الجمل او لفظا من الالفاظ هو عبارة عن اصدار سلسلـة متتابعـة من الاصوات يتطلب النطـق بهـا القيام بطائفـة من عمليات الانفتـاح والانغـلاق في جهـاز التصويت وان الفتـرة الفاصلـة بين عمليتين من عمليات غلـق جهـاز التصويت (سواء اكـان الغلـق كامـلا او جزئيـا) هي التي تمثـل المقطـع. ويبتدىء المقطـع بصوت واحد اوعـدة اصوات فاتحـة او متفجرة "explosifs" ذات انفتاح متزايد ويمر بمقدار اعلا من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات وينتهي بصوت او عدة اصوات غالقة او حاجزة للهواء (implosifs) ذات انـفـتـــاح متنـاقص مثـال ذلك "تْـرَكْ" (trac) او "پِـرْتْ" (pert) وهما مقطعـان تمثل فيهمـا حرفـا "تْرْ" (tr) او حرف "پ" (p) العنصـر الفاتـح البادىء لهمـا وتمثـل فيهمـا حرف "ك" (c) او حرفـا "رْتْ" (rt) العنصر الغالق المنهي لهـا .

ويمكن التمييـز بين عـدة انواع من المقـاطع واول ما يجب تاكيـد القـول فيـه هي المقابلـة بين المقاطـع المنفتحـة والمقاطـع المنغلقـة وهي مقابلـة لها اهميـة خاصة فالمقطـع المنفتح هو الذي ينتهي بحركـة (طويلة او قصيرة) مثال ذلك في الفرنسية كلمـة "روبـو" (repu) (ومعناهـا شبعان) فمقطعاهـا مقطعان منفتحـان .

والمقطع المنغلـق هو الذي ينتهي بحرف او حـرفيـن (واذا انتهى بحرفيـن سمي احيانـا مقطعـا مزدوج الانغـلاق) مثال ذلك اسم العلـم "فكتـور" (victor) في الفرنسيـة فمقطعاه مقطعان منغلقـان .

وتنقسم المقاطع من حيث المدى الى مقاطع قصيرة ومقاطـع طويلـة:

فالمقطع القصير هو الذي ينتهي بحركة قصيرة (واذن فكل مقطع قصير يكون منفتحا وجوبا) مثال ذلك "قَتَلَ" في العربية متركبة من ثلاثة مقاطع قصيرة .

والمقطع الطويل هو الذي ينتهي بحركة طويلة او بحرف (واذن فكل مقطع منغلق يكون طويلا وُجُوبًا) مثال ذلك ان المقطع الثاني وهو "تَلْ" والمقطع الثالث وهو "نَا" في قولهم في العربية "قَتَلْنَا" مقطعان طويلان .

2) المقطع في العربية القديمة

لن نخوض في مسالة المقطع في اللغة السامية وذلك لانه يبدو ان الحالة التي كانت عليها المقاطع في السامية قد بقيت هي هي في العربية القديمة : فسنكتفي اذن بوصف حالة المقاطع في العربية القديمة وصفا وجيزا .

أ) – يبتدىء المقطع في العربية القديمة بحرف واحد مطلقا واذن فان المجموعة ذات الحرفين اذا كانت في داخل الكلمة تقاسم حرفيها مقطعان متتاليان فينبغي تقطيع كلمة "قَطْرَةٌ" مثلا على النحو التالي : "قَطْ – رَ – تُنْ" ولذلك ايضا امتنع وجود مجموعات ذات حرفين في اول الكلمة : ووجب ان تسبقها حركة اعتماد في وسط الجملة وتربط هذه الحركة وكذلك الحرف الاول من المجموعة ذات الحرفين بالحرف الآخر من الكلمة السابقة فقولهم: "قَامَتِ الجَارِيَةُ" يقطع هكذا "قا – مَ – تِلْ – جَا – رِ – يَ – ةُ".واذا كانت حركة الاعتماد هذه في اول الكلام سبقتها همزة قطع فيقال "ألْجارية" لا "الجارية" .

ب) ينتهي المقطع في العربية القديمة اما بحركة (في حالة المقطع المنفتح) او بحرف واحد (في حالة المقطع المنغلق) ولذلك انعدمت من العربية المقاطع ذات الانغلاق المزدوج وكذلك المجموعات المتركبة من اكثر من حرفين في داخل الكلمة وكذلك ايضا المجموعات ذات الحرفين في آخر الكلمة : واذا ظهرت مجموعات من هذا الصنف الاخير من جراء الوقف وجب اقحام حركة فصل بين الحرفين .

ج) نجد في العربية القديمة مقاطع قصيرة ومقاطعْ طويلة. ويجتنب في الغالب وجود حركة طويلة في مقطع منغلق .

3) المقطع في الالسن الدارجة الحديثة :

لقد حوّروا في الالسن الدارجة الحديثة هذا التركيب المقطعي تحويرا كبيرا .

ففي اول الكلمة بالخصوص يجوز بدء المقطع بمجموعة من الحروف نحو " كْتَبْ" (ktāb) اي كَتَبَ و"قْصَرْ" (qṣar) اي قَصَّرَ. ولا يضطرون الى حركة الاعتماد الا عند التلفظ بالمجموعات الحرفية الاشق على النطق.

ومن ناحية اخرى يجوز في المقطع اذا وقع اولا ان يبتدىء بحركة نحو قولهم "أخْتْ"(uḫt) وقولهم "أخْرَى" (oḫra) اي "أخرى" و"أرْضْ" (arḍ) اي "أرْضٌ"... الخ. الا انه من المحتمل ان الناطقين بالعربية ما زالوا يشعرون في هذه الحال بوجود همزة اولى وان اصبحت لا تسمع لانهم يعتبرون هذه الكلمات ثلاثية واذا وقع المقطع داخل الكلمة امتنع بدؤه بمجموعة ذات حرفين فيما يبدو والراجح في كلمة مثل "مِنْجْلِي" (menǧli) اي مِنْجَلِي ان يكون تقطيعها هكذا : مِنْجْ - لِي (menǧ-li)

– وفعلا فانه يجوز في المقطع حتى اذا وقع آخرا ان ينتهي بمجموعة ذات حرفين نحو قولهم : "كَبْشْ" (käbš) اي "كَبْشٌ" و"قَلْبْ" (gälb) اي "قَلْبٌ" ولا يضطرون الى اقحام حركة فصل بين الحرفين الا في المجموعات الاشق على النطق وكذلك كثرت عندهم المجموعات ذات الحرفين في آخر المقاطع الواقعة داخل الكلمة وفي هذه الحال تثبت هذه المجموعات وتسلم كما في "مِنْجْ - لِي" (menǧ-li) او تقحم حركة فصل قصيرة للغاية بين العنصرين الحرفيين من المجموعة نحو قولهم "نـدرْ – س" (nedᵉr-su) اي "نَدْرُسُ الْحِنْطَةَ" وما دامت هذه الحركة قصيرة للغاية لم تكون مقطعا زائدا ولكنها متى اصبحت حركة قصيرة عادية غيرت تركيب الكلمة المقطعي راسا على عقب

وتولدت من ذلك صيغ مثل " نـدْ – درْ – سُ" (ned-der-su) او " نْدرْسُ" (nder-su) (انظر اعلاه) ومهما يكن من امر فان المقاطع ذات الانغلاق المزدوج والمجموعات ذات الثلاثة احرف قد اصبحت امرا جاريا في الالسن الدارجة.

– لقد اصبحت نسبة المقاطع الطويلة اكثر بكثير في الالسن الدارجة الحديثة منها في اللغة القديمة وذلك من جراء سقوط عدد كثير او قليل من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة وذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة. بل وقد اضمحلت المقاطع القصيرة من لهجات المغرب العربي اضمحلالا تاما فلم يبق الا المقاطع الطويلة وحدها او بالأحرى مقاطع لهانفس المدى على ان المقاطع ذات الانغلاق المزدوج والمقاطع المنغلقة ذات الحركة الطويلة تدخل شيئا من التنوع على المدى المقطعي الذي صار على وتيرة واحدة وذلك لانها اطول بقليل من سائر المقاطع الطويلة.

II) النبرة

1 – عموميات صوتية

ينبغي تحديد النبرة على النحو التالي : النبرة هي اشباع مقطع من المقاطع بان تقوى اما ارتفاعه الموسيقى او شدته او مداه او عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت وذلك بالنسبة الى نفس العناصر في المقاطع المجاورة.

ويجدر العناية بالتمييز بين نبرة الكلمة ونبرة الجملة

2 – النبرة في العربية القديمة

اذا صدقنا ما جاء في اكثر الكتب التي صنفها الاوروبيون في النحو العربي امكننا القول بان مكان نبرة الكلمة في العربية الفصحى معروف وان كانت حقيقة هذه النبرة مجهولة ونجدهم عادة قد وضعوا القاعدة التالية في هذا السياق : تقع النبرة على اول مقطع طويل من الكلمة ابتداء

من آخرها واذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الاول منها ثم ان النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الآخرة وذلك نحو "يقاتلوا" و"قَاتَلَ" "ولم يقاتلوا" (النبرة على " قا ")

الا ان هذه القاعدة لا تعتمد في الحقيقة على اية رواية قديمة فلم يذكرها النحاة العرب الذين وصفوا لغتهم بدقّة بلغت ما بلغت ولا مصنفو كتب التجويد الذين خاضوا في ادق دقائق القراءة القرآنية.

ويبدو حسب ما بيّنه مَايَارْ لاَمْبَارْ (Mayer-Lambert) في " المجلة الاسيوية" 1897 ص: 402—413 : - Journal Asiatique ان المستشرقَيْن "كِرْشْتِنْ" (Kirsten) و"إِرْبَانْيُوسْ" (Erpenius)قد استلهما تلك القاعدة من سماعهما للمثقفين المصريين في اوائل القرن السابع عشر .

وتلعب نبرة الكلمة في اللغات الهند و — اوربية القديمة دورا تمييزيا: فقد تميز هذه النبرة بين الصيغ النحوية او بين الكلمات وذلك بحسب مكان وقوعها منها او بحسب جنسها ولذلك عالج النحاة الهنود واليونانيون واللاتينيون مسالة نبرة الكلمة الموسيقية ومكانها وخلافا لذلك لم نر في العربية ان نبرة الكلمة قد لعبت البتة دورا تمييزيا يذكر ولذلك سكت النحاة العرب عنها .

3 — النبرة في الالسن الدارجة الحديثة

لقد بالغوا في القول باهمية دور نبرة الكلمة في الالسن الدارجة الحديثة مبالغة مفرطة فاعتبروا نبرة الكلمة " المحرك الاول " (deusex machina) في جميع التحويرات التي طرات على التركيب المقطعي وفي الواقع فان نبرة الكلمة ضعيفة في اكثر الالسن الدارجة العربية وليس لدينا برهان قاطع البتة على ان موقعها من الكلمة موقع قار فالانسان يشعر بوجود نبرة جملة اكثر مما يشعر بوجود نبرة كلمة واللهجات الوحيدة التي نبرة الكلمة فيها نبرة قوية مكونة من خليط من الارتفاع الموسيقي ومن الشدة — اي شبيهة في نهاية الامر بالنبرة الايطالية — هي فيما اعرف لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية.

ويبدو ان التركيب المقطعي يتطور في هذه الالسن لمؤثرات لا تمت الى نبرة الكلمة بصلة : فحذف جميع الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة من لهجات المغرب العربي مثلا راجع فيما يظهر الى سرعة نطقهم في هذه اللهجات.

وكذلك يبدو ان اهل اللهجات الشرقية يجتنبون انواعا معينة من تتابع المقاطع القصيرة وكذلك يمكن اعزاء عدد كبير من تضعيف الحروف وتطويل الحركات لا الى النبرة بل الى اسباب صرفية : كحاجتهم الى المحافظة قدر المستطاع على سلامة صيغة نموذجية او رغبتهم في اجتناب تحوير كلمة اخذوها عن اللغة الفصحى القديمة تحويرا مفرطا.

على انه ينبغي الاشارة الى انه قد يكون لنبرة الكلمة تاثير في اجراس الحركات الطويلة : مثال ذلك ان الفتحات الطويلة القديمة (ā) تمال امالة شديدة في لهجات البدو الرحل بالبلاد التونسية وتنفلق فتصير (i^{ä}) وذلك اذا وقعت عليها النبرة واذا كانت غير منبرة فان الامالة تكون بخلاف ذلك إمالة ضعيفة نحو قولهم "نسِي" (nsí^{ä}) اي "نَسِيَ" بامالة الفتحة الطويلة بعد السين امالة شديدة وظهور فتحة مختلسة بعد الياء) و"ينْسَ" (yénsä) بامالة الفتحة الطويلة القديمة بعد السين امالة خفيفة .

وتنفلق الحركات المزدوجة القديمة في نفس هذه اللهجات فتصير "ـَيْ" الى "ـِيَ" (i^{ä}) (اي بفتحة مختلسة بعد الكسرة) وتصير "ـَوْ" الى "ـُوَ" (u^{ä}) (اي بفتحة مختلسة بعد الضمة) وذلك بشرط ان تكون منبرة وان تقع في المقطع الاخر من الكلمة واما اذا وقعت في المقاطع التي من وسط الكلمة وكانت هذه المقاطع منبرة فانها تخفف فتصير "ـَيْ" الى "ـَا" (ē) (اي فتحة طويلة ممالة امالة شديدة) وتصير "ـُوَ" الى "ـُو" (ō) (اي ضمة طويلة نصف منغلقة).

واما اذا وقعت في مقاطع غير منبرة فان تخفيفها يكون على النحو التالي : فاما "ـِيَ" فتصير الى مجرد كسرة طويلة "ـِي" (ī) واما "ـُوَ" فالى مجرد ضمة طويلة (ū)

ولا تطرأ الامالة الشديدة والانفلاق في المالطية الا على الفتحات الطويلة القديمة المنبرة واما غير المنبرة منها فلا يطرأ عليها الانفلاق نحو قولهم : "هلّيل" (halliel) اي سَارِقٌ وجمعه "هلّلين" (hallelin) وقولهم : "قْتِيلْنَا" (qtílna) اي قتلنا" و"قتلنيهم" (qtilníehom) اي قتلناهم وقولهم : "بِدَ" (béda) اي بدأ و"ڤي" (gíe) اي جاء .

III) الايقاع

1 — تعريفه

يمكن تعريف الايقاع هكذا : الايقاع هو تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه فيمكن اذن التحصيل على الايقاع بواسطة وسائل جد مختلفة ففي البيت الشعرى الكلاسيكي الاسكندري في اللغة الفرنسية (Alexandrin) يتكون الايقاع فقط من " القطع" (césure) وهو ارتفاع الصوت عند المقطع السادس من البيت ومن القافية وهي تكرير نفس المقطع الثاني عشر في عدد من الابيات وتنزل الصوت عند ذلك المقطع انظر ج. لوت (G. Lote) "اصول البيت الشعري في الفرنسية" ص 195 : (Les origines du vers français) ونجد في بعض اللغات الاخرى نوعا آخر من الايقاع في المنظوم يعتمد على مقابلات بين مقاطع منبرة ومقاطع غير منبرة في لغات اخرى ايضا بالخصوص في اللغات الهندو —اوربية القديمة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية يكون ايقاع الكلام المنظوم عندهم معتمدا على مقابلات بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة ويسمى "ايقاع كمية" .

وليس هذا الايقاع في الحقيقة مقصورا على المنظوم فحسب بل وقد يدخل المنثور ايضا وذلك متى حاول صاحبه فيه الوصول الى نوع من انسجام الكلام (مثل الفقرات المسجعة عند سيسيرون) .

2 — الايقاع في العربية القديمة

كان الايقـاع فيهـا "ايقـاع كمية" شبيها بالايقـاع في اللغة السنسكريتية الفيديـة (اي لغة الفـداس وهي الـكتب المقدسـة الهنديـة) بالايقـاع في الشعـر الغنائي عند اليونـان. ويعتمـد الايقـاع في العربيـة القديمـة على مقابلات بين مقاطع طويلـة ومقاطع قصيرة تحتوي ايضـا على قافيـة في اواخـر الابيات (انظر ر. برانشفيق : R. Brunschwig : "النظم العربي الـكلاسيكي" في "المجلة الافريقيـة" : 1937 ص 325—344) La versification arabe classique in Revue Africaine 1937 p. 325 - 344

3 — الايقـاع في الالسـن الدارجـة العربيـة الحديثـة

لقد اعتل ايقاع الـكمية فيهـا اعتلالا شديدا وذلك لذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة (الناتج عن سقوط كثير من الحركات القصيرة الواقعـة في مقاطع منفتحـة) بل وقد اضمحـل ايقـاع الـكمية من لهجـات المغرب العربي وذلك لاضمحـلال المقاطع القصيـرة اضمحـلالا صار مـدى جميع المقاطع معه مدى متماثلا. ويبحث الآن اصحاب هـذه اللهجات على نوع آخر من الايقـاع كما وقـع ذلك في اللغـات الرومنيـة اثر اضمحلال الايقـاع الـكمي اللاتيني منهـا.

4 — الوقف في العربيـة القديمـة وفي الالسن الـدارجـة

يقـع المقطـع الاخير من المصـراع او من البيت في الشعـر ومن الجملة او من جزء منهـا في النثـر في موقع خاص يدعى "الـوَقْف" ولا ينتهي المقطـع عند الوقف الا بحرف او بحركـة طويلة ولذلك فان الحركات القصيرة الآخرة تسقط (او تطول في الانـدر) وكذلك تسقط نون التنويـن (وهي نون كانت ضعيفـة نوعا ما فيمـا نعتقـد) وتسقـط الحركـة السابقـة لهـا ان كانت ضمـة او كسرة وتطول ان كانت فتحـة وكذلك تسقط من الفعـل نون التوكيد الخفيفـة وتطول الفتحـة التي قبلهـا وكذلك تبدل تاء التانيث هاء (ـَة — ـَهْ) وتسقط علامة الأعـراب منهـا وامثلة ذلك كلـه قولهم عند الوقف "الدّارْ" في "الدّارُ" و"من الدّارْ" في "من الدّارِ" و"دَارْ" في "دَارٌ" و"من دَارْ" في "من دَارٍ" و"رايت دَارَا" في "رايت دارًا" و"تـكتبَا" في "تكتبَنْ" و"الناقـهْ" في "الناقـةُ". واذا اضطرهم تطبيق

قواعد الوقف الى انهاء الكلمة بمجموعة من الحروف جاز اقحام حركة فصل بين هذه الحروف (انظر اعلاه ص 188). ويجوز كذلك تخفيف الحركات القصيرة الآخرة تخفيفا فقط عوض اسقاطها اسقاطا تاما ويسمي النحاة العرب ذلك التخفيف "رَوْمًا" او "إِشْمَامًا" (انظر اعلاه ص 190).

ويجوز في النهاية تضعيف الحرف الآخر من الكلمة عند الوقف نحو قولهم "خالِدّ" في "خالِدٌ" و "سَبْسَبَّا" في "سَبْسَبًا" : (ارجع فيما يتعلق بالوقف وأثره في الكلام الى سيبويه : II ، ص 306—316 والى الزمخشري — ابن يعيش : IX ، ص 66—90 والى "شاده" : ص 55—63 والى "برافمان" "مواد" ... ص 82—90 .)

ويلحقون هاء يسمونها "هَاءَ السَّكْت" ببعض الحركات الطويلة الآخرة وبالحركات القصيرة غير حركات الاعراب والتي لو سقطت لادى ذلك الى طمس معالم الكلمة وانكار الناس لها. وذلك نحو قولهم "وَاعَجَبَاه" و"لم يَغْزُهْ" (اي لم يغز) و"رَهْ" (الامر من راى) و"تِهْ" (الامر من أتى) انظر سيبويه II ، ص 302—304 والزمخشري — ابن يعيش : IX ، ص 45—48 واخيرا ينبغي الاشارة الى ان ضمير المخاطبة "كِ" يصير "كِشْ" عند بني تميم و"كِسْ" عند بني بكر. ويطلقون على هذه الظاهرة اسم الكشكشة والكسكسة وهو الاسم الذي اطلقوه كذلك على ابدال نفس ذلك الضمير "شِ" و"سِ" انظر الزمخشري — ابن يعيش IX ، ص 48—49.

قـائمة المصـادر والمراجع

1 ــ المـؤلفـون العـرب

ان اكثر الـكتب التي خلفهـا لنا النحاة العرب تحتوى على فقرات خاصة بعلم الاصوات الاّ ان عـدد الذيـن درسوا هذا القسم من النحو دراسة مفصلة ومنظمـة اربعة فيمـا اعلم وهم :

أ) سيبويـه (نهايـة الـقـرن الثاني للهجـرة) "الـكتاب" II ، ص 279—481 طبعـه ديـرنبـورغ (Dérenbourg)

ب) شرح ابن يعيش (553—643 هجريـا) لمفصـل الزمخشري (467—538 هجريـا) وخاصة IX ، ص 53—158 و X ، ص 2—155 مـن طبعـة القـاهـــرة .

ج) شرح الراضي (المتوفى في 684 او 686 هجريا) لشافية ابن الحاجب (570—646 هـ.) وخاصـة ص 114—265 من طبعـة القاهـرة .

د) شرح الجـَـرْبَـرْدي (المتوفى في 746 هجريـا) لشافية ابن الحاجب ايضا. ولما يطبع هذا الـكتاب فيمـا اعلم ولـكنك تجد فقرات هامة منه في كتاب هوّل "نحو اللغـة العربية الفصحى" : المطبوع في الله ابـاد (1883—1911) وخاصـة في : IV ، ص 736—1850 .

وكتاب هُوّلْ هذا هو مجموعـة ضخمـة من نصوص انتخبهـا المؤلف من اكثر من مائة نحوي عربي ويحتوى في الصفحات المذكورة اعلاه على تلخيص نظريـة النحاة العرب في علم الاصوات وهو تلخيص جيد جدا.

والى جانب النحاة يجب ذكر مؤلفي كتب التجويد التي حفظت لنا الى يومنا هذا اهم ما في نظرية النحاة القدامى الصوتية التقليديـة. ومن احسن هذه الـكتب كتاب التيسير للداني (371—444 هـ.) وقد طبعـه ونشره أ. بريتزل سنة 1930 الا ان اصغر الـكتيبـات في هذا الموضوع واقربهـا عهدا تحتوى على عدة تحديـدات صحيحـة وتلخيصات مناسبـة في هذا الميـدان.

2 — المؤلفون الاوروبيـون الذيـن درسوا اصوات العربية القديمـة

تحتوى الـكتب المفصلة في نحو العربية الفصحى مثل كتاب سـلْفَا ستْـرْدْ ى سَاسِـي (Silvestre de Sacy) وكتـاب كسبارى (Caspari) وكتـاب "رَايـْتْ" (Wright) وكتـاب سوسيـن (Socin) ... الخ تحتوى قلنا على بعض الافـكار الاوليـة في علم الاصـوات العربى الا ان علم الاصوات العربى هذا لم يصر الى موضوع بحوث مفـردة خاصة بـه، الا ابتـداء من منتصف القـرن الاخير، ونذكـر من هـذه البحوث بالخصـوص :

— غ. أ. فاليـن : "في اصوات العربية ووصفها" مجلة جمعيـة الاستشـراق الالمـانيـة : 1855 ص 1—69 و 1858 ص 599—665

G.A. Wallin" uber die Laute des Arabischen und ihre Bezeichnung", in Z.D.M.G., 1355, 116?, 1853, p 599 — 665.

— أ. بروكـه "مساهمـة في علم اصوات اللغـة العربيـة" : تقريـرات جلسات اكاديمية العلوم بِفِينَّة. قسم اللغـة والتاريخ : XXXIV ، (1860)

E. Brucke, «Beitrage Zur Lauthehre der arabischen Sprache", S. ber. d. k. Akad. d. Wiss. z. Wien, Phil. hist. kl. XXXIV. (1860)

— ر. لبسيوس : "في اصوات اللغـة العربية وكتابتهـا بالاحرف اللاتينية" مقالات اكـاديميـة برليـن. قسـم فقـه اللغـة والتاريخ (1861).

R. Lepsius: Uber die Arabischen Sparchlaute und deren Umschrift", Abhand. d. Berlin. Akad. Phil-Hist. Kl. 1861.

— ج. ب. فينيـغ : "قواعـد النبرة في الالفاظ العربيـة". اونيبونتي : 1870.

J.B. Wenig: "Regulae de tono vocum arabicarum, oeniponte 1870.

— م. غرونيـرت : "الامالـة" او "الاوملـوط" في العربيـة" :
تقريرات جلسات اكاديمية العلـوم بمدينـة فينـه، قسـم اللغـة والتاريخ : L XXXI (1876) ص 447—491

M. Grunert: "Die Imâla, der Umlaut im Arabischen", S. ber. d. K. Akad d. Wiss. Z. Wien, Phil. Hist. Kl. LXXXI. (1876), p. 447/491.

— ك. فولارس : "نظام الاصوات العربية" في "تقريرات مؤتمر المستشرقين التاسع" : الجزء الثاني، ص. 130—154، لندن 1893.

— K. Vollers: "The system of arabic sounds", in Actes du IX° Congrès des Orientalistes, II. p. 130/154, Londres 1893.

— ميار لمبار : "النبرة في العربية" : في : "المجلة الاسيوية"، 1897، ص. 402—413 .

— Mayer Lambert: "De l'accent en arabe" in "Journal Asiatique", 1897, p. 402/413.

— غ. كمبفماير : "بحوث في النبرة في اللغة العربية" : اعلانات ندوة البحوث الخاصة باللغات الشرقية : (برلين 1908) ص. 1—59 .

— G. Kampffmeyer : "Untersuchung uber den Ton im Arabischen" Mitt. d. Seminars f. Orient, Sprachen, XI. (Berlin 1908) p. 1/59.

— أ. شاده : "علم الاصوات عند سيبويه"، ليدن — 1911 .

— A. Schaade : "SibaWaihi's Lautlehre", Leiden, 1911.

— م. برافمان : "مواد وبحوث في النظريات الصوتية عند العرب"، غوتنغن، 1934.

— M. Bravmann: Materialen und Untersuchungen Zu den Phonetischen Lehren der Araber, Gottingen 1934.

— أ. بريتزل : "علم التجويد" مجلة "اسلاميكا" VI. (1933—1934) ص. 1—47 ، و 230—246 ، و 290—331 .

— O. Pretzl : "Die Wissenschaft der Koranlesung" in Islamica, VI. (1933—1934) p. 1/47, 230/246, 290/331.

— و.ه.ت. غاردنير : "نظرية علماء الاصوات العرب في الحروف والحركات" في مجلة "العالم الاسلامي" XXV (1935) ص. 242—257

— W.H.T. Gairdner: "The arab Phoneticians on the consonants and vowels", in Moslem World. XXV. (1935) p. 242—257.

ويشير كتاب أ. فولارس "لغة الشعب ولغة الكتابة بالجزيرة العربية قديما" الصادر بستراسبورغ سنة 1906

(K. Vollers, Volkssprache und Spriftsprache im alten Arabien, Strasbourg 1906)

الى عـدد كبير من كيفيـات النطق القديم والتي من اصل دارج. وتدرس الـكتب الآتيـة : صوتيـات اللغـة القديمـة وصوتيـات الالسن الدارجـة الحديثة معـا :

* أ. ماتسـون : "دراسات وظائفيـة في اللسان العربى العامي ببيروت". او بْسَالَّـة — 1911

E. Mattsson, "Etudes phonologiques sur le dialecte arabe vulgaire de Beyrouth, Upsala 1911.

* وهـ.ت. غاردنيـر : "صوتيـات العربيـة" اكسفـورد 1925

W.H.T. Gairdner, the phonetics of Arabic, Oxford 1925.

واخيرا فان مؤلف ك. بـروكلمـان : "المختصـر في مقارنـة انحاء اللغـات السامية" الصـادر ببرليـن 1908—1913

C. Brockelmann, Grundriss des vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin 1908 — 1913

يتعرض في بـاب الصوتـيات الساميـة (اى في الجزء 1 ، ص 41—282) الى جميع الامور الهامـة في صوتيات العربيـة الفصحى والدارجـة .

3 — المؤلفـون الاوروبيـون الذيـن درسوا صوتيات الالسن العربية الدارجة الحديثـة: اننا نجد في اكثر المؤلفـات الواصفـة للالسن الدارجـة اشارات الى صوتيات اللـهجـة الموصوفـة ولـن نـذكـر هنـا الا المؤلـفات التي نجد فيهـا دراسة صوتية مفصلـة تفصيـلا كافيـا :

أ) المـؤلفات الخاصـة بالمغـرب العربى :

* هـ. اشتمـه : "نحو العربيـة التونسيـة". ليبزيـغ 1896 — ص 1—6 و"قصص واشعار من مدينـة طرابلـس بشمـال افريقيـا — ليبزيـغ 1898 ص 197—227

H. Stumme, Grammatik des tunisischen Arabisch, Leipzig 1896, p. 1—6 — Marchen und Gedichte aus der Stadt Tripolis in Nordafrica, Leipzig 1898, p. 197 — 227.

* و. مارسى : "اللسان العربى الدارج بتلمسان — باريس 1902 — ص 13—60 و"اللسان العربي الدارج عند اولاد ابراهيم بصيدا" — باريس 1908 ص 5—75 .

W. Marçais, Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, Paris 1902, p. 13—60
Le dialecte arabe des Ulad Brahim de Saida, Paris 1908, p. 5 - 75

* م. كوهين : "لهجة يهود مدينة الجزائر العربية" — باريس 1912 — ص 17—173

M. Cohen, Le parler arabe des Juifs d'Alger, Paris 1912, p. 17 — 173.

* أ. فيشر : صوتيات العربية بالمغرب الاقصى — ليبزيغ 1917 — "ونبرة الكلمة في عربية المغرب الاقص" في اعلانات ندوة البحوث الخاصة باللغات الشرقية II (برلين 1899) ص 275—286 .

A. Fischer, Zur Lautlehre des Marokkanisch — Arabischen, Leipzig, 1917
Zum Wortton in Marokkanischen, Mitteil. d. Seminars f. orient. Sprach. II. (Berlin 1899) p. 275 — 286.

* أ. شتيغر : "مساهمة في صوتيات اللغة الاسبانية — العربية" مدريد 1932

A. Steiger, Contribucion a la fonética del hipano — arabe, Madrid 1932

ب) المؤلفات الخاصة بالشرق العربى

* و. اسبيتا باي، "نحو اللسان العربي العامي الدارج بمصر" ليبزيغ 1880 ص 1—68

W. Spita Bey, Grammatik des arabischen Vulgardialektes von Aegypten, Leipzig, 1880, p. I — 68.

* غ. برغشتريسر : "في اللسان العربى الدراج بدمشق" هانوفر 1924 — ص 4—50 — وجامع الخرائط اللغوى لسوريا وفلسطين في "مجلة الجمعية الالمانية الفلسطينية" XXXVIII (1915)

G. Bergstrasser, Zum arabischen Dialekt von Damascus, Hannover, 1924, p. 4 — 50 Sprachatlas von Syrien und Palastina, in Z.D.P.V., XXXVIII. (1915), carte 1 — 12.

* سيادة م. ت. فغالي : لهجة كفر عبيدة – باريس 1919 ص 1—132
Mgr. M.T. Feghali, Le Parler de Kfar Abida, Paris 1919, p. 1 — 132

* ج. كانتينو : – "لهجة تدمر العربية" بيروت 1934 ص 31—107
و"دراسات في بعض لهجات البد والرحل العرب بالشرق" I ، ص 12—70
و II ص 12—56.

و"لهجات حوران العربية – باريس 1940—1942 ص 78—192

والخرائط رقم 6 الى رقم 30

J. Cantineau : Le dialecte arabe de Palmyre, Beyrouth, 1934, p. 31 — 107
Etudes sur quelques parlers de nomades arabes d'Orient, I, p. 12 — 70; II, p. 12 — 56.
Les parlers arabes du Horan, Paris 1940 — 1942, p. 78 — 192 et cartes 6 — 30.

معجم الالفاظ الاصطلاحية

لقد اثبتنا في هذا المعجم جميع الالفاظ والعبارات الاصطلاحية الواردة في الكتاب المترجم مع ما يقابلها في الأصل الفرنسي ورتبناها ترتيب الأبجدية الفرنسية .

وجميع الفاظ هذا المعجم لها علاقة قريبة أو بعيدة بعلم اللغات عامة وبعلم الاصوات خاصة الا النزر القليل منها مفردات لا صلة لها بهذين العلمين مباشرة اشرنا اليها بان وضعنا نجمة صغيرة بحذائها على النحو التالي : * لسان متحرك : Anche Battante *

ومصادر التراجم المقترحة في المعجم متنوعة : منها الالفاظ الموجودة بعد في نصوص النحاة العرب القدامى المتعلقة بمخارج الحروف والادغام والامالة والابدال ... وخاصة نصوص سيبويه والزمخشري وابن يعيش. وقد استعملنا هذه الالفاظ قدر المستطاع ونبهنا اليها بوضعها بين قوسين هكذا : (تقريب) : Accomodation

ومنها ما وجدناه عند كانتينو نفسه في اول كتابه عند حديثه عن جهاز التصويت ووصف نظرية النحاة العرب فيه ولم نعثر عليه شخصيا في كتبهم. وقد دللنا على هذه الالفاظ بأن رسمنا بعدها حرف (ك) اي كانتينو على النحو التالي :

طبق راس القصبة (ك) : Epiglotte

ومنها الالفاظ المعروفة المتداولة عندنا اليوم بدون ان نعرف لها اصلا يذكر او ان نجدها حتما فى النصوص القديمة وقد اثبتناها فى المعجم عارية من كل إشارة خاصة نحو :

العربية الفصحى : Arabe Classique

ومنها في النهاية ما هو راجع الى مجهودنا الخاص سواء اتفق صدفة مع تراجم موضوعة بعد لم نطلع عليها اوكان ضربا من الانشاء لأول مرة وقد وضعنا علامة على هذه الالفاظ كتابتها بالاحرف الغليظة هكذا :

حركة مزدوجة : Diphtongue

والمترجم يرحب بجميع الملاحظات التي يقدمها له القراء ومستعملو هذا الكتاب بخصوص جميع ما اقترحه من تراجم في هذا المعجم.

A

Abrégé .... مقتضب

Abréviation .... اقتضاب

Accent .... نبرة

Accentué .... منبر

Accomodation .... (تقريب)

Adstrat .... طبقة لغوية مجاورة

Affrication .... الجمع بين الشدة والرخاوة

Affriquée .... شديد ورخو

Akkadien (langue) .... الأكادية (اللغة)

Allongement .... تطويل

Allongement compensatoire .... تطويل تعويضي

Altération .... تغيير (اعتلال)

Alternance .... تناوب

Alternance consonantique .... تناوب حرفي

Alternance vocalique .... تناوب حركي

Alvéolaire .... مغارزي

* Anche (Battante) .... * لسان (متحرك)

Antérieure (voyelle) .... امامية (حركة)

Aperture .... انفتاح

Aperture croissante .... انفتاح متزايد

Aperture décroissante .... انفتاح متناقص

Apicale .... طرفي (ذولقي ـ أسلي)

Appareil .... جهاز

Appareil phonatoire .... جهاز التصويت

Arabe .... العربية

Arabe ancien .... العربية القديمة

Arabe classique .... العربية الفصحى

Arabe dialectal .... العربية الدارجة

Arabe littéral .... العربية الفصحى

Arabe moderne .... العربية الحديثة العصرية

Arabe vulgaire .... العربية العامية

Arrière d' (voyelle) .... خلفية (حركة)

Arrondie (voyelle) .... مستديرة (حركة)

* Arrondissement .... دائرة *

Articulation .... تفصيل النطق

Aspirée .... نَفَسِي - (هَاوٍ)

Assimilation .... تجانس - (ادغام)

Assimilation partielle .... ادغام (تقريب)

Assimilation progressive .... ادغام تَقَدُّمِي

Assimilation régressive .... ادغام رجْعِي

Assimilation à distance .... تجانس المنفصلين

Assimilation de deux
Consommes identiques .... (ادغام المتماثلين)

Assimilation de deux consommes

proches (points et modes d'articula- (ادغام المتقاربين)
tion proches) .... (أى حرفين مخرجاهما وصفاتهما متقاربة)

Assimilation de deux consommes si-
milaires(mêmes points d'articulation .... (ادغام المتجانسين)

et modes d'articulation différents). (أى حرفين مخرجها واحد وصفاتهما متباينة)

Assyrien (langue) .... الآشورية (اللغة)

Assyro — babylonien (langue) .... الآشورية البابلية (اللغة)

Atone (syllabe) .... غير مُنَبَّر (مقطع)

Avant (d') (voyelle) .... امامية (حركة)

B

Babylonien (langue) .... البابلية (اللغة)

Battant .... متحرك

Bilabiale .... (من بين الشفتين)

Bouche .... فـم

Brève (voyelle, syllabe) .... قصيـر (حركـة ـ مقطـع)

Buccal .... فمـوى

C

Cananéen (langue) .... الكنعانية (اللغـة)

Canine (s) .... نـاب (أنـيـاب)

Cavité buccale .... (غـار الفـم)

Césure .... قطـع

Chuintante (consonne) .... مُشَـأْشَـأٌ (حـرف)

Chuintement .... شَـأْشَـأَةٌ

Classes de localisation .... اصنـاف المواضـع

Combinatoire .... تَعَـامُلي

* Commune .... * دائـرة بلـدية

*Commune mixte .... * دائـرة مختلطـة

*Commune de plein exercice .... * دائـرة ذات التصـرف الفـرنسى البحت

Compensatoire .... تعـويضى

Complexe .... مـركب

Complexe consonantique .... مـركب حَـرْفي

Complexe vocalique .... مـركب حَرَكِـي

Conditionné .... (مُقَيَّـد)

Consonantique .... حَـرْفي

Consonantisme .... نظـام الحـروف أو حـرفية

Consonne (s) .... حـرف (حـروف)

Continue (consonne) .... (زمـانى) (حـرف)

Cordes vocales .... اوتـار صـوتية

Croissant .... متـزايد

D

Décroissant .... متنـاقص

Degrés d'aperture .... درجـات الانفتـاح

Dent (s)	سن (أسنان)
Dentale (consonne)	اسناني (حرف)
* Département	* مُقَاطَعَة
Dialecte	لسان دارج
Dialectal	دارج
Dialectologie	الأَلْسُنِيَّةُ
Dialectologue	عالم فى الألسنية
Diphtongue	حركة مزدوجة
Dissimilation	تَبَايُنٌ
Disjonction	(فصل)
Distinctif	تَمِييزِى
Dorsale (consonne)	ظهرى (حرف)
Doublets	صيغ مزدوجة
Duo	زوج ـ مجموعة ثنائية
Durative (consonne)	(زمانى) (حرف)
Durée	مدى

E

Emission (de sons)	اصدار (الأصوات)
Emphase	(تفخيم) أو (اطباق أو استعلاء او تسمين او تغليظ)
Emphatique	(مفخم) أو (مطبق او مستعل او مسمن او مغلظ)
Emphatique (non)	غير مفخم او (مرقق او مستفل او منخفض او منفتح)
Elargissement	(تكثير)
Epiglotte	طبق رأس القصبة (ك)
Etirée (voyelle)	منفرجة (حركة)

F

Fait (s)	مثال (امثلة) مسالة (مسائل) امر (امور)
Fermant (phonème)	غالق (صوت)

Fermée (voyelle) .... منغلقة (حركة)

Fermeture .... انغلاق

Fermeture décroissante .... انغلاق متناقص

Fermeture croissante .... انغلاق متزايد

Fosses nasales .... خياشيم) (جمع خيشوم)

Fracture .... انفلاق

Fricative .... (بين الشدة والرخاوة) ـ دَعْكِي

Friction .... دَعْكٌ

G

Gémination .... (تضعيف ـ مضاعفة ـ تشديد)

Géminée (consonne) .... (مضعف ـ مضاعف ـ مشدد) (حرف)

Gencive (s) .... (لِثَةٌ) (لثات)

Généralités .... عموميات

Germaniques (langues) .... جرمانية (لغات)

Gingivale (consonne) .... (لِثَوِي) (حرف)

Glossaire .... معجم الالفاظ

Glotte .... راس القصبة (ك)

Graphie .... رسم

H

Hébreu (langue) .... العبرانية (اللغة)

Hauteur (musicale) .... ارتفاع (موسيقى)

I

Implosif (phonème) .... حاجز للهواء (صوت)

Incisive (s) .... (ثنية) (ثنيتان ـ ثنايا)

Incisives inférieures .... (ثنايا سفلى)

Incisives supérieures .... (ثنايا عليا)

Inconditionné .... (مُطْلَق)

Informateur .... مُخْبِر

Inflexion .... (إِمَالة)

Inscription (s) .... مرقوم (موقومات)

Intensité .... شدة

Interdentale (consonne) .... من بين الاسنان (حرف)

J

Jacobite (langue) .... اليعقوبية (اللغة)

L

Labiale (consonne) .... شفوى (حرف)

Labio — dentale (consonne) .... شفوى - اسنانى (حرف)

Langue .... لغة

Langue (s) romanes .... لُغَاتٌ رُوْمَنِيَّةٌ

Langue (organe) .... لسان (الانسان)

Larynx .... (حلق) - حنجرة (ك)

Laryngale (consonne) .... حلقى (حرف)

Latérale (consonne) .... (انحرافى) - جانبى (حرف)

Lèvre (s) .... شفة (شفتان - شفاه)

Linguiste (s) .... لغوى (لغويون)

Linguistique (nom) .... علم اللغات

Linguistique générale .... علم اللغات العام

Linguistique (adj.) .... لغوى

Liquide (consonne) .... مائع (حرف)

Localisation (s) .... موضع (مواضع)

Longue (voyelle) .... طويلة (حركة)

Luette .... (لهاة) - طلاطلة

M

Mâchoire .... فك - لَحْيٌ

* Mandéens .... * المانديون

Médiane (voyelle) .... وسطية (حركة)

Médio — palatal .... وسط - حنكى

Metathèse .... (قلب) ـ تبادل

Moabite (langue) .... المؤابية (اللغة)

Mode (s) d'articulation .... (صفة) (صفات) الحروف

Molaire (s) .... (ضرس) (أضراس)

Mouillée (consonne) .... مُلَيَّن (حرف)

Mouillure .... تليين

Momentanée (consonne) .... (آنى) (حرف)

N

Nasal .... خيشومى

Nasalité .... (غُنَّة)

Nasalisation .... إغنان

Nasaliser (une consonne) .... أَغَنّ (الحرف)

* Nuance .... * فُوَيْرِق

O

Occlusif .... (شديد)

Occlusion .... (شدة) ـ غلق

Oesophage .... بلعوم ـ مرىء

Ouverte (voyelle) .... منفتحة (حركة)

Ouvrant (phonème) .... فاتح (صوت)

P

Palais .... (حنك)

Palatale (consonne) .... حنكى (حرف)

Palatalisation .... تقديم مخرج الحرف فى الحنك

Palataliser .... قدم مخرج الحرف فى الحنك

Parler (s) .... لهجة (لهجات)

Particule (s) .... حرف (حروف)

Pause .... (وَقْف)

Pharynx .... (ادنى الحلق)

Pharyngal .... ادنى حلقى

Pharyngal .... ادنى حلقى

Phénicien (langue) .... الفينيقية (اللغة)

Phénomène .... ظاهرة

Phénomène combinatoire .... ظاهرة تعاملية

Philologie .... فقه اللغة ـ فيلولوجيا

Philologue .... عالم فى فقه اللغة

Phonatoire .... تصويتى

Phonème .... صوت (صَوْتَم ؟)

Phonéticien .... عالم أصوات

Phonétique (adj.) .... صوتى

Phonétique (nom) .... علم الاصوات ـ صوتيات

Phonétique combinatoire .... تعامل الاصوات

Phonique .... صوتى

Phonologie .... علم وظائف الاصوات

Phonologique .... وظائفى

Phonologue .... عالم فى وظائف الاصوات

Point (d'articulation) .... (مخرج) و (مقطع ـ موضع ـ معتمد)

Position (phonique) .... موقع (صوتى)

Postérieure (voyelle) .... خلفية (حركة)

Post-palatal .... اقصى ـ حنكى

Préfixe .... زائدة امامية

Prémolaire (s) .... (ضاحك) (ضواحك)

Prépalatal .... ادنى ـ حنكى (نِطْعِي)

Progressive (assimilation) .... تَقَدُّمِي (ادغام)

Prolongation .... تطويل ـ (مد)

Prosthétique (voyelle) .... (حركة) اِعْتِمَاد

Poumon (s) .... رئة (رئتان)

Q

Quantité .... كَمِّيَّة

Quantitatif .... كَمِّي

R

Réduction (des diphtongues)	حد (الحركات المزدوجة)
Regressive (assimilation)	رجعي (ادغام)
* Résonnateur	* مُدَوٍّ
* Restitution	* ارجاع
Romanes (langues)	رُوْمَنِيَّة (لغات)
Rythme	ايقاع
Rythme quantitatif	ايقاع كمي
Rythme de quantité	ايقاع كمية

S

Sémitique (langue)	السامية (اللغة)
Sémitique (adj.)	سامي
Semi-voyelle	نصف ـ حركة
Sifflante (consonne)	صفيري ـ (حرف صفير)
Sifflement	(صَفِيرٌ)
Son	(صوت)
Sonante (consonne)	مُصَوِّتٌ (حرف)
Sonore (consonne)	(مجهور) (حرف)
Sonore (sens général)	مُدَوٍّ
Sonorisation	اِنْجِهَارٌ
Sonorité	(جَهْرٌ)
Souffle	(نَفَسٌ)
Sourde (consonne)	(مهموس) (حرف)
Sourdité	(هَمْسٌ)
Spirante (consonne)	(رِخْوٌ) (حرف)
Spirantisation	ارتخاء
Spirantisme	(رَخَاوَةٌ)
Sprachatlas	اطلس لغوي
Structure	تركيب

Structure syllabique .... تركيب مقطعي
Substrat .... طبقة لغوية سفلى
Suffixe .... زائدة خلفية
Superstrat .... طبقة لغوية عُلْيا
Syllabe .... مَقْطَع
Syllabe fermée .... مقطع منغلق
Syllabe ouverte .... مقطع منفتح
Syllabique .... مقطعي

T

Tenue .... زمن النطق
Timbre (s) .... جَرَس (اجراس)
Trachée-artère .... قصبة الرئة (ك)
Triade (s) .... ثالوث (ثواليث)
* Tuyaux sonores .... انابيب مدوية *

U

Uvulaire .... (لَهَوِي)

V

Variante .... عِوَض
Variante combinatoire .... عوض تَعَامُلي
Vélaire (consonne) .... (لهوي) - غِشائي (حرف)
Vibrante (consonne) .... مُكَرَّر - (حرف تكرير)
Vibrer .... نَزَّ
Vibration .... نزيز
Vocal .... صوتي
Vocalisme .... نظام الحركات او حركية
Voile (du palais) .... غشاء (الحنك)
Voyelle (s) .... حركة (حركات)
Voyelle antérieure .... حركة امامية

Voyelle d'arrière	حركة خلفية
Voyelle arrondie	حركة مستديرة
Voyelle d'avant	حركة أَمَامِيَّة
Voyelle brève	حركة قصيرة
Voyelle de disjonction	حركة فَصْل أو فاصلة
Voyelle étirée	حركة مُنْفَرِجَة
Voyelle fermée	حركة مُنْغَلِقَة
Voyelle longue	حركة طويلة
Voyelle médiane	حركة وسطية
Voyelle ouverte	حركة منفتحة
Voyelle Postérieure	حركة خلفية
Voyelle semi-fermée	حركة نصف ـ منغلقة
Voyelle semi-ouverte	حركة نصف منفتحة
Voyelle ultra brève	حركة قصيرة للغاية (مُخْتَلَسَة)
Voyelle ultra-longue	حركة طويلة للغاية

الفهـــرس

الارقام المذكورة اسفله هي ارقام الصفحات

اصلاح خطأ

الصفحة والسطر	الخطأ	الصواب
22 — 12	لا طلس	الاطلس
8 — 19	كفية	كَيْفِيَّة
18 — 22	في العربيا	في العربية
3 — 25	صفات الحروف. بعدأن	صفات الحروف: بعد أن
5 — 25	فيضا هي	فَيُضَا هي
5 — 32	أعلا	أعلى
17 — 32	والطاء (د)	والطاء (دٍ)
15 — 35	تودي	تؤدّي
14 — 38	ارتعشات	ارتعاشات
14 — 39	(بتشذيد الدال)	(بتشديد الدال)
16 — 41	ختلط	اختلط
4 — 44	بنات محر	بناتُ مَخْر
26 — 44	"أن" و "إن"	"أَنْ" و "إن"
11 — 56	زصّاحكا	زضّاحِكًا
26 — 59	ددج (dg)	ددج(d ǧ)
5 — 69	عوضٌ	عوضَ
24 — 70	Tani	Ṯani
1 — 71	ṯēlg→fēlg	ṯēlg→fēlǧ
8 — 77	(i - e - a)	(i - e - ä)
20 — 77	برد	بْرَدْ
15 — 80	بَسُوّلَتْ	بَسّوّلَتْ
10 — 82	(embareh)	(embareḥ)
9 — 85	دل2 المفخمة	دل2 المفخمة
19 — 87	(دل"	(دل)
22 — 95	(gis)	(ǧīš)
27 — 95	g	ǧ
10 — 96	däššar	däššār
13 — 96	ž u ž	ž ū ž
14 — 96	ᶜ a ž u ž	ᶜ a ž ū ž
14 — 96	ž a ž ž a	ž ä ž ž a
15 — 105	على على	على
8 — 110	canacer	čanācer
9 — 110	zacye	zāčye

14 — 110	إلأ	إلاّ
7 — 118	أدحل	أدْخَـــلُ
16 — 118	iroh ᶜandna	irōḥ ᶜandna
7 — 121	glaᶜḥa	glaᶜha
24 — 123	صدمة حركة	صدمةٌ حَرَكِيَّةٌ
14 — 125	Noldeke	Nöldeke
15 — 125	(neue Beitrage)	(neue Beiträge)
19 — 127	الكَمُــةُ	الكمَـــةُ
26 — 132	البــزِّى	البــزّى
5 — 134	(ᵓösbaᶜ) "أرانـب"	(ᵓöṣbaᶜ) و "أرانب"
5 — 134	"أصابع" و ᵓaṣabeᶜ	"أصابع" (ᵓaṣābeᶜ)
6 — 141	s ā w e	š ā w e
1 — 142	yarbu ᶜ à	yarbū ᶜa
2 — 142	ǧarbu ᶜ	ǧarbū ᶜ
25 و 27 — 144	ة	ö
4 — 146	النسيطــة	البسيطــة
19 — 146	ẽ - õ - ẽ - ã	ẽ - õ - ẽ - ã
22 — 148	كـانـــو	كـانـــوا
14 — 149	تغبيـرات	تغييـرات
15 — 143	تغيــرات	تغييـرات
11 — 153	كـذللك	كـذلك
15 — 153	Isiamica	Islamica
6 — 163	ركـاة	زكـــاة
4 — 164	الآ نقـلاب	الانقـلاب
2 — 165	"صقـان"	"صِيقَـانْ"
20 — 166	المصـــارع	المضـارع
5 — 175	مهمـوزة الواو	مهمـوزة الفاء
20 — 170	weissbach	Weissbach
25 — 175	"سـ و ى"	"س وى"
6 — 179	hašābat	ḥasabat
12 — 183	الواظـائفيـة	الـوظـائفيـة
26 — 185	"هل" و "ال"	"هلْ" و "ألْ"
25 — 188	غصن وغصن	غُصُنْ وغُصْن
9 — 191	أعـــلا	أعـلى
11 — 199	لادى	لأدّى
9 و 10 — 191	تمثـل	يمثــل

طبع أوفست " الشركة التونسية لفنون الرسم